



مركز دراسة القرآن الكريم

الإمام علي بن الحسين زين العابدين
سيرته ومكانته العلمية
تأليف : أ.د. صالح جبار القرشي

القياس : ٢٤ x ١٧ عدد الصفحات : ٤٥٦



الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) سيرته ومكانته العلمية

تأليف

أ.د صالح جبار القرشي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات أو
أفكار يتبناها مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة وإن كانت تقع
في دائرة اهتماماته وأولوياته..



الطبعة الثانية
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م



من أهداف مركز عين :

مركز "عين" للدراسات الفكرية المعاصرة، يعنى بتفاعلات الواقع الإسلامي، ويحاول أن يؤصل للحلول والمقترحات تجاه مشكلات الإنسان المعاصر..

كما وينطلق من رؤية راسخة بقابلية الحضارة الإسلامية على قيادة الحياة وتقديم نموذج يتناسب مع احتياجات العصر من غير أن ينقطع عن أصوله ومنطلقاته وثوابته..

يسعى المركز ضمن برامج بحثية وهموم ثقافية ودورات لكتابة البحوث وتصديرها، لتعزيز الوعي الاجتماعي بقضايا الثقافة والأفكار ومناقشة مطاريح التخلف والتسيد لقيم غير أصيلة في المجتمع..

ليس من أهداف المركز أو مطاريحه الاعتناء بالتبشير الطائفي، ويؤمن أن ما يحدث اليوم هو طائفية سياسية تسعى لتجسير كل الدين والإنسان في أتون معركة مصالح دنيئة.. ولا غمانع من دراسات تنطلق من التسامح في التعايش والإيمان بمشتركات الإنسان دون إلغاء الآخر مع الاحتفاظ بالرصانة العلمية وشروطها..

كما يؤمن المركز أن الحلول الإسلامية تنطلق من جذورها المناسبة، ولهذا فهي تحاول التأسيس من منطلقات اسلامية خالصة، بعيداً عن كل التحيزات المحيطة..

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾



الأحزاب / ٣٣

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾

الأحزاب / ٢٣

الإهداء

إلى نور الأرض وهبة السماء ...
إلى حامل الركن بأطراف الرءاء
إلى خاتم الرسل والأنبياء ...
سيدي ... أهديك مجهودي لثمرة من شجرتك
المباركة كنت أصلها فتفرعت وأتت أكْلَهَا ...
فتقبلها مني يا أكرم الخلق ...
فهني تجارتي لنيل شفاعتكم ورضاكم ...

خادمكم

مقدمة المؤلف

إن من عظيم الشرف والسرور والغبطة أن أتصدى لخدمة واحد من العترة النبوية المشرفة (عليه السلام)، وأقف من خلاله على أعتاب سخائهم وكرمهم وسؤددهم الذي عمَّ العباد وملاً الدنيا ذلك هو أحد أقمارهم المنيرة وهو الإمام الرابع منهم ذلك هو علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) الذي ملأت مناقبه صفحات المجد والتاريخ فأذهل العقول بصفاته التي لم يعد لأحدٍ من البشرية أن يحتوي على جزء منها، وقلَّ منهم من يتشابه معه بأسطها، أنه بحق بحر العلم، وجبل الإرادة، وقمة الصبر، وجؤجؤ السفينة التي تحملت المخاطر للمسير في الرحلة التي تحيط بها ثعابين الحقد وحملة الكراهية لأشرف بيت خلقه الله على ظهر المعمورة.

إن البحث الذي بين يديك عزيزي القارئ عبارة عن رسالة الماجستير (الأولى) التي حصلت عليها بظرف ملئته المخاطر والتخوفات، فكنت اكتب وبكل حرف منه - من البحث - أرى النور الذي سيرشدني حتماً للوصول إلى شاطئ السلامة وحافة النجاة برحمة من الله.

إن هذه الرسالة كتبت في أعوام ثلاثة حتى حان قطافها فنوقشت عام ١٩٩٨م وكانت الظروف حينذاك تعج بالوقوف بوجه التيار الهاشمي ولكن أغلبها كان تحت الكواليس ... وعلى المرء الذي عاصر تلك الظروف أن يتحسب لكل صغيرة وكبيرة عند الخوض بمثل هكذا أمور خصوصاً إذا كان البحث يتمثل برسالة أو أطروحة علمية، ... ولا أريد أن أعرض لما حدث لي أثناء كتابة الرسالة ... ولكن الله سبحانه وتعالى أعاننا فقيض لنا

مشرفاً اتصف بحسن الخلق وطيب الخاطر فدعته أخلاقه أن يكون ناصحاً ومرشداً وصادقاً للوصول إلى الهدف النهائي من هذه الدراسة والوقوف على نتائجها بسلام كما أوضح هو لي ذلك وبشكل سري، ولعل ذلك كان بنصر من الله جلّ وعلا ... ومن كرامات من كُتِبَت الرسالة لأجله. وأيقنت تماماً بأن الله سبحانه وتعالى هو العون في الملمات لكل من صدقت نيته في خدمة هؤلاء الطواهر الزواكي من آل محمد (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

لقد تناست المنظمات الدولية التي أطلقت على نفسها مختلف التسميات والنعوت، ومنها الأمم المتحدة ومنظمة حقوق الإنسان والحركات التي تدعي إنسانيتها، والدساتير الدولية ذات العلاقة باحترام الحريات والقوانين البشرية، تناست بأن هنالك وثائق إنسانية أقدم وأرصن وأصدق من وثائقهم التي أدّعوها قولاً لا فعلاً، تلك هي إنسانية آل محمد (عليهم السلام) التي تفوح منها رائحة السمو الحقيقي للإنسانية من خلال شخصية الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) التي تعلّمت منها الدساتير كيف تبدأ وكيف تنتهي.

فكان صلوات ربي عليه سفيراً مميّزاً للأخلاق السامية وأباً للأيتام والمساكين والفقراء والمعوزين أينما حلّوا، وكان رغم ما أحاطت به العصابة المتهتكة من مضايقات له إبان تلك الحقبة الزمنية أن يؤدي ما عليه من واجبات في توفير رغيف الخبز لهم وإن كلفه ذلك دفع الضرائب التي قد تؤدي بحياته في كثير من الحالات رغم عدم تصديه لهم ولو بكلمة، أو مواجهتهم ولو بموقف.

أنه رهين الأحداث الجائرة وحبيس العبرات الحائرة، لا لذنوب اقترفه ولكن لحقد البيت الأموي ضد آل رسول الله (ﷺ) حيث كان أهم سماتهم التي وسموا بها، فكانت تلك المواقف دليلاً على الشذوذ والتجبر والكبرياء والانحراف ضد أهل هذا البيت الطاهر، فما قدروا الله حق قدره في طاعتهم واحترامهم له.

إن هذا البحث الذي اتسم بعنوان (الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) سيرته ومكانته العلمية) لم يكن في الحقيقة رأيي لي باستحضاره كمشروع لكتابة أطروحة علمية آنذاك بسبب توقع رفضه من قبل اللجان العلمية المشرفة إبان تلك الفترة العصيبة، لذلك كانت المفاجئة بإسناد المسؤولية لي بالكتابة فيه كرسالة علمية وكان ذلك حدثاً لا أتوقعه منهم رغم عدم اختياري له تخوفاً من رفضه ومسائلتي عليه ولكن كانت من خلال صدور أمر مفاجئ من اللجنة العلمية آنذاك بفرض هذا العنوان لأسباب أجهلها إلى الآن ولكنني تلقيت الأمر بسرور منقطع النظير رغم ما كنت أجهله بما يكتُمون لي من خلال هذا التكليف، ولكن صدقُ مشاعري بحب أهل البيت (عليهم السلام) هوَّ عليَّ الخطب وألآن الكروب أمامي في التوكل على الله والسير بهذا الاتجاه الذي رأيت فيه توفيقاً من الله بعد أن دعوته أن يعززني بإكماله.

ودارت الأحداث وأنا أترقب كل صغيرة وكبيرة حول جريان استمرارتي بالمشروع ومجاراتي لمماشة رأي مشرفي الذي كان منصفاً وعادلاً في إقرار كل ما هو أصولي ويخضع للعقل والحقيقة العلمية، وكان خلوقاً يحمل خصالاً طيبة مع طلبته تنم عن الأخلاق والإنسانية والعلمية

بكل معانيها، أنه الأستاذ الدكتور خاشع المعاضيدي الذي كان له دور في نجاح المشروع البحثي هذا رغم كون الرسالة عاصرت أعتى الأنظمة وأمرها شدة بخصوص صعوبة اجتياز مفاصل الرسالة آنذاك ، انه أمر ليس بالسهل خصوصاً وأن الطاغية كان يلفظ أنفاسه الأخيرة تقريباً، وقد تجسدت رعاية الله سبحانه وتعالى لي بصدد سلامة بقائي مع الموقف الذي يزداد حرجاً كلما قرب موعد إنهاء إعداد الرسالة وقُرب مناقشتها، فكانت المفاجئة الكبرى في اللفتة الرحمانية من الباري عز وجل ولطفه في حمايتي من حيث لا أعلم وبالتحديد في يوم المناقشة والتي كانت في بغداد في أواخر عام ١٩٩٨ حيث إني تطلعت إلى رجل غريب وقد جلس في المناقشة بجانب أخي الشهيد (سالم) (رحمته الله) فكنت أرصده وأنا منشغل في المناقشة العلمية للرسالة على طاولة البحث حيث لاحظته يتحاور مع أخي باهتمام ... ولكن الذي انكشف لي فيما بعد أنه (الكابس العلمي)، وكان هذا الأخير يتم إرساله في زمن الطاغية بكل مناقشة علمية للرسائل والأطاريح الجامعية التي يتخللها الإشكال والتي يتخوف منها النظام خصوصاً ، ولعبت الصدفة دورها في أن هذا الكابس كان جار أخي (سالم) في بغداد ولكن أخي لا يعرفه بأنه (الكابس العلمي)، مما دفع أخي إلى مسأئلته في حضوره لهذه المناقشة؟ فبادره هل تعرف المناقش الذي هو أمامنا؟ فقال له لا اعرفه ولكن بصراحة يا سالم أنا الكابس العلمي ومكلف أن اكتب تقرير وأقدمه إلى السلطات الأمنية يوم غد حول سلامة الرسالة من عدمها بالنسبة للحالة الأمنية والسياسية، وبادره (سالم) ... انه أخي... وماذا ستكتب!! فتصور الكابس بأنَّ سالم يمزح معه وهو ليس بأخي.. فَفَسَمَ

له سالم أنه أخي، فقال له الكابس إطمئن يا سالم أعاهدك أنني سأكتب شيئاً يسرُّك عن أخيك ورسالته، بعد أن كنت أضمر له شيئاً عكس هذا... واعتذر بخجل وبقي إلى نهاية المناقشة وفعلاً صدق بوعده.

عزيزي القارئ ... هذه حالة واحدة انقلها إليك من المفارقات التي رأيتها في فضل البيت النبوي (عليهم الصلاة والسلام) على من يتصدى بصدق لخدمتهم، لأنهم آل الله، وما خاب من يطرق باباً من أبواب رحمته. وعلى أي حال عزيزي القارئ فالكتاب الذي بين يديك يحتوي على فصول خمسة، يختص الفصل الأول: بحياة الإمام (عليه السلام) وبيان اسمه وكناه وألقابه، ونشأته العلمية وقدوته وتعلمه وزوجاته وأولاده.

أما الفصل الثاني: فاخص بما في عصر الإمام (عليه السلام) وذلك من خلال مبحثه: الأحداث السياسية التي عاصرها الإمام (عليه السلام)، والحركة الفكرية إبان تلك الفترة الزمنية الحرجة التي اعترضت الإمام (عليه السلام) في تقييده وتحديد أهدافه نوعاً ما.

أما الثالث: فقد تخصص البحث فيه عن أهم الحركات التي عاصرها الإمام (عليه السلام) والتي تركت لوعتها بنفسه ما دام حياً، وقد تكفل هذا الفصل من خلال مباحث أربعة، فأوضح الأول: بيان أحداث واقعة الطف وأثرها عليه (عليه السلام)، والثاني: أفصح عن واقعة الحرة التي كانت توازي واقعة الطف من حيث الأثر والدور الذي أبداه الإمام (عليه السلام) تجاهها، كما كشف الثالث: عن حركتي التوايين والمختار الثقفي وموقف الإمام (عليه السلام) منهما، كما سرد الرابع: أحداث حركة عبد الله بن الزبير ومردوداتها على الإمام (عليه السلام) ودوره فيها.

ثم جاء دور الفصل الرابع من الكتاب: الذي خصصناه عن السيرة العلمية والفكرية للإمام (عليه السلام) رغم تعرضه لأحداث ينعدم تعرض أناس لمثلها لتصنع منهم رجالاً بهذا القدر من الإبداع فلم تزد هذه الأحداث من الإمام (عليه السلام) إلا صلابةً وصبراً وأسطنةً في مجالات العلم كافة حيث مدحه كل من ترجم له بهذا الخصوص عدواً كان أم صديقاً محباً كان أم مبغضاً، وقد اشتملت هذه الأبعاد إيضاحاً من خلال المباحث الثلاثة من هذا الفصل حيث خُصص الأول منها إلى دراسة حول (زبور آل محمد - عليهم السلام) - وهو الصحيفة السجادية وأهميتها وذكرت شذرات منها، وخصص الثاني بذكر ما سمي بـ (رسالة الحقوق) وذكر مفاصل منها وهي دستور عالمي قام الإمام (عليه السلام) بتصنيفه وقد احتوى على كل صغيرة وكبيرة لبناء المشروع الرسالي الأعظم في عالم المخلوقات، كما تضمن المبحث الثالث تركيزاً على مكاتبات الإمام (عليه السلام) إلى الملوك والسلطين والعلماء إضافة إلى خطبه التي استدعت الضرورة لذكر بعضها بهذا الكتاب.

أما الفصل الخامس والأخير: فقد خصص لإسدال الستار على حياة أبرز عَلمٍ في دنيا العدالة وأعظم من سَطَّرَ ذلك النظام التربوي لحياة البشرية بعد جدِّه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وعمه وأبيه (عليه السلام)، حيث برحيل الإمام (عليه السلام) انطفأ سراج الدنيا وانكفأ نور الإسلام كما عبر عن ذلك عمر بن عبد العزيز بقوله عندما رحل (عليه السلام) عن دنيا الوجود، فاختص هذا الفصل ببيان وفاته والأقوال فيها وذكر البعض من خصاله وصفاته، وأقوال القدماء بهذا الصدد وكذلك المعاصرين في حقه.

إن اكبر رزية سجلتها الأيام بعد واقعة الطف هي انتقال الإمام (عليه السلام) إلى ذمة الخلود حيث ترك ذلك الحدث ثلثة كبرى في حياة الأمة الإسلامية، بل الدنيا بأسرها.

أما المصادر التي اعتمدناها بهذا الكتاب فهي كثيرة ويمكن أن نشير إلى أنها كانت ضمن خطين مثل الأول ما طرحه القدماء مما روه عن الإمام (عليه السلام) وما يتعلق بأخباره، ولكن الملفت للنظر أنهم لم يكونوا بالمستوى الذي يفصح بالشكل المطلوب عن هذه الشخصية العظيمة وما يناسبها من ثقل تاريخي لعظمة مواقفه التي تركت بصماتها إلى يومنا هذا في رص صفوف المسلمين بكل شرف وعظمة إضافة لصبره تجاه ما تعرض له من جور وظلم واستبداد، ولعل النكوص بالإفصاح الحقيقي عن دور (عليه السلام) من قبل القدماء كانت له أسباباً يمكن للمتعمق معرفتها فقد كان حينما يوصف الإمام (عليه السلام) بمنقبة أو كرامة أو حُسن أداء فسيكون ذلك الواصف عرضةً للضغط من قبل سلطات الجور والظلم، وخير دليل على ذلك أن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا عرضةً للشتم والحرب والانتقام لأنهم من أهل بيت خصهم الله بفضله فكان هذا لا يروق للحاقدين الذين أظهروا الكراهية لمواقفهم التاريخية العظيمة .

لقد اعتمدنا بهذه الدراسة مصادرًا ومراجعاً كثيرة بغض النظر عن الاختلاف في المعتقد أو الدين أو المذهب حيث كان هدفنا الحصول على المعلومة فهي ضالتنا شرط أن تكون خاضعة إلى الدليل والحجة والبيان وان تفصح عن الحقيقة، فالحقيقة هي هدفنا الأسمى أينما ارتحلت أو حلت.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإننا اعتمدنا مصادر الجميع سواء كانت متمثلة بمصادرنا نحن أو مصادر إخواننا من المذاهب الأخرى مقارنة بما طرحه المعاصرون من الجانبين أيضاً، ومن خلال مقارنة الدليل بالدليل والحجة بالحجة وملاقاة القديم بالجديد وموائمة الدراسات مع بعضها برزت لنا الحصيلة المتمثلة بالمشروع هذا والذي كانت الدعوة من خلاله إلى دراسة مثل هؤلاء الرجال العظماء - أعني الأئمة الميامين (عليهم صلوات ربي أجمعين) - من آل البيت (عليهم السلام)، دراستهم كحالة إنسانية قبل دراستها كونهم أئمة، فيجب علينا أن ننظر إليهم أولاً من كونهم أناساً بذلوا أرواحهم لأجل السمو والرقى والإنسانية والشرف كي يضربوا لنا أروع الأمثلة في العظمة والإيثار، وبعد ذلك فلا مانع إلى عرض دراساتهم كأئمة منتجبين من آل ياسين (عليهم صلوات ربي أجمعين).

سلامٌ عليك سيدي يا ابن رسول الله (ﷺ) حينما ولدت بين ربوع مروة والصفاء، وسلام عليك يوم ذهبت شهيداً مسموماً مظلوماً محتسباً صابراً، وسلامٌ عليك يوم تبعث حياً لتشهد على من أذاق آل المصطفى (ﷺ) غصص العذاب والحرمان فكانوا أولى بها صلياً.

اللهم العن كل من قاتلهم وحاربهم وأكثر السواد على إصابتهم بذعر

16 أو رهبة أو تخويف ... اللهم زلزل الأرض من تحت أقدام أعدائهم ولا تمهلهم طرفة عين في تعذيب أو حرمان أو حساب ... يا ربي .

الفصل الأول

حياة الإمام (عليه السلام)

المبحث الأول: اسم الإمام وكنيته وألقابه ووالدته

اسمه وكنيته وألقابه

هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، زين العابدين الهاشمي العلوي المدني، ويكنى بأبي الحسن أو أبي الحسين وقيل أبا محمد وأبا عبد الله^(١)، ويقال له (علي الأصغر) تمييزاً له عن أخيه (علي الأكبر) الذي شارك في واقعة الطف واستشهد مع أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) فيها عام (٦١هـ).

وهذا ما تؤكد محاوره الإمام (عليه السلام) بنفسه مع عبيد الله بن زياد بالكوفة عندما سأله الأخير عن اسمه، فقال له الإمام (عليه السلام): علي بن الحسين، فقال له ابن زياد: ألم يقتل الله علي بن الحسين؟ فأجابه الإمام (عليه السلام): كان لي أخ أكبر مني يسمى (علياً) قتله الناس^(٢)، ومن هذه الرواية

(١) انظر في ترجمته/ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٥/٥؛ البخاري، التاريخ الكبير، ٢٦٦/٦؛ ابن قتيبة، المعارف، ٩٤؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٣١١/١؛ أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٣٣/٣ وما بعدها؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٤٢٩/٢؛ الطبري، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ١٥١؛ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٢٨٣/٢؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة أصول الأئمة (عليهم السلام)، ١٨٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٣٣٢/٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٢٩/١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٣/٧ وما بعدها.

نستشف بأن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أصغر سنّاً من علي بن الحسين الأكبر (عليه السلام) الذي قتل بالواقعة.

ومن أشهر ألقاب الإمام السجاد (عليه السلام)، زين العابدين أو سيد العابدين^(١)، وقيل أن الذي لقبه بهذا اللقب هو جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٢)، وقد سمي بهذا الاسم لفرط عبادته وفضله^(٣)، وبهذه الميزة في انفراده بالعبادة سمي بـ(زين العابدين)، ويبدو أنّ الإمام (عليه السلام) كانت له من الخصال في تعبدته ما يعجز عن الإتيان به بقية العباد ولو اجتمعت، لذلك حاز على هذا اللقب بجدارة واستباق لا يوصف، فكان المثل يضرب به لعبادته والتي تناسب مع ما يناسبه من عمق من القيم والأخلاق والسؤدد مضاف إلى هيئته وشرفه وكرامته.

يقول الدكتور عبد الحليم محمود: ((نشأ زين العابدين متشيعاً بروحية جده - صلى الله عليه وآله - وبتقوى أبيه - عليه السلام -، ويسمو بنفسية والدته سليمة الملوك وربية الأكاسرة))^(٤)، وقد اكتمل إيمان الإمام (عليه السلام) جراء كونه سليل الدوحة المحمدية الحققة، وهذا ما يجعل القاصي والداني أن يوسمه بهذا الوسام المحمدي كونه ((نشأ في وسط إيمان كامل، ونشأ على فطرة

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٢٩/٢؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٣ وما بعدها؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٣.

(٢) سبط ابن الجوزي، تذكرة خواص الأمة، ٣٣٤.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ٩٤؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٦/٧؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٣.

(٤) سيدنا زين العابدين، ١٦.

موروثة سامية، وتتبع آثار جده، وحذا حذو أبيه في صورة كريمة حتى لقب بـ «زين العابدين»^(١).

وقد تواتر عند المؤرخين، وعلماء الرجال وصفه بكثرة تلك العبادة^(٢)، حيث قال عنه أبو طلحة الشافعي بصدد هذه الصفة: ((هذا زين العابدين قدوة الزاهدين وسيد المتقين وإمام المؤمنين سمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله (ﷺ) وسمته تثبت مقام قربة من الله زلفى، وثفاته تسجل بكثرة صلاته وتهجده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطبق بزهده فيها، درّت له خلائق التقوى فتفوقها، وأشرقت لديه أنوار التأييد فاهتدى بها، وألفته أواراد أنوار العباد فأنس بصحبته، وحالفته قطائف الطاعة فتجلى بحليتها، طالما اتخذ الليل مطيةً ركبها لقطع طريق الآخرة، وظمأ الهواجر دليلاً استرشد به في مفازة المسافة وله من الخوارق والكرامات ما شوهده بالأعين الباصرة وثبت بالإمامة المتواترة وشهد له بأنه من ملوك الآخرة))^(٣).

وقد غلبت هذه الصفة على بقية صفاته، حتى اشتقت معظم بقية صفاته منها - أي من صفة زين العابدين - فقد لقبوه بـ (السجاد) لكثرة سجوده، ولهذا المعنى أشار الشاعر بقوله^(٤):

وراهب أهل البيت كان ولم يزل يلقب بالسجاد حين تعبده

(١) سيدنا زين العابدين، ١٦.

(٢) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٨٣.

(٣) الشافعي، مطالب السؤل، ٤١.

وانظر / البلاذري البحراني، وفاة الإمام السجاد (عليه السلام)، ٧.

(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١٥٢/٤.

يقضي بطول الصوم طول نهاره منياً ويقضي ليله بتهجده
فأين به من علمه ووفائه وأين به من نسكه وتعبدته
كما أشار إلى لقبه هذا - أعني السجاد - الشاعر السيد محمد الشيرازي
(رحمته) في قصيدته المشهورة التي يمدح بها الإمام (عليه السلام) والتي يقول في
بعضها^(١):

المدح في شأوه ينهال ترديدا والعز في بابه يزداد تأييدا
ما زال يسجد تعظيماً لبارئه لذا يُلقَّبُ بالسَّجَّاد تمجيذا
حوى من الفضل ما لم يحوَ أحدٌ إلا الأئمة صنديداً فصنديدا
ويبدو أنَّ ما ذكره صاحب (مطالب السؤل)، هي صفات تكشف لنا
عن النص على إمامة علي بن الحسين (عليه السلام) كابر عن كابر وصادق عن
صادق، حيث ذكره الكليني (قدس) عن الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: ((إن
الحسين لما صار إلى العراق استودع أم سلمة الكتب والوصية، فلما رجع
علي بن الحسين دفعها إليه))^(٢).

ولقبوه بـ(ذي الثفات)^(*) وذلك لظهور ثفات كثفات الإبل في مواضع
سجوده^(١)، ويذكر الصدوق (قدس) بأنَّ الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال:

(١) إسماعيل عبد الرحمن الخفاف، الإمام زين العابدين (عليه السلام) في شعر القدماء
والمعاصرين، ٣٥١.

(٢) الكليني، الأصول من الكافي، ٣٠٤/١.

وانظر/ نبيلة عبد المنعم داود، نشأة الشيعة الإمامية، ١٥٥.

(*) الثفات: هي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغلظ كالركبتين ونحوهما،
والواحدة ثفنة.

((كان لأبي - عليه السلام - في موضع سجوده آثار ناتبة، وكان يقطعها في السنة مرتين، في كل مرة خمس ثغفات، فسمي ذي الثغفات لذلك))^(٢).

ومن ألقابه أنه كان يلقب بـ(الأمين) فقد نقل عنه قوله: ((فلو أن قاتل أبي الحسين بن علي - عليه السلام - ائتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه))^(٣)، وقد اشترك الإمام السجاد (عليه السلام) بلقبه هذا مع ما لُقِّبَ به جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) الذي اشتهر به حيث كان يسمى في أصقاع الأرض كلها بـ(محمد الأمين)، حيث الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ((الذي يقوم مقامه في أمته، فيدل على الحق، ويرشد إلى الخير، ويكون خليفته بحق يحمل رسالته، ويبلغ كلمته، ويعدل في أمته، كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليكون إماماً للناس يهتدون به إلى الله في قوله وفعله وأفكاره وممارساته))^(٤).

ولُقِّبَ كذلك بـ(ابن الخيرتين)^(٥)، وقد نسب الشاعر للإمام هذا اللقب قوله^(٦):

خيرة الله من الخلق أبي	بعد جدي وأنا (ابن الخيرتين)
فضةٌ قد صنعت من ذهبٍ	فأنا الفضة ابن الزهين
من له جدٌ كجدي في الوري	أو كأبي وأنا ابن القمرين

(١) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٤؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٢٠٧/٤.

(٢) الصدوق، علل الشرائع، ٣١٢/١.

(٣) الصدوق، معاني الأخبار، ١٠٧/١.

(٤) عبد الزهراء عثمان محمد (الشهيد عز الدين سليم)، الأمانة في الرسالة الإسلامية، ٣٨.

(٥) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٣١١/١.

(٦) م. ن، ٣٢٢/١.

فاطمُ الزهراء أمي، وأبي قاصم الكفر بيدٍ وحُنين
وله في يومٍ أحدٍ وقعةٌ شفت الغلة بعض العسكرين
وليس للحسين (عليه السلام) عقب إلا من ولد زين العابدين (عليه السلام)^(١)، وإن
جميع الحسينيين من نسله^(٢).

ويذهب صاحب كتاب (السقيفة) إلى أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو الذي
نصَّ على إمامة علي بن الحسين (عليه السلام)^(٣)، وهو مبعث فخر وتشريف
للإمام (عليه السلام) يضاف إلى مفاخره وسجاياه.
أم الإمام (عليه السلام) :

اختلف المؤرخون وأهل السير في تسمية أم الإمام (عليه السلام)، فقالوا إن
اسمها (سلافة) بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى^(٤)، وقيل (شاه زنان)^(٥)،
وقيل (أم سلمة)^(٦)، وقيل (غزالة)^(٧)، وقيل غير ذلك من الأسماء^(٨)، ولكن
كل من ذكر ذلك اتفق على أبوة يزدجرد لهن.

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٢٩/٢؛ الزركلي، الأعلام، ١٨٦/٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٧/٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١٧٦/٤؛
الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٢.

(٣) سليم بن قيس، السقيفة، ٩٤.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ٩٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٢٩/٢؛ ابن الجوزي، تذكرة
الخواص، ٣٣٤؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٣.

(٥) المفيد، الإرشاد، ٢٨٤؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٤.

(٦) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٤.

(٧) ابن قتيبة، المعارف، ٩٤.

(٨) المزي، تهذيب الكمال، ٣٨٣/٢٠؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١٧٦/٤.

ولربما كانت هذه ألقاباً لها، فـ(شاه زنان) تعني بالعربية (ملكة النساء)^(١)، وقيل أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أطلق عليها اسم (فاطمة)، بدلاً من (شاه زنان)^(٢).

وقد تعارضت أخبار وصول أم الإمام زين العابدين (عليه السلام) المسماة بـ(شاه زنان) إلى الإمام الحسين (عليه السلام) بروايات عديدة، ف قيل في أشهرها بأنها من سبي فارس في خلافة عمر بن الخطاب، حيث كان فيه ثلاث بنات مسيات ليزدجرد، وأمر عمر ببيع السبايا ومنهن البنات الثلاث، فقال له الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوق، فقال له - الخليفة عمر - كيف الطريق إلى العمل معهن؟ قال: يقومن ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن، فقومن، فأخذهن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر، وأخرى لولده الحسين (عليه السلام)، وأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق وكان ربيبه، رضي الله عنهم أجمعين، فأولد عبد الله أمتة سالماً، وأولد الحسين زين العابدين، وأولد محمد ولده القاسم، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة وأمهاتهم بنات يزدجرد))^(٣).

(١) الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٣.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١٧٦/٤.

(٣) انظر / ابن خلكان، وفیات الأعيان، ٤٢٩/٢ وما بعدها . وانظر / الزمخشري، ربيع الأبرار،

١٨/٣ ؛ ابن طولون، الشذرات الذهبية، ٧٦ ؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٤ . وانظر / محمد

الحسيني الشيرازي، أمهات المعصومين، ٢٠٣.

وأما الرواية الثانية فتذكر أن عبد الله بن عامر حينما أراد أن يجوز على مرو وأهلها فلم يقدر، وكان ذلك في خلافة عثمان فصالح قائده حاتم بن النعمان الباهلي على ألفي ألف ومائتي درهم ولم يفتحها بخيل أو قتال ولم يسبي منهم نساء، ولعلهم خلطوها بالرواية التي ترى أن عبد الله بن عامر صالح (ايرشهر) صلحاً وأعطوه جاريتين من آل كسرى (بابونج) و(طهميج) فماتت (بابونج) وأعطى الأخرى إلى النوشجان^(١).

وتذهب الرواية الثالثة: إلى أن الإمام علي (عليه السلام) لما استُخلف أرسل حريث بن جابر والياً على جانب من الشرق فبعث إليه بابنتي يزدجرد بن شهریار فنحل أحدهما إلى ولده الحسين (عليه السلام) فولدت له زين العابدين (عليه السلام)، والأخرى لمحمد بن أبي بكر (عليه السلام) فولدت له القاسم فهما أبنا خالة^(٢)، وماتتا في النفاس^(٣).

وفي الترجيح تكون الرواية الثالثة أقرب إلى الصحة من الروايتين الأولى والثانية لأن الرواية الأولى تذهب إلى أنها قبل وفاة الخليفة عمر بن الخطاب وإبان الفتح العربي لبلاد فارس، علماً أن وفاة الخليفة عمر بنت الخطاب كانت أواخر عام (٢٣هـ)^(٤)، بينما بقي يزدجرد آخر ملوك فارس

(١) انظر/ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٧٧/٥.

(٢) المفيد، الإرشاد، ٢٨٤.

وقارن مع/ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣٥/٦.

(٣) المسعودي، اثبات الوصية، ١٦٧.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ٧٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧٨/١.

مطارداً حتى قتل في أول عام (٣١هـ)^(١)، وكانت بناته معه إلى تلك السنة فعندما لجأ يزدجرد إلى مرو واستقبله (نيزك) وقد طلب الأخير منه أن يزوجه إحدى بناته مقابل مناصحته له ومناصرته في قتل عدوه فأبى يزدجرد ذلك، مما دعى (نيزك) أن يستعين بملك الروم، مما أدى إلى مقتل يزدجرد في ذلك العام^(٢).

وهذا أقرب للتصديق في تزويجها مع إسلامها من قبل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بدلاً من الرفض وردها، خصوصاً وإن حرص الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على الإسلام يؤكد ذلك، فزوّج الأولى لولده الحسين (عليه السلام) فأولدت له الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عام (٣٨هـ)^(٣).

ثم أنه دفع الأخرى إلى محمد بن أبي بكر (عليه السلام) (ت ٣٨هـ) فزوجه إياها وهو ربيبه وكأحد ابنيه ((وكان تربيته))^(٤)، وتربى في حجره مع ولديه الحسن والحسين (عليه السلام) فولدت له القاسم (ت ١٠٠هـ)^(٥)، وعمره حتى وفاته سبعين عاماً^(٦)، أما القول بأن أباه محمد بن أبي بكر (عليه السلام) قتل عام (٣٦هـ) بعد مقتل عثمان فهذا بعيد لأنه يناقض ما نقله صاحب القول بأنه دخل مصر عام (٣٧هـ) وانهزم المصريون عام (٣٨هـ) وهو العام الذي قتل

(١) انظر/ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٧١/٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٨٨/١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٧٤/٥ وما بعدها.

(٣) انظر/ الياضي، مرآة الجنان، ١٩٠/١.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٢٩/٢.

(٥) م. ن، ٢٢٤/٣.

(٦) م. ن، ٢٢٤/٣.

فيه معاوية بن خديج وادخله في جيفة حمار ثم أحرقه^(١)، فيكون تاريخ ولادة القاسم عام (٣٨هـ) أقرب إلى الصحة من باقي الروايات في إنجابهما بعد زواج أيهما بمدة طويلة.

ويرى اليعقوبي (ت ٢٨٢هـ) انهما من سبي كابل^(٢)، وكان فتح كابل سنة (٤٤هـ) على يد المهلب بن أبي صفرة من قبل معاوية بعد خلافته^(٣)، أي بعد ولادة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) والقاسم بن محمد بن أبي بكر (عليه السلام) بخمس سنوات وهذا ينفي تلك الرواية، كما أن روايتي اليافعي^(٤) (ت ٧٦٨هـ)، وابن تغري بردي^(٥) خلاف المشهور من قبلهم من أنها من بلاد السند، وقد ماتت أم الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في النفاس^(٦).

ويؤكد هذا أنه ليس للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أخوة ولا أخوات من أمه سواه^(٧)، ولم تذكر لنا المصادر ذلك عند التحري عن أولاد الإمام الحسين (عليه السلام)، والفارق الزمني بين ولادة الإمام علي بن الحسين ووفاته أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) حوالي (٢٣) عاماً، وهو عمر الإمام علي بن

(١) انظر /

المزي، تهذيب الكمال، ٤٣٥/٢٣ وقارن معه في ٥٤٢/٢٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٤٦/٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٢١/٦.

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ١٩٠/١ وما بعدها.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٢٩/١.

(٦) المسعودي، إثبات الوصية، ١٦٧.

(٧) الشبلنجي، نور الأبصار، ١٣٧ وما بعدها.

الحسين (عليه السلام) ^(١) حين أدرك واقعة الطف ويستبعد أن تكون أم الإمام لم تلد غيره طيلة هذه الفترة من السنين، وإذا كان ذلك ممكناً فإنه يساعد على نفي رواية أنه خلف عليها بعد الحسين (عليه السلام) (زيد) مولاه فولدت له عبد الله بن زيد ^(٢)، ولم أقف على ترجمة زيد هذا ولا ابنه بين كتب الرجال، ولم يذكر أحد أن للحسين (عليه السلام) مولى أسمه (زيد).

ومقارنة التواريخ تنفي الرواية تلك إذ لو تزوجت لكان زواجها على أقل تقدير عام (٦٢هـ) أو بعده، وإذا كانت لم تنجب من الإمام الحسين (عليه السلام) منذ عام (٣٨هـ) إلى حين استشهاده عام (٦١هـ)، فكيف تلد بعده وعمرها يكون آنذاك على أقل تقدير في العقد الخامس وذلك بعيد.

ومما يؤكد موت أم الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في نفاسها أن الإمام الحسين (عليه السلام) عهد إلى مولاة له من أمهات الأولاد برعايته وحضنته وقد عنت هذه المرأة بالإمام (عليه السلام) اشد الاعتناء وترعرع الإمام بين أحضانها ^(٣)، وكانت هذه من خيرة النساء ^(٤)، وقال صاحب (الأخبار الطوال) انه لما نزل علي (عليه السلام) الكوفة كان مقدمه إليها يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، وخطب في مسجدها المعظم

(١) ابن سعد، الطبقات، ١٦٤/٥.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ١٢٥؛ ابن سعد، الطبقات، ٢١١/٥؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٤.

(٣) انظر/ عبد العزيز سيد الأهل، زين العابدين، ١٩؛ باقر شريف القرشي، حياة الإمام زين العابدين، ٤٢/١.

(٤) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٣١١/١.

وصلى أول جمعة من قدومه فيه^(١)، بعد ذلك وجّه عماله إلى البلدان ومنهم (خليد بن كاسي) الذي وجهه إلى خراسان وقد قاتل أهل نيسابور لما بلغه أنهم خلعوا يداً من طاعة وأنه قدمت عليهم بنت لكسرى من كابل^(٢)، فقاتلهم خليلد وهزمهم وأخذ ابنة كسرى بأمان وبعث بها إلى علي (عليه السلام)، فلما التقى بها الإمام (عليه السلام) قال لها: ((أتحيين أن أزوجك من إبنني هذا؟))^(٣)، وأشار بيده إلى الإمام الحسين (عليه السلام) فرفضت وقالت: ((لا أتزوج أحداً على رأسه أحد، فإن أنت أحببت رضيت بك))^(٤)، قال: ((إني شيخ، وإبني هذا من فضله كذا وكذا))^(٥)، قالت: ((قد أعطيتك الجملة))^(٦)، ثم قام قريب لها واسمه (نرسي) فقال للإمام (عليه السلام): ((يا أمير المؤمنين قد بلغك أنني من سنخ المملكة وأنا قرابتها فزوجنيها))^(٧)، فقال: ((هي أملك بنفسها))^(٨)، ثم قال لها الإمام (عليه السلام): ((انطلقی حيث شئت؟، وانكحي من أحببت، لا بأس عليك))^(٩).

(١) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ١٥٣ وما بعدها.

(٢) م. ن، ١٥٤.

(٣) م. ن، ١٥٤.

(٤) م. ن، ١٥٤.

(٥) م. ن، ١٥٤.

(٦) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ١٥٤.

(٧) م. ن، ١٥٤.

(٨) م. ن، ١٥٤.

(٩) م. ن، ١٥٤.

أما ما رواه (المبرد) من أنَّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) اشتهر بیره لوالدته حيث يقول: ((وقيل لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمهم الله: إنك من أبر الناس بأملك ولسنا نراك تأكل مع امك في صحفة؟ فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققته))^(١)، فالمقصود بها مربيته وليس أمه لأن أم الإمام (عليه السلام) قد ماتت في نفاسها، ولكن البر الذي وافاها به الإمام (عليه السلام) كان عظيماً حتى انه كان يطلق عليها (أماه) هذا مع من ربَّته، فكيف الحال مع من أولدته؟ إنها بلا شك أخلاق الأنبياء ولا عجب.

والذي يلفت الانتباه أن عبد الحميد العلوجي وهو من الكتّاب المعاصرين قد فاجأ الساحة العلمية بأقويل باطلة لا تنهض بالدليل، ولعله تصور أن الأدلة التي جاء بها سترتقي بما ادعاه، وهذا دليل بحد ذاته على بطلانها وقصوره في نقل الأخبار التاريخية التي يجب ان تنهض بالاستدلال والتحليل والمعرفة في شؤون التدقيق والتحقيق والاستبيان، لذلك كانت آراؤه لا تصمد أمام النقد التاريخي والعلمي، أنه يدعي أن أم الإمام زين العابدين (عليه السلام) لم تكن فارسية وأن هذا التفريس لأم الإمام (عليه السلام) هو من أضاليل الشعوبية، انه ينقل أخباره من أناس ليس للتأريخ معرفة بهم ولم يكونوا معرفين قط، أنه ينقل هذه المدعيات من الشيخ الساعدي كما يسميه هو، كما ينقل عن الأستاذ سعيد أبو العينين كما يحلو له تسميته، ولا نعرف من هو سعيد هذا؟ ثم ينقل أخباره تلك عن مجلة (آخر ساعة) القاهرية

(١) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٢٠٤.

العدد (٢٧) مايو ١٩٨٧م من الصفحة (٢٨) منها^(١)، إن هذه الأضاليل التي ينقلها هو، لأن أم السجاد (عليه السلام) قد اتفق الجميع على كونها (شاه زنان) بنت كسرى يزدجرد ملك الفرس، ثم يعود وقد أقحم نفسه بمدعيات ضعيفة لا تنهض أمام البحث العلمي اللائق، أرجو من هؤلاء الذين تصوروا بأنهم كتبوا التاريخ أو أعادوا كتابته !! أنهم قد كتبوا ذلك بمبلغ خسيس قد دفع ثمنه مقدماً وكتبوا عن أنفسهم وعن التاريخ حقائق لا يمكن تضليلها وإخفائها.

ولادته :

ولد الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في يوم الجمعة من بعض شهور سنة (٣٨هـ)^(٢)، وقيل ولد عام (٣٣هـ)^(٣)، وهذا بعيد لأن عمره الشريف يوم قتل أبوه الحسين (عليه السلام) هو (٢٣) سنة، ومقتل الحسين (عليه السلام) كان عام (٦١هـ).

وقيل غير ذلك في أعوام تقارب ذلك التاريخ تتراوح بين عامي (٣٦هـ) و(٤٠هـ)، ولكن الراجح عند أكثر الرواة هو عام (٣٨هـ)، لأنه أدرك من جده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) سنتان، ووفاة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت في سنة (٤٠هـ)^(٤)، فيكون مولده على هذا الأساس (٣٨هـ).

(١) حميد المطبعي، كذبة فارسية يفضحها الحق العربي، ٢٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٢٩/٢؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٣٩، ٢١٦.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٠/٧.

(٤) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ٢١٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ٤٠/٣.

ويؤيد هذا الرجحان ابن الصباغ المالكي في كون ولادته هي سنة (٣٨هـ) بقوله: ((من الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناضرة وثبت بالآثار المتواترة، ولد علي بن الحسين (عليه السلام) بالمدينة نهار الخميس، الخامس من شعبان المكرم سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في أيام جده علي بن أبي طالب (عليه السلام) قبل وفاته بستين))^(١).

(١) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٨٣.

المبحث الثاني : نشأة الإمام (عليه السلام) وقدوته وتعلمه

لم ينهل الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) من علم جده علي بن أبي طالب (عليه السلام) مباشرة، حيث كان عمره حين استشهاد جده أمير المؤمنين بين السنتين والأربع والتي قضاها في الكوفة في كنفه، ثم تبعها بستة أشهر أخرى بنفس المدينة تمثلت بخلافة عمه الحسن (عليه السلام)، ثم قدم على مدينة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع آبائه وأهل بيته (عليه السلام)، حيث عاد للعيش هناك مع ما استجد من الأحداث التي سذكرها لاحقاً إن شاء الله .

لقد عاشت المدينة آنذاك في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالاستقرار السياسي قياساً بمن جاء بعده ممن اخلفوه، حيث تجنب معاوية الاصطدام المباشر مع بني هاشم وخاصة أهل البيت (عليه السلام) منهم، لاحتياجه لمعايشتهم بسلام ولخطورة الموقف حين تعرضه لهم خصوصاً كونه عاصر كثير من الصحابة الأجلاء، وحادثة عصره وقربه من عهد الخلافة الراشدة التي تفرض عليه الابتعاد عن التصادم معهم، إضافة إلى قربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه الأسباب مجتمعة إضافة إلى غيرها جعلته يتعد عن قوقعة طبول حربهم، لذلك كان من الأجدر بمعاوية أن يساير المجتمع المدني بطريقة تجنبه تصادمه معهم ليستقر موقف الدولة الجديدة.

يقول الدكتور أحمد عز الدين: ((والذين وصلوا إلى السلطة، واقترفوا ما هو مسطور في تأريخنا بما أملت عليهم السلطة لم يحتاجوا إلى نظرية سياسية مكتملة الجوانب قوية الأدلة، إذ كانوا قادرين على قمع المخالفين، ومد النفوذ إلى الخارج والتعامل مع الآخرين لا بالحجة والمنطق، بل بما

تتعامل به السلطة مع القوى السياسية التي لا يعجبها حالها^(١)، إذ كان منطق السلاطين مع القوى العامة هو منطق النفوذ السلطوي في نشر سياسة الغاب، وهدر إمكانات المجتمع ومصادرة حقوقه جملة وتفصيلاً.

وقد ساعدت الأعوام العشرون من حالة الاستقرار هذا بتشجيع الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لأن يتفرغ تماماً لينشأ نشأة علمية خالصة وينهل من علم عمه الحسن بن علي (عليه السلام) الذي أدرك من عصره (١٢) عاماً، وحيث كانت وفاة الإمام الحسن (عليه السلام) سنة (٥٠هـ)^(٢)، كذلك فإنه تعلّم من أبيه فترة طويلة دامت (٢٣) عاماً لأن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) كان سنة (٦١هـ)^(٣)، كذلك فإنه عاصر جُلَّ صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) والذين كان همهم مناقلة أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومدارسة سيرته، وتفسير آيات القرآن الكريم بما أثر عنه (عليه السلام)، فبدأت أولى لبنات مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التي كان يرتادها أكابر العلماء وأساطين العلم، وأخذت حلقات الدرس والإشعاع الفكري تنبع من بيوت الصحابة ومساجد المدينة المنورة، فنشأ الإمام وترعرع بين تلك الحلقات والتي توقفت رداً من الزمن لانشغال المسلمين بالتحزب للفئات المتصارعة، إضافة إلى ما كانت تعانيه الأمة من الاضطراب السياسي الذي كان يشغلها آنذاك، فنشأ الإمام (عليه السلام) تابعياً بين جهازة الصحابة وعظماء الأمة الذين كانوا ينتهلون من البيت النبوي، وما أن استقر الأمر لمعاوية حيث اتخذ موقف الهدوء تجاههم لمكانتهم العالية

(١) الإمامة والقيادة، ٢٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٤/٣ وما بعدها.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٠/٦ وما بعدها.

وكونهم من دوحة العلياء ولمقامهم العظيم وقربهم من رسول الله (ﷺ) وخاصة الحسن والحسين (عليهما السلام) كما ذكرنا، حتى انتهى الأمر باستشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) عام (٥٠هـ)، وما رافق ذلك من أمور ومتعلقات.

وقد أدرك الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) تلك الأحداث ومنها انتقال عمه الحسن (عليه السلام) للرفيق الأعلى لتسجل في نفسه أولى المحن التي واجهته، فبدأ صفحة جديدة من صحف الحياة ليتعلم من أبيه وأهل بيته (عليهم السلام) الحنكة والتدبير والتهيأ للمصائب المنتظرة والويلات القادمة.

ويرى الأستاذ عادل الأديب بأن لمحنة وفاة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) وما أصطحبها من أمور أخرى، أنها مثلت البادرة الأولى للفاجرة الكبرى في نفس الإمام (عليه السلام) وهي واقعة الطف التي تعد تلك المقدمات لها، من أقسى الفترات التي مر بها الإمام (عليه السلام)، وجعلت منه إنساناً يواكب الحزن والزهد والتأسي^(١).

وبذلك كانت حياة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) قد وسمت بتلك السمة، من حزن، وزهد، والتحسب لأدق الأمور حتى أن كبار الصحابة والمتفقهين يرون ذلك في شخصه، وكان يُسأل عن ذلك فيقول: ((أصبحت قريش تعد أن لها الفضل على العرب لأن محمداً منها ولا يعدلها فضل إلا به، وأصبحت العرب مُقرّة لهم بذلك، وأصبحت العرب تعد أن لها الفضل على العجم لأن محمداً منها ولا يعدلها فضل إلا به، وأصبحت العجم مُقرّة لهم في ذلك فلئن كانت العرب صدقت أن لها الفضل على العجم وصدقت

قريش أن لها الفضل على العرب لأن محمداً منها، إنَّ لها أهل البيت الفضل على قريش لأن محمداً منا، فأصبحوا يأخذون بحقنا ولا يأخذون لنا حقاً، فهكذا أصبحنا إذا لم تعلم كيف أصبحنا))^(١).

ومن غزارة علمه، احتياج الخلفاء والملوك والقادة إليه إذا أصابهم أمرٌ وعُرِّضوا لمكروه، فيجدونه المفزع إليهم في تفتيت كرباتهم، حيث ((كتب ملك الروم إلى عبد الملك يتوعده فضاق عليه الجواب فكتب إلى الحجاج وهو إذ ذاك على الحجاز أن إبعث إلى علي بن الحسين فتوَعَّدْهُ وتهدده وأغلظ له ثم انظر ماذا يجيبك فاكتب به إليّ، ففعل الحجاج ذلك، فقال له علي بن الحسين (عليه السلام)، إنَّ لله في كل يوم ثلاثمائة وستين لحظة وأرجو أن يكفينك في أول لحظة من لحظاته، وكتب بذلك إلى عبد الملك، فكتب إلى صاحب الروم كتاباً، فلما قرأه، قال ليس هذا من كلامه، هذا من كلام عترة نبي))^(٢).

فكان قول ملك الروم اعترافاً بأنَّ علم الإمام (عليه السلام) إنما كان مصدره علم جدهم النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) باعتبارهم من عترته الكريمة، حيث ((كانت مدرسة الإمام زين العابدين - عليه السلام - توطئة لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه ودعامةً لحركته الناشطة))^(٣).

(١) ابن سعد، الطبقات، ١٦٢/٥ وما بعدها.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤٧/٣. وانظر تفاصيل ذلك في / نور الدين آل علي، الإمام الصادق (عليه السلام) كما عرفه علماء الغرب، ٣٥.

(٣) نور الدين آل علي، الإمام الصادق (عليه السلام) كما عرفه علماء الغرب، ٣٥.

ولما كان الإمام (عليه السلام) يدرك تلك المواقف وهو لم يزل صبياً وقد وقف على ما آلت إليه أمور جده أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي هو أقرب منه عهداً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأكثر مكانة منه، فقد مدت يد التطاول إليه وأوقعت به تلك اليد الخؤون، وكان علي بن الحسين (عليه السلام) يعلم بأن جده هو كذلك فقد ألهمه هذا الشعور بأنّ التطاول عليه أهون عليهم إذا تطلب الأمر كذلك، فكان ذلك مدعاةً له في رصد كل ما يعاينه بدقة يصحبها التحسب والحذر بعيدة عن الامتناع والحقد الكراهية، لذلك لم يكن جديداً على الإمام (عليه السلام) أن يقف موقف المتفحص، المتطلع، المصلح الخبير، وقد سبك الإمام كل هذه المشاعر في بودقة واحدة كان نتاجها التوجه الأمثل إلى الله تعالى متمثلة بمنهج الأنبياء والأولياء في خدمة العلم والتفقه في الشريعة، فغاص في لجج الدعاء متخذاً منه أسلوباً ومنهجاً ليجاهد من خلاله مبتعداً عن السلطة متجهاً إلى السلطان الأكبر مبنياً بسيرته تلك، كيف يكون المسلم الصحيح، فكانت عبادته تلك متخذة قلباً متميزاً من سيرة حياته وأسلوبه التعبدي.

عبادته

كان (عليه السلام) يقول: ((إن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار))^(١)، وقيل عن عبادته (عليه السلام) أنه ((كان إذا قام إلى الصلاة أخذته

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/١٣٤ وما بعدها؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٦.

رعدة، فقليل له: ما لك؟ قال: أتدرون بيد مَنْ أقوم وَمَنْ أناجي؟^(١)، وَمِنْ شدة اتصاله برَّبِّه أنه إذا صلى لا يعلم ما يدور حوله، فقد روي عنه أن ((حريقاً وقع في بيتٍ فيه علي بن الحسين وهو ساجد فجعلوا يقولون له يا ابن رسول الله النار، يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى انطفئت قليل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قال: ألهتني عنها النار الأخرى))^(٢).

وذكر أنه كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة^(٣)، ويبدو أن اليوم واللييلة والتي هي في حساباتنا تعادل (٣٦) ساعة تقريباً، لا يستبعد أن الإمام (عليه السلام) كان يقضي من هذه الساعات عشرة أو أكثر في العبادة والصلاة، خصوصاً وهي الميزة التي امتاز بها، حيث كان يسمى بـ(سيد الساجدين)، وبتداخل الوقت بين اليوم واللييلة كما يبدو، كان الإمام (عليه السلام) يستغرق هذا الوقت في أدائه لتلك الصلاة.

ومن عبادته أيضاً أن ابنه أبا جعفر الباقر (عليه السلام) روى عنه بأنه ((قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه قد اصفر لونه من السهر، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة))^(٤).

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١١٨/٢؛ الغزالي، مكاشفة القلوب، ٦٤؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٥؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٨٢؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٤.
(٢) المزي، تهذيب الكمال، ٣٨٩/٢٠؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ٢١٨ بلفظ (النار الكبرى).
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٦٣/٣؛ القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، ٤٣١.
(٤) المفيد، الإرشاد، ٢٨٧.

ولم يكن هذا من غريب الأفعال، فقد أدرك الإمام (عليه السلام) ما للعبادة من أثر في حياة الإنسان، وأدرك ما للذكر من فضائل، وكان يتحسب ما كان للعبادة من أثر، وضرورة الذكر في كونه جهاداً بحد ذاته، وكان يدرك بان الدعاء هو مخ العبادة وأنه يرُدُّ القضاء^(١).

((فعندما يرى المرء علي بن الحسين -عليه السلام- يرى كأنه النبي -صلى الله عليه وسلم- في محراب عبادته في الثلث الأخير من الليل أو كأنه النبي -صلى الله عليه وسلم- في غار حراء))^(٢)، فقد روي أنه حج على ناقته عشرين حجة فما قرعها بسوط^(٣)، وقيل (٢٢) حجة^(٤).

ومن عبادته التزامه بحج بيت الله لمرات عديدة، فعن سفيان بن عيينه (ت ١٢٥هـ)، أنه لما حج علي بن الحسين، وعندما أحرم واستوت به راحلته، اصفر لونه، وارتعد خشية من الله، فتأخر عن التلبية، فسئل عن ذلك، ما لك لا تلي؟ فقال: أخشى أن أقول ليك، فيقول: لا ليك، وعندما قيل له أنه أمر لا بد منه، لبى وخشية الله بين جوانحه حتى قضى حجه^(٥).

وكذلك فقد روي عنه: أنه لما أراد ان يقول ليك ارتعد خوفاً من الله وهو فوق ناقته، حتى سقط منها لعظمة خشيته^(٦)، وبهذه الرهبة والخشية من

(١) انظر ذلك في / الشوكاني، تحفة الذاكر، ١٠-٢٥.

(٢) مرتضى مطهري، سيرة أهل البيت (عليه السلام)، ١٠٠.

(٣) الزنجاني، عقائد الإمامية، ١٦٠/١.

(٤) م. ن، ١٦٠/١.

(٥) المزني، تهذيب الكمال، ٣٩٠/٢٠.

(٦) ابن حجر، التهذيب، ٣٠٦/٧.

الله في ربوع بيته العظيم يعطي علي بن الحسين (عليه السلام) لمناسك الحج مكانتها الحقيقية وللتلبية أهدافها ونتائجها وشروطها، وكأنه يقول من أراد التلبية لله يتوجب عليه أن يكون في رحاب الله عملاً قبل أن يكون قولاً، عملاً بامثال أوامره والانتها عن نواهيه، ملياً لندائه جلّ وعلا، ولم يكن امتثال الإمام (عليه السلام) لهذا العمل العبادي واحترامه له صادراً عن فراغ بل جاء عن سعة أفق ومعرفة دقيقة وانتهاجاً لخطى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) واحتراماً لقدسية بيت الله العظيم، الذي ولد جده أمير المؤمنين (عليه السلام) في كنفه، وكذلك عمه الحسن المجتبي (عليه السلام)، وأبيه الحسين (عليه السلام)، كابرٍ عن كابرٍ وصادق عن صادق، فقد روي عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه حج ((خمسَ وعشرين حجة ملياً ماشياً))^(١)، وكذلك علي بن الحسين (عليه السلام) هو الآخر الذي حجَّ ((خمسَ وعشرين حجة راجلاً))^(٢)، وكان ((يخرج على راحلته إلى مكة ويرجع ولا يقرعها))^(٣)، وعن طاووس اليماني^(*)، قال: ((دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن الحسين -عليه السلام- قد دخل يصلي ما شاء الله تعالى ثم يسجد سجدة فأطال فيها، فقلت رجل صالح من

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤٣/٣ .

(٢) م . ن ، ١١٨/٣ .

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١٦٠/٥ .

(*) طاووس اليماني: هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني، أحد الأعلام التابعين، وكان فقيهاً جليلاً القدر، نبيه الذكر، لقب بـ(طاووس) لأنه كان طاووس القراء، وتوفي حاجاً بمكة قبل التروية بيوم سنة ١٠٦هـ وقيل ١٠٤هـ .

انظر ترجمته في/ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٩٤/٢ .

بيت النبوة لأصغينَّ إليه، فسمعتَه يقول: ((عبدك بفناءك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك، قال طاووس فو الله ما صليت ودعوت فيهن في كرب إلا فرج عني))^(١).

أخلاقه:

نهل الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) من أخلاق أبيه الحسين بن علي (عليه السلام) وعمه الحسن (عليه السلام) سبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللذين تربيا في حجره ورضعا من ثدي بضعته وتخلقا بأخلاق جدتهما المصطفى وأبيهما المرتضى (عليه السلام) وأمهما سيدة نساء العالمين (عليها السلام)، فكيف إذن تكون أخلاق من تربى فيمن قال فيه الله جل شأنه: [وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ]^(٢)، ولكي يصبح (عليه السلام) قدوة للبيت النبوي وهو بقية الله في أرضه ومن نسل ذلك البيت بعد واقعة الطف الأليمة، فمن خلقه وكرمه روي عنه (عليه السلام) أن أناساً من أهل المدينة كانوا يُعالون ولا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين (عليه السلام) فقدوا ما كانوا يُؤتون به في الليل^(٣).

ونقل عن أهل المدينة قولهم: ((ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين))^(٤)، وقيل عنه أنه ((كان يبخل على أهله، فلما مات وجدوه

(١) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٩٤. الشبلنجي، نور الأبصار، ١٠٤.

وانظر/ إسماعيل عبد الرحيم الخفاف، الإمام زين العابدين (عليه السلام) في شعر القدماء والمعاصرين، ٦٨.

(٢) القلم / ٦٨.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٦/٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٤/٧.

(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٦/٣.

يعيل مئة أهل بيت في المدينة))^(١)، ولقد كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع المساكين في ظلمة الليل ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب، ولما مات علي بن الحسين (عليه السلام) وجدوا بظهره أثراً، فسألوا عنه، فقالوا: هذا مما كان ينقل الجرب^(*) بالليل على ظهره إلى منازل الأرامل^(٢). وقد اعتق غلاماً له، أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم أو ألف دينار^(٣).

وروي عن أخلاقه وكرمه انه: ((دخل على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل يبكي فقال: ما شأنك؟ قال: عليّ دين، قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار أو بضعة عشر ألف دينار، قال: فهيّ عليّ))^(٤). وكان يطعم الناس إطعاماً عاماً في كل يوم في يثرب، وذلك في وقت الظهر في داره^(٥)، وكان من علو خلقه وكرمه وإيمانه أنه كان يكرم الفقراء

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٦/٣.

(*) الجرب: مفردها جراب وهو ما يوضع على الكتف أو الظهر من أثقال يحملها الإنسان في سفره، وهو وعاء يصنع فيه المسافر زاده وأسباب سفره.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٥/٣.

(٣) م. ن، ١٣٥/٣.

(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٥/٣-١٣٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥٠/٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ٣٩٣/٢٠؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٤٠.

(٥) يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ٦/٣.

وإذا أعطى سائلاً يُقْبَلُهُ لئلا يرى عليه أثر الذل والحاجة^(١)، وإذا قصده سائل يرحب به ويقول له: مرحباً بمن يحمل زادي إلى دار الآخرة^(٢).

ولهذه الأخلاق السامية والشمائل الكريمة التي تحلى بها (عليه السلام) والتي أنتهلها من بحر الأخلاق العالية لأصله العريق ونسبه الوضاح الذي كان أساسه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخلقه العظيم، فقد دخل في قلوب الناس وأحبه القاصي والداني وأصبح مضرِباً لأمثال الناس في الكرم والخلق وحسن السجاياء وحبه للخير وسعيه للتواصل والتوَادد والتراحم، حتى أنه لم يغادر النفوس، ولم تلفظه القلوب والألسن بذكر حسن وحب صادق، حتى قال عنه محمد بن سعد: ((كان علي بن الحسين ثقة مأموناً كثير الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يكن في أهل البيت مثله))^(٣)، وروي عن الزهري قوله: ((ما رأيت قرشياً أفضل منه))^(٤)، ومن عظيم تواضعه أنه نهى عن رد السائل، فقد روى ثابت بن دينار (أبي حمزة الثمالي ت ١٥٠هـ) عنه أنه قال لمولاه له تسمى (سكينة): ((لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه فإنَّ اليوم يوم الجمعة، فقال له أبو حمزة: ليس كل من يسأل مستحقاً، فقال له: أخافُ أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطمعه ونرد فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم، أطعموهم))^(٥).

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٥/٣ وما بعدها.

(٢) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٦.

(٣) الدميري، حياة الحيوان، ١٣٩/١.

(٤) م. ن، ١٣٩/١.

(٥) المزي، تهذيب الكمال، ٣٩٢/٢٠.

ولهذا المعنى أشار الفرزدق في ميمته الكبرى التي امتدح بها الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) قائلاً^(١):

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

ومن شمائله وصفاته الحميدة أنه كان مسامحاً رؤوفاً بالعباد، خصوصاً ((أنه رأى انهيار الأخلاق الإسلامية، وابتعاد الناس عن دينهم من جرّاء الحكم الأموي الذي حمل معول الهدم على جميع القيم الأخلاقية فانبرى (عليه السلام) إلى إصلاح المجتمع وتهذيب أخلاقه))^(٢)، لأن الإمام (عليه السلام) كان يدرك تماماً بأن ((كل من يعمل مع الظالم يُسَلَبُ من دينه بمقدار ما يسلبه من دنيا الحاكم أما من ماله أو جاهه))^(٣).

فيروى أن هشام بن إسماعيل أساء إليه (عليه السلام) كثيراً ((ولقي منه علي بن الحسين أذىً شديداً فلما عُزل أمر به الوليد أن يوقف للناس، فقال: ما أخاف إلا من علي بن الحسين، فمر به علي، وقد وقف عند دار مروان، وكان علي قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض له احد بكلمة، فلما مر ناداه هشام بن إسماعيل: الله اعلم حيث يجعل رسالاته))^(٤).

وكان يعفو عمن أساء إليه^(٥)، ويترفع عن الحقد والكراهية، فقد روي أن رجلاً استطال عليه فتغافل عنه، فقال له الرجل: إياك أعني، فقال له الإمام

(١) الدميري، حياة الحيوان، ٩/١.

(٢) باقر شريف القرشي، رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)، ٩ وما بعدها.

(٣) زكي حسن، فقه التعاون مع الحاكم الظالم، ٦٦.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٣/٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٤١/٤.

(٥) الحراني، تحف العقول، ١٨٠ وما بعدها.

(عليه السلام): وإياك اغضي^(١)، وقيل أنه ((كان بين حسن بن حسن وعلي بن الحسين بعض الأمر، فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين وهو مع أصحابه في المسجد فما ترك أمراً إلا قال له، وعلي ساكت، فانصرف حسن، فلما كان الليل أتاه في منزله فقرع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له علي: يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت لي، فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك السلام عليكم، وولى، قال فاتبعه حسن فلحقه فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثي له، ثم قال لا جرمَ، لا تحدث في أمر تكرهه، فقال علي، وأنتَ في حل مما قلت لي))^(٢).

ومن آثار خلقه وصبره وعفوه وتواضعه، انه كان في يوم ((خارجاً من المسجد، فلقيه رجل فسبّه فثار إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل عليه، فقال له: ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل ورجع إلى نفسه، وألقى عليه الإمام خميصةً كانت عليه وأمر له بألف درهم، وكان الرجل بعد ذلك يقول: اشهد انك من أولاد المرسلين))^(٣)، وكان (عليه السلام) يتمنى أن يكون عامة الناس في حياة يملئها الأمن والأمان والعيش الرغيد، وان يعيشوا متحابين

(١) المزي، تهذيب الكمال، ٣٩٨/٢ وما بعدها.

(٢) المزي، تهذيب الكمال، ٣٩٧/٢ وما بعدها.

وانظر / الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٥.

وفيه أن الإمام (عليه السلام) ألقى له بخمسة آلاف درهم، فقال له أشهدُ انك من أولاد المصطفى (عليه السلام).

(٣) المزي، تهذيب الكمال، ٣٩٧/٢٠ وما بعدها.

متقاربين غير متباغضين وأن لا يحرص أحدهم على مصلحته دون الآخر، فكان (عليه السلام) يدعو الناس إلى محبة آل البيت (عليهم السلام) ليرفلوا بنعيم الدنيا وخير الآخرة وكان يقول ((من أحبنا الله ادخله الله ظلاً ظليلاً يوم لا ظل إلا ظله، ومن أحبنا يريد مكانتنا كافأه الله عنا بالجنة، ومن أحبنا لغرض دنياه آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب))^(١).

ومن جميل صبره وأناته: ((كان علي بن الحسين -عليه السلام- في مجلسه إذ سمع ناعية في بيته، فنهض إلى منزله وأسكتهم، ثم رجع إلى مجلسه فقالوا له: أَمِنْ حَدَثٍ كَانَتِ النَّاعِيَةُ؟ قال: نعم، فعزوه وعجبوا من صبره، فقال: إِنَّا أَهْلَ بَيْتٍ نَطِيعَ اللَّهِ فِيمَا نَحْبُ، ونحمده على ما نكره))^(٢).

ولكي يعطي للأخلاق النبوية طريقها الأسلم ومنازلها الأرفع فقد تعدت دماثة خلقه إلى الحيوان، فكان رؤوفاً به عطوفاً عليه، حتى قيل انه حج على ناقه له عشرين حجة ما قرعها بسوطٍ أبداً^(٣)، وكلما رفع عليها السوط قال: آهٍ لولا القصاص لضربتكَ^(٤).

وكان متواضعاً يجالس عوام الناس ويعين الضعفاء ويستمع إلى الصغير، فقد روي عنه أنه كان ((يدخل المسجد فيشق الناس حتى يجلس مع -زيد بن أسلم- في حلقتة، فقال له نافع بن جبير بن مطعم، غفر الله لك

(١) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٩٤.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٧/٣.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٣/٣ وما بعدها.

(٤) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٨٩/١.

أنت سيد الناس تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد، فقال له علي بن الحسين: العلم يتغنى ويطلب من حيث كان^(١).

نعم... لقد كانت أخلاق الإمام (عليه السلام) بهذا المستوى، بل ما يفوق ذلك، ولعل الشاعر يذكرنا بأخلاقه (عليه السلام) حينما وقف بقافيته على ذكر بعض هذه الخصال التي نذكر جزءاً منها^(٢):

عَشَقَ المكارمَ فاستهامَ بذكرها والمُكرّماتَ قليلةُ العِشاقِ
وأقامَ سوقاً للثناء ولم تكن سوقُ الثناء تُعدُّ في الأسواقِ
فاذكر صنائعَهُ فَلَسْن صنائعاً لكنَّهنَّ قلائدُ الأعناقِ
والثِّمَ أناملُهُ فَلَسْن أناملاً لكنَّهنَّ مفاتحُ الأرزاقِ

وبهذا فالإمام (عليه السلام) يجمع بين خُلق القرآن الكريم وسيرة النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) ومنهج أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) منذ نعومة أظفاره حتى فراقه في عرصات كربلاء يوم الفاجعة وهو حاضر بين أحداثها ورعيل المؤمنين من أصحاب أبيه مثّلوا القيم والتطلعات الشرعية والثقافية والأخلاقية، فكانوا ترسانة من القيم والسمو والصبر ((فمنهم المحدث الصحابي والقارئ الخطيب المفوه، والإعرابي الذي نزل منازل جهينة وأمثالها))^(٣).

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٧/٣ وما بعدها.

وقريب منه / ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٨؛ المزني، تهذيب الكمال، ٢٨٦/٢٠.

(٢) انظر / ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ١٢.

(٣) انظر / محمد علي الحلو، أنصار الحسين (عليه السلام)، ٢٥ وما بعدها.

لذلك تعلم الإمام السجاد (عليه السلام) من أبيه قيم الإنسانية فكان مشعلاً أنار الطريق للأجيال منذ ذلك الحين إلى أبد الدهر.

((فلا بدع إذن أن يحسن الإمام زين العابدين لمن أساء إليه، ولا عجب أن يفعل الأمويون ما فعلوا، وإنما العجب أن لا يحسن الإمام لمن أساء إليه، وأن لا يسيء الأمويون إلى من احسن إليهم وإلى الناس أجمعين))^(١).

لقد أجاد الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (رحمته الله) بقصيدته العظمى (في مدرسة الإمام السجاد - عليه السلام -) في درج بعض صفاته (عليه السلام) التي لا يستطيع أحد أن يتبوأ إحداها لو ملأ الدنيا صبراً وإيماناً، أنه يقول ببعضها^(٢):

فَلله رَوْحٌ فِيكَ ما ضاقَ رَحْبُها	وقلبٌ به حتى لمروانٍ راحمٌ
أجل: تلك أخلاقُ السماءِ أتى بها	من الله نهجٌ للمربين عاصمٌ
أيا راهباً في خَشَعَةٍ هُوَ والدُّجى	لوقِعَ مناجاةً بها الليل حالمٌ
تزاوَلُهُ من خَشيةِ اللهِ رعدةٌ	إذا خطرت بالوعي منه العزائمُ
وتنعشه من رحمةِ اللهِ هبةٌ	تمر بها للمتقين نسائمٌ
فمن أجل هذا كنت يا موئل التقى	تجليك (زين العابدين) المعاجمُ
ومن ثفاتٍ في جينك لوحت	تسميك (بالسجاد) تلك الوسائمُ
وما قلَّ عن ليلٍ نهارك رُتبةٌ	فأنت على الحالين حَبْرٌ وعالمٌ
كبار رزايا أطبقت منذ كربلا	وعاش ببقيا العمر فيها يلازمُ
مصارع أحباب وترويعُ نُسوةٍ	ونارٌ بأطنابٍ وسوطٌ وظالمُ

(١) محمد جواد مغنية، الحسين وبطلة كربلاء، ٤٧.

(٢) أحمد الوائلي، ديوان الوائلي، ١٥٤.

مشاهد بين الوجد والدمع عشتها
إلى أن ذوت روح وفاضت لربها
ونامت على رمل البقيع تبلها
فلا بارحت رمل البقيع مشاعر
بقيّة عمر لازمته المآتم
وفيها مآسي كربلاء معالم
سحائب حزن والدموع السواجم
زكت وقلوب بالولاء حوائم

المبحث الثالث: زوجات الإمام وأولاده

تزوج الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) من عدة زوجات، كانت أولهن هي ابنة عمه السيدة فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(١)، إضافة لزواجه من أمهات الأولاد^(٢).

وقد اتفق كل من روى عنه ذلك الزواج بأن ولديه محمد بن علي الباقر (عليه السلام) وزيد بن علي (الشهيد)، هما أشهر أولاده على الإطلاق، مما حدا بهم إلى الإكثار من ذكرهم وترجمتهم لهذين العلمين^(٣).

وكانت أم الإمام الباقر (عليه السلام) هي أم عبد الله فاطمة بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أما زيد الشهيد (عليه السلام) فكانت أمه أم ولد^(٤).

وقد وردت الأخبار عن ترجم للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بين متفق ومخالف من جهة، وبين مطنب وموجز من جهة أخرى، بشأن أولاده وزوجاته، من حيث عدد الذكور والإناث وعدد الأولاد أنفسهم من حيث بيان ذلك العدد.

فقد قيل أن له عشرة أولاد من الذكور والإناث^(١)، أو احد عشر ذكراً وأربع من الإناث^(٢).

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤٧/٣ وما بعدها؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٤٢؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٩١.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ٩٤.

(٣) المفيد، الإرشاد، ٢٩٣ وما بعدها.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ٩٤؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢٤٢؛ الشبلنجي، نور الأبصار،

وذكر ابن حزم بأن له ستة من الذكور وسبعة من الإناث فكانوا ثلاثة عشر^(٣)، بينما ذكر اليعقوبي بأن له ثمانية من الذكور وأهمل الإشارة إلى الإناث^(٤).

وذهب آخرون بأن له من الذكور والإناث سبعة عشر من أمهات شتى، وهم محمد الباقر (عليه السلام)، والحسن والحسين الأكبر، وعبد الله وأمه أم عبد الله بنت الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وعمر وزيد الشهيد وقيل أنهما توأمان^(٥)، وعلي وخديجة وأمهما أم ولد، وحسين الأصغر، وأم علي وتسمى (عليّة) وأمه أم ولد، والقاسم وأم البنين وفاطمة لأمهات أولاد شتى، وقيل وعبد الله^(٦)، وذكروا بأن أولاده هم^(٧):

محمد الباقر (عليه السلام) وعبد الله الباهر وأمهما أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وزيد الشهيد وعمر وهما توأمان.

والحسين الأصغر وعبد الرحمن وسليمان ومحمد الأصغر وعلي وهو أصغر ولده.

(١) ابن قتيبة، المعارف، ٩٤.

(٢) المفيد، الإرشاد، ٢٩٣.

وانظر / عبد الله محمدي، الحقائق عن الصواعق، ١٨٨.

(٣) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ٥٢.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤٨/٣.

(٥) ابن شهر آشوب، المناقب، ١٧٦/٤.

(٦) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٤٢.

(٧) ابن شهر آشوب، المناقب، ١٧٦/٤.

أما بناته فهن:

فاطمة وقيل كانت تحت محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(١)، وعليّة وأم كلثوم.

وورد في ذكر بعض الأسماء من بين الأولاد والبنات تبايناً عند بعض الباحثين تبعاً لاختلافهم في عدد أولاده، ولكن مما إتفق عليه الجميع ذكرُ ولديه الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، وزيد الشهيد الثائر (عليه السلام)، واللذين سنحاول إيراد بعض التفصيل بتراجمهم وبيان ذكرهم كونهما من أبرز أولاده الذي اعترف بفضلهما وعلمهما القاضي والداني، ومن خلال دراسة حياتهما يتبين لنا مدى سيرة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) العلمية وأثره فيهما .

الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

هو ((أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين)، الملقب بالباقر، أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق، وكان الباقر عالماً سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر لأنه تبَقَّر في العلم: أي توسع، والتبقر التوسع، وفيه يقول الشاعر :

يا باقر العلم لأهل التَّقَى وخيرَ من لَبَّى على الأَجْبَلِ^(٢))

فـ)) (هو ربيب مدرسة أبيه، زين العابدين -عليه السلام-، وجامع علومه، ووارث فضائله ومكارمه، وقد قام بدوره يحمل عبئ الأمانة العلمية

(١) ابن قتيبة، المعارف، ٩٤ .

(٢) ابن خلكان، وفیات الأعيان، ٣١٤/٣ .

ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٩٣ .

والزعامة الدينية في عصره، فاجتذب إلى مدرسته الصديق والمعاند، والمحِب والمبغض، واعترفوا جميعاً بفضلِه وعلمه))^(١).

ومولده بالمدينة المنورة يوم الثلاثاء المصادف الثالث من صفر سنة سبع وخمسين للهجرة، وقيل ان مولده كان يوم الجمعة، وقيل يوم الاثنين غرة شهر رجب المصادف (٦٧٦م)^(٢)، وكان عمره يوم قتل جده الحسين (عليه السلام) ثلاث سنوات.

ويرى صاحب (المصباح المتهجد) بأن ولادته على الأرجح كانت في يوم الجمعة في أول شهر رجب بناءً على ما جاء برواية جابر الجعفي^(٣). وأمه أم عبد الله بنت الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد توفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائة، وقيل في الثالث والعشرين من صفر سنة اربع عشرة، وقيل سبع عشرة، وقيل ثمان عشرة بالحميمة^(*)، ونقل إلى المدينة، ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي (عليه السلام) في القبة التي فيها قبر العباس^(٤).

(١) نور الدين آل علي، الإمام الصادق (عليه السلام) كما عرفه علماء الغرب، ٣٨.

(٢) انظر/ عبد الله عبد العزيز الحلبي، الفيض الوافر، ٥.

(٣) الطوسي، ٨٠١.

وانظر/ محمد بن عبد الكريم الطباطبائي، رسالة في تاريخ المعصومين (عليه السلام)، ١٣٩ وما بعدها.

(*) الحميمة: في معجم البلدان، بلد من أرض السُراة من أعمال عمان أطراف الشام كان منزل بني العباس.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣١٤/٣.

ويذكر لنا صاحب (الصواعق المحرقة) بأن الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) إنما ((سمي بذلك من بقر الأرض أي شقّها وأثار مخابئها، فلذلك هو أظهر من مخبئات كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منظمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم، وجامعه، وشاهر علمه، ورافعه، صفا قلبه، زكى علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف ولا تحتمله هذه العجالة))^(١).

لقد أدرك الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري والتقى به وقد أخبره النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) بأنه سيدرك الإمام الباقر (عليه السلام)^(٢)، مخاطباً إياه: ((يا جابر أنك ستعمّر بعدي حتى يولد مولود اسمه كاسمي يقر العلم بقرّاً، فإذا لقيتَه فاقراءه مني السلام))^(٣)، وحدث الذي أخبر به الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله) ((فكان جابر يتردد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادي يا باقر، حتى قال الناس: قد جُنَّ جابر، فبينما هو ذات يوم بالبلاط، إذ بصر بجارية يتوركها صبي، فقال لها: يا جارية، من هذا الصبي؟ قالت: هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقال: أدنيه مني، فأدنته منه، فقَبِلَ ما بين عينيه وقال: يا حبيبي، رسول الله يقرئك

(١) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١٢٠.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠٢/٤.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢١٢/٢.

السلام، ثم قال: نعت إليّ نفسي ورب الكعبة، ثم انصرف إلى منزله وأوصى فمات من ليلته))^(١).

ورواها المفيد بنفس المضمون عن الباقر (عليه السلام) فقال: ((دخلت على جابر بن عبد الله الأنصاري - رحمته الله - فسلمت عليه، فردّ عليّ السلام، ثم قال لي: من أنت؟ وذلك بعدما كُفّ بصره، فقلت: محمد بن علي بن الحسين - عليه السلام - فقال: يا بني أدنّ منّي، فدنوت منه، فقبّل يدي ثم أهوى إلى رجلي يقبلها فتنحيت، ثم قال لي: إنّ رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقرئك السلام، فقلت: على رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، وكيف ذلك يا جابر؟ فقال: كنت معه ذات يوم فقال لي: يا جابر تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين - عليه السلام - يهب الله له النور والحكمة فاقرأه مني السلام))^(٢)، وبلطف آخر أنه قال لـ (جابر) ((يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدًا لي من الحسين - عليه السلام - يقال له محمد يبقر الدين بقرا، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام))^(٣)، وللإمام محمد الباقر (عليه السلام) كرامات عظيمة ظهرت له آنذاك حيث كثرت إشاراته إلى الارتقاء بالسلوك القويم والخلق العظيم، ولقب بالباقر لأنه بقر العلم، أي شقه فعرف أصله وخفيه^(٤).

وكان الإمام الباقر (عليه السلام) عالماً ((وبرز في الفضل والعلم والزهد والسؤدد، كان أنبهم ذكراً، وأجلهم في العامة والخاصة، وأعظمهم قدراً

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢/٢١٢.

(٢) المفيد، الإرشاد، ٢٩٤ وما بعدها؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٤٧.

(٣) المفيد، الإرشاد، ٢٩٤؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٤٧.

(٤) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٤٧؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٧.

ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين (عليهما السلام) من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة، وفنون الآداب، ما ظهر عن أبي جعفر - (عليه السلام) ^(١).

((وروى عنه جلّ علماء المسلمين وبقايا الصحابة ووجوه التابعين، ورؤساء وفقهاء المسلمين، وصار بالفضل علماً لأهله، تضرب به الأمثال، وتشير بوصفه الآثار والأشعار)) ^(٢).

وكان (عليه السلام) يوصي ولده جعفر الصادق قائلاً له: ((أنصف الناس من نفسك وواسهم في مالك، وارض لهم بما ترضى لنفسك، واذكر الله كثيراً، وإياك والكسل والضجر))

وبهذا يكون قد ((قدّم السجاد لنا ابنه الباقر ثم قدم الباقر ابنه الصادق فكانوا مثلاً علياً في العزوف عن السلطة والانصراف إلى تعليم الناس العلم الصحيح والعمل الصالح والأسوة الحسنة)) ^(٣). وقد اختلفوا في سنة وفاته مثلما اختلفوا في سنة ولادته على روايات أرجحها انه مات مسموماً سنة (١١٤هـ) ^(٤)، وقيل سنة أربع عشرة ومائة عن عمر ناهز ثلاث وستون سنة ^(٥).

(١) المفيد، الإرشاد، ٢٩٣.

(٢) م. ن، ٢٩٣.

(٣) عبد الحليم الجندي، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، ١٦٨.

(٤) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٥.

(٥) الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٩.

الإمام زيد الشهيد (عليه السلام)

هو الشهيد المصلوب زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو أخو الإمام محمد الباقر وعم الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، وهو الذي تنتسب إليه الزيدية، وكان زيد (عليه السلام) إماماً مجتهداً فقيهاً شاعراً، وكان يقال له (زيد الازياد)، صُلِبَ عُرياناً، وأقام مصلوباً أربع سنين حتى نسجت العنكبوت على عورته فلم تُرَ عورته بعد ذلك، وقيل أن بطنه الشريف ارتخت وطويت على عورته^(١)، فلم تُرَ بعد، ولا مانع من وجود الأمرين، ويروى بأنه وُجِّهَ لغير القبلة عند صلبه فدارت الخشبة التي صُلِبَ عليها مُتجهَةً نحو القبلة وصار وجهه متجهاً إليها، وقد حرق خشبه مع جسده فصار رماداً وأذري في الريح على شاطئ الفرات بسبب خروجه على هشام بن عبد الملك، وقد حاربه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقيين من قبل هشام، وقد قُتل بعد أن خذله أصحابه هارين، فأصيب بسهم في جبهته وبعد استخراجِه استشهد (رحمته الله)، ودفن واخفوا قبره واجروا عليه الماء، وقيل أن هشاماً أمر بصلبه عُرياناً وهو القائل (رحمته الله)^(٢):

لا تطيعوا أن تهينونا ونكرمكم ما إن نكف الأذى عنكم وتأذونا

نشأ زيد (عليه السلام) وترعرع في حجر أبيه السجاد (عليه السلام)، كما سمع من أخيه الباقر وابن أخيه الصادق (عليهما السلام)، ومنهم اخذ لطائف المعارف وأسرار الأحكام، فصار من عمالقة العلم وأكابر المناظرين بين الملل والأديان فكانت له صولات في حلبة العلم وجولات في ساحات العرفان^(١). فظهر (عليه السلام) في الكوفة في السنة السابعة عشر من خلافة هشام وهي سنة (١٢٢هـ) في قلة من أصحابه، وكان عليها يوسف بن عمر الثقفي في جيش عظيم، وقد قاتلهم زيد قتالاً شديداً حتى قتل في صفر عام (١٢٢هـ)، وتم صلبه في كناسة الكوفة^(٢)، وكان قتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة، وكان عمره حينذاك اثنين وأربعين سنة^(٣)، وكان لزيد لقاءات ومخاطبات مع الخلفاء الأمويين نقلها لنا الرواة، وخاصة مع هشام بن عبد الملك، حيث يروى أنه ((دخل زيد بن علي على هشام فقال: ما فعل أخوك البقرة؟ قال زيد: سماه رسول الله - ﷺ - باقراً وتسميه بقرة لقد اختلفتما))^(٤).

ويروى أيضاً بان مخاطبته مع هشام ((بأنه قال يوماً لزيد أنك تريد الخلافة ولا تصلح لأنك ابن أمة، فقال: قد كان إسماعيل بن أمة وإسحاق

(١) عبد الرزاق المقرم، زيد الشهيد، ١٨.

(٢) المسعودي، التنبيه والاشراف، ٢٧٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٢٤٠/٥؛ المفيد، الإرشاد، ٣٠٢.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢١٢/١.

بن حرة فاخرج من صلب إسماعيل خير ولد آدم، فقال له هشام قم فقال: إذن لا تراني إلا حيث تكره^(١).

وقد روى عن طريق أبيه من جديه الحسن والحسين (عليهما السلام) من أبيهما (عليه السلام) وجدهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢)، وكان مفسراً للقرآن الكريم^(٣)، حيث كان يقال له ((ذلك حليف القرآن))^(٤)، وكان عابداً، ورعاً، فقيهاً، سخيّاً، شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٥).

ويُعدُّ زيد (عليه السلام) مصدراً مهماً في رواية صحيفة أبيه (الصحيفة السجادية) ولولاه هو وولده يحيى (عليهما السلام) لاندurst مضامين هذه الصحيفة، وهما اللذان قاما بإيصال نصها إلى الإمام الصادق (عليه السلام) سالمة رغم كل محاولات الأمويين النيل منها وشلّ وصول مفاصلها إلى الهدف المنشود، وروي أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال حين رآها ((هذا والله خط عمي زيد ودعاء جدي علي بن الحسين -عليهما السلام-))^(٦)، وقال أيضاً بصددتها ((هذا ميراث عمكما يحيى من أبيه قد خصكما به دون أخوته))^(٧).

(١) انظر / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٣/٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٤١/٤؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٤٣؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ٢٠١؛ الشبلنجي، نور الأبصار، هامش ٢٤٣.

(٢) المفيد، الامالي، ٧٥.

(٣) م. ن، ٧٥.

(٤) المفيد، الإرشاد، ١٠٣.

(٥) م. ن، ١٠٣.

(٦) الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية الكاملة، ٧ وما بعدها.

(٧) م. ن، ٧.

وقال عنه الإمام أبو حنيفة: ((ما رأيت مثل زيد ولا افقه منه ولا أعلم منه))^(١).

وكان الإمام زيد بن علي (عليه السلام) المجاهد في سبيل الله، الداعي إلى الله، الناصح لدين الله، كان شامة أهل زمانه، وجوهر أقرانه، وإمام أهل بيت النبوة في وقته، فتح الله عليه بالعلم بعد أن أخذ على جماعة كآبيه زين العابدين وجابر بن عبد الله الأنصاري))^(٢).

وقال الشعبي: ((ما ولدت النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفقه ولا أشجع ولا ازهد))^(٣).

وقال عنه جابر: ((سألت محمد بن علي الباقر عن أخيه زيد فقال: سألتني عن رجلٍ مُلأَ إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى قدمه وهو سيد أهل بيته.

وسُئِلَ الإمام الباقر (عليه السلام) عن أخيه زيد (عليه السلام) فقال: ((إن زيد أعطي من العلم بسطة))^(٤).

ويذكر أن جابراً الجعفي حفظ سبعين ألف حديث عن الباقر، فكيف بالنسبة لزيد الذي أقرَّ له الباقر (عليه السلام) ببسطة العلم^(٥).

ولأهمية زيد الكبرى فقد ترجم له كبار العلماء:

(١) زيد بن علي، مسند الإمام زيد، ٧.

(٢) م. ن، ٧.

(٣) م. ن، ٧.

(٤) م. ن، ٧.

(٥) انظر/ زيد بن علي، مسند الإمام زيد، ٨ وما بعدها.

فقد ترجم له ((الذهبي في ترجمة جابر الجعفي، والحافظ المزي في تهذيب الكمال، والحافظ ابن عساكر، والديلمي في الأذكار، وترجم له أيضاً في النبلاء، وقد ترجم له المقرئ في المواعظ والاعتبار، وابن خلدون في العبر، وابن الأثير والحاكم في جلاء الأبصار، وابن عنبه في بحر الأنساب، وغيرهم مما يطول ذكره))^(١).

ولو لم يؤثر عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) سوى ولديه الباقر وزيد (عليهما السلام) لكفاه ذلك فضلاً وعلماً ولكن آثاره واضحة في كل علماء وفقهاء عصره ((وقتل زيد بن علي - عليه السلام - يوم الجمعة في صفر سنة إحدى وعشرين ومائة))^(٢)، وقيل يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة (١٢٢هـ) وله من العمر اثنان وأربعون سنة))^(٣).

هذا و(الزيدية) نسبة إلى الإمام زيد الشهيد (عليه السلام) وقد أصبحت فيما بعد فرقة كبيرة وهي تؤمن بإمامة زيد، وكان ظهورها في زمن هشام بن عبد الملك في الدولة الأموية^(٤).

(١) م . ن ، ٨ وما بعدها .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ٩٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٤/٤ .

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٢٤٠/٥ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٠/٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٤٠/٤ .

(٤) ابن النديم، الفهرست، ٢٦٧ .

وانظر/ نبيل جواد محمد الخاقاني، الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ودوره في أحداث عصره، ٤٤.

حيث عُدَّت هذه الفرقة امتداداً لثورة زيد الشهيد (عَلَيْهِ السَّلَام) والتي أصبحت فيما بعد فرقة لا يمكن أن يستهان بها بين الفرق الإسلامية.

الفصل الثاني

عصر الإمام (عليه السلام)

المبحث الأول: الحياة السياسية ودور الإمام (عليه السلام) فيها

إن الفترة الزمنية التي عاشها الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) كان يسودها القلق السياسي والاضطرابات والفتن، فقد عاصر الإمام مرحلة الانتقال من الخلافة الراشدة المتمثلة بعظماء الأمة الإسلامية ومسلميها الأوائل إلى الدولة الأموية التي جاءت على أعقاب وقائع واضطرابات أدت إلى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى مجيء الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) الذي تنحى عن السلطة بتدبير، كي لا يُعرض المسلمين لفتنة كبرى كانت تقودها البغاة الذين لا يراعون في حفظ بيضة الإسلام وليس لهم من الضمير والأخلاق بصيص من النور، لذلك كان (عليه السلام) واضعاً مصلحة الإسلام العليا نصب عينيه فحقن دماء ما بقي من الرعيّل الأول من المسلمين واستطاع أن يخرج الأمة إبان تلك الفترة من عنق الزجاجة.

والتزم (عليه السلام) - أعني الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) - بوصايا والده (عليه السلام) في أن لا يريق قطرة من دماء المسلمين إلا بالحق، فبادر إلى ترك كل ما يكلفهم ذلك، بعد عهود جوفاء وضعها الذين جندوا أنفسهم لخدمة الباطل تحت أقدامهم ولهثوا راكضين وراء الزيف وتكذيب الحقائق وتشويه القيم والأخلاق .

لذلك كان الحسن بن علي (عليه السلام) بين الاختيار والإلزام فقرر التنحي من الحق الذي أولاه المسلمون له في تولية أمورهم من قبله، لأنّ في هذا

التنحي حفظاً لدمائهم وعرضهم وصيانة لمبادئه وقيم الإسلام الكبرى. ولو لم يتنحي الإمام (عليه السلام) عن ذلك لذهب كل ذلك هدرًا لا سامح الله، ولعادت الجاهلية من جديد واكل قويهم ضعيفهم، ولأعيد قتل المؤودة مرة أخرى، ولأصبح دين محمد (صلى الله عليه وآله) هباءً منثوراً. فاضطر أخيراً إلى مهادنة معاوية بن أبي سفيان بشروط تخص مصلحة الإسلام بعد حوالي ستة اشهر من حكمه الذي استدام له، وذلك في ربيع الأول سنة (٤١هـ) ^(١).

ولو لم يكن للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) دور سياسي في حياة معاوية بن أبي سفيان، ولصغر سنّه لا نستطيع القول بأن الإمام وعى تلك الأحداث جيداً والتي أدت بعودة الركب الهاشمي إلى المدينة المنورة. ولوجود عمه الحسن وأبيه الحسين (عليهما السلام)، ولكنه راقب وشاهد وسمع ووعى الأحداث عن قرب.

وعلى أية حال فقد عاصر الإمام السجاد (عليه السلام) هذا الطاغية - معاوية - بل واعى السلاطين الذين تمرّدوا واستباحوا القيم والأخلاق، بل واستهتر وتمادى على الأسس التي أرساها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في توطيد عرى الإسلام، وجهد من اجل ترصين قواعده.

إن هذه الشراسة التي اختص بها معاوية وجراً غيره عليها تمثلت في عرقلة الطريق الذي أنتهجه القرآن الكريم والأنبياء والصالحون من السلف، ويكفيه حسّة إعلان حربه ضد أمير العدالة والشرف وقائد جيوش الإسلام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إضافة إلى فسقه وتحايله على عدم الإيفاء في

العهود ومنه العهد الذي وقعه مع الإمام الحسن (عليه السلام) وتمرده على القيم والأخلاق والإنسانية، كما يكفيه عاراً أن أقرب الناس إليه زوجته وهي أم أحب أولاده إليه يزيد قد كرهته وذمته وهي ميسون بنت بجدل بن أنيف بن دلجة الكلبي النصرانية قبل الإسلام وبعده^(١)، حيث روي أن معاوية جاء بها من البادية إلى الشام وكانت لم تتوطن معه على حب إمبراطوريته وثرائه، فكانت تحن إلى منازل قومها وأهلها دوماً، ولم تكثر يوماً بما وفر لها معاوية من ترف وبذخ، وفي ذات يوم كانت تردد هذه الأبيات فسمعها معاوية تنسدها قائلة^(٢):

لِلْبَسِ عِبَاءٌ وَتَقَرُّ عَيْنِي	أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشَّفُوفِ
وَبَيْتٌ تَخْفُقُ الْأَرْيَاحُ فِيهِ	أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفِ
وَبَكَرٌ تَتَّبِعُ الْأَظْغَانُ صَعْبٌ	أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَغْلِ زَفُوفِ
وَكَلْبٌ يَنْبُحُ الْأَضْيَافَ دُونِي	أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَرٍّ أَلِيفِ
وَحِرْقٌ مِنْ بَنِي عَمِّي فَقِيرِ	أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَلَجٍ ^(*) عَنِيفِ

فقال لها معاوية، أما رضيتي يا بنت بجدل حتى جعلتيني علجاً عنيفاً، إلحقي بأهلك، فمضت إلى بادية بني كلب ويزيد معها، وقيل ان معاوية طلقها وهي حامل به^(١).

(١) القلقشندي، نهاية الأرب، ٣٦٥.

وانظر / حيدر موسى وتوت الحسيني، وقعة الحرة، ١٥٨.

(٢) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١٩٢/١ وما بعدها.

(*) علج: على وزن فَعَلَ وهو الواحد من كفار العجم.

انظر / الرازي، مختار الصحاح، ٤٤٩.

ومع هذا التدهور والسذاجة لدى معاوية بتهاونه مع الأخلاق والقيم السماوية فالعجب كل العجب الذي يديه ذوو العقول المنحسرة في الدفاع عنه، فهذا عبد الله سالم مليطان يقول: ((وليس علياً - خليفة عنه - إلا عبداً من عباده الذين اهتدوا إلى الحق باتباعهم نبيه محمد - صلى الله عليه - ونصرته على أعداء الله الذين واجهوا دعوة رسوله، وما معاوية - خليفة عنه - إلا عبداً هو الآخر من عباده الذين ارتضوا دعوة رسول الله - صلى الله عليه - ودافعوا عن دينه، ما بنوا أمة إلا بشراً ممن خلق الله تعالى منهم من آمن برسوله واتبع هدى الله كمعاوية - خليفة عنه...))^(٢).

أسأل القارئ بالله عليه ماذا يحكم على هذا القول ... إنني أترك الحكم لكل ذي عقل ولكل من يمتلك ذرةً واحدةً من العفة والشرف ... ألم يكن هذا كلاماً لم يصدر لا عن تروٍّ ولا فكر...!!.

ثم يواصل هذا الخبيث كلامه ليُفصِّحَ عن حَقِّه على عليّ (عليه السلام) بقوله: ((وإذا كان كفار قريش الذين ناصبوا رسول الله - صلى الله عليه - العداء ودَبَرُوا له المكائد ليشنوه عن رسالته، واليهود رغم ما أبرم معهم من معاهدات كشفوا في نهاية الأمر عن حقيقتهم وخرجوا على الرسول - صلى الله عليه - مبرزين عدائهم له علناً وفي رابعة النهار، فإن الشيعة كانوا أدهى خُبثاً وأبشع عداءً حين تسللوا للنيل من الإسلام ملتفين حول آل بيت الرسول رضوان الله عليهم...))^(٣).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٥٥/٨.

(٢) بنو أمة على منبر الرسول، ١٠.

(٣) عبد الله سالم مليطان، بنو أمة على منبر رسول الله، ١٠ وما بعدها.

نعم... هذا هو الحقد على عليٍّ (عليه السلام) وآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى من والاه علناً حيث يظهر الحق من فلتات اللسان.

((إن معاوية وإن إستهتر بقيم المسلمين وحقوقهم إلا أنه اشترى ضمائر كثير من ذوي المكانة والنفوذ في المجتمع، كما أنه أحكم أمر سلطانه، وزاد في قوة دولته بالترغيب والترهيب))^(١).

فكان قبال هذا الصلف والاستهتار والسخف الصادر من قبله، إنَّ ((أمير المؤمنين - عليه السلام - كان قمة في الزهد والتعبد))^(٢)، ولكن التاريخ لا ينظر إلى هذا الأمر بعين واحدة فإنه يسجل أحداثه، رغم ما بذله معاوية في عطاء لرذلائه وشرذمته، فحب علي يسري حتى في قلوب أعدائه مراراً ومراراً ولكنهم لا يفصحون عن ذلك الحب خوفاً أو طمعاً أو عنجهية^(٣).

كل هذه الأحداث ونكول معاوية عن الوفاء والأخلاق يزداد لحظة بعد أخرى، وعصيانه على القيم السماوية يظهر إلى الوضوح وينجلي عنه الغموض يوماً بعد آخر، وهذا كله يجري والإمام علي بن الحسين (عليه السلام) يعاصر مجرياته ويعيش لحظاته ويتألم لمرارته على الناس عموماً وآل رسول الله (صلى الله عليه وآله) خصوصاً، ولو أنه كان لم يستطع الرد عليه مباشرة ومخاصمته معاًينة لأنه كان في بدء عمره وباكورة حياته، حيث في هذا الوقت ((سعى السياسيون منذ البدء خصوصاً في عصر بني أمية وبني العباس

(١) محمد سعيد الحكيم، فاجعة الطف، ٤٨٦.

(٢) محمد جواد الفقيه، سلسلة الأركان الأربعة، ١٣٤/١.

(٣) انظر ذلك في / سامي البدري، الحسين (عليه السلام) في مواجهة الضلال الأموي، ٦٣ وما بعدها.

أن يسدلوا الستار على أهل بيت النبوة (عليه السلام) ويسلبوهم كل ميزة تؤدي إلى تفوقهم وانتصارهم، بل لم يتوانوا - عند لزوم الأمر - في الاستفادة من عنوان واسم أهل البيت (عليه السلام) في تحقيق مآربهم في حين أنهم رفضوا رد الحق إلى أصحابه))^(١).

وبعد وفاة عمه الحسن بن علي (عليه السلام) عام (٥٠هـ)^(٢)، تسنم أبوه الحسين بن علي (عليه السلام) زعامة البيت الهاشمي أولاً واتجهت إليه أنظار المسلمين كونه القائد الذي يمثل خط الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلفائه الراشدين بعد أن لاحظوا وعاصروا عشرين عاماً من الحكم الأموي بين موافق على مضض ومخالف معترض، وقد شذَّ الكثير من نظم الدولة عن المنحى الإسلامي المرسوم لها إذ تحول النظام السياسي الإسلامي من مبدأ الشورى إلى النظام الوراثي دون النظر إلى شخصية الخليفة المستخلف، ومن هنا بدأت هموم الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) تكبر معه ((حيث اكتوى يافعاً بوفاة عمه الحسن مسموماً على يد معاوية، وفجع في عنفوان شبابه باستشهاد أبيه الحسين وأخوته وأهل بيته على رمضاء كربلاء مخضبين بالدماء، وسائر ركب الأسارى من عقائل النبوة من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام، ومن الشام إلى المدينة المنورة بصحبة أجلاف الناس وأوغاد الحكم الأموي الذين لم يرقبوا إلا ولا ذمة فيها لرسول الله - (صلى الله عليه وآله وسلم) -))^(٣).

(١) مرتضى الحسيني الشيرازي، الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين، ٩٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٤/٣.

وانظر / السيوطي، تاريخ الخلفاء، ١٩٢.

(٣) محمد حسين علي الصغير، الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ١٦.

ومن مجمل الأحداث السياسية في العشرين عاماً الأولى للدولة الأموية^(١)، يتبين أن النهج السياسي الذي اعتمدته هذه الدولة والذي أوجد عدم الرضا كان له أكبر الأثر في نفوس عموم الصحابة والتابعين وخاصة آل البيت (عليهم السلام) منهم والذين رأوا من اللازم عليهم أن يعارضوا هذه السياسة الدنيوية وأن يتحملوا الأذى من خلفائها^(٢).

فبرز على الساحة السياسية الحسين بن علي (عليه السلام) كونه القائد الأوفق لمسيرة الأمة بعد إعداده الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) بأحاديثه التي صرحت بفضله ومنزلته العظيمة عند خلفائه الراشدين، حيث جعل الخليفة عمر بن الخطاب عطائه وعطاء أخيه الحسن (عليهما السلام) أكثر من عطاء الكثير من عظماء الصحابة، وقد أزداد عطائهما على عطاء ولده عبد الله، فقد أعطى الحسين (عليه السلام) عشرين ألف درهم وأعطى ولده عبد الله ألف درهم، فعاتبه عبد الله على ذلك وقال قد علمت سبقي في الإسلام وشجرتي وأنت تفضل عليّ هذين الغلامين، فقال له ويحك يا عبد الله، أتني بجَدٍ مثل جدهما، وأنا أعطيك عطائهما^(٣).

كذلك فإن موقف الإمام الحسين (عليه السلام) من الفتنة على الخليفة عثمان والدفاع عنه في بيته وإعداد أبيه له في حروبه ومواقفه السياسية، كل ذلك يفصح عن سموهم وتميزهم عن الناس.

وانظر / مرتضى الحسيني الشيرازي، الإمام الحسين (عليه السلام) وفروع الدين، ٣٢ وما بعدها.

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٤٢/٢ وما بعدها.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٣١/٣ وما بعدها.

(٣) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢٤٥.

وأخيراً موافقة معاوية لشرط الإمام الحسن (عليه السلام) في عودة الأمر السياسي إليه بعد معاوية، أعطته كل تلك الأمور لأن يكون المرشح الأول بعد معاوية، وإن كل منازع له هذا الأمر فهو مماطل باطل لا شرعية له، وكانت هذه حقيقة سياسية في كل أمصار البلاد الإسلامية وبالأخص في الكوفة ومكة والمدينة المنورة وحواضر العالم الإسلامي وعواصمه آنذاك. وهنا كان من الواجب على الحسين (عليه السلام) أن يدافع عن مصالح الإسلام والمسلمين وإن يقف موقفاً يرسم الخط الأمثل لوضع الإسلام الصحيح عند هكذا أحداث، وذلك لأن الوقائع تجري ولا تنتظر أحداً، وهذه الوقائع هي الشغل الشاغل لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الله سبحانه وتعالى خلقهم رحمة للعباد كما كان جدهم (عليه السلام) كذلك من قبل.

((لقد كان الحسين -عليه السلام- يفكر بمستقبل الإسلام والمسلمين باعتبار أن الإسلام سينشر بين الناس نتيجة لتضحياته ولجهاده المقدس وإن نظامه السياسي والاجتماعي سيقام في مجتمعنا، فرفع لواء المعارضة والنضال والتضحية))^(١).

ولهذا ضيق معاوية على الإمام الحسين (عليه السلام) حياته وحبس عنه صلاته حتى ضاقت عليه حاله، وقد عوتب معاوية على ذلك^(٢)، لذلك فإن أسرار بني أمية قد تفتحت وامتثلوا فرحاً وغبطة واحتفاءً بمقتل الحسين (عليه السلام) رغم أنه لم يكن ((كيوم العاشر من المحرم في مآسيه وكآبته

(١) روح الله الخميني، نهضة عاشوراء، ٥٠.

(٢) محمد احمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، قصص

وكوارثه، فلم تبقَ محنة من محن الدنيا، ولا فاجعة من فواجع الدهر إلا جرت على ريحانة رسول الله (ﷺ)، فلا يوم مثل ذلك اليوم الخالد في دنيا الأحرار^(١).

وما أن انتهت خلافة معاوية في (٦٠هـ) والتي دامت تسعة عشر عاماً وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً^(٢)، حتى خلف من بعده ابنه يزيد وقد كان ((يبادر بملذاته ويجاهر بمعصيته ويستحسن خطاه، ويهون الأمر على نفسه في دينه إذا صحت له دنياه))^(٣)، ولما استتب الأمر ليزيد هذا لم يكن همّه إلا إخضاع أهل الحجاز والصحابة منهم بصورة خاصة على الرغم من توصيات أبيه فيهم خيراً^(٤)، وكان ذلك شغله الشاغل فكتب إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ((أما بعد فخذ حسناً وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام))^(٥).

وكان الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) يومذاك شاباً يافعاً وقد بلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً يعي تماماً ما يدور حول الدولة الإسلامية من أحداث جسام. وقد بدأت متاعب بني هاشم ومعاناتهم تزداد وبصورة خاصة في عهد يزيد بن معاوية والذي أصبح شغله الشاغل الحصول على

(١) باقر شريف القرشي، العباس بن علي (عليه السلام)، ١٧٨ وما بعدها.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٨٠/٦.

(٣) المسعودي، التنبيه والأشراف، ٢٦٤ وما بعدها.

وانظر / المسعودي، مروج الذهب، ٧٧/٣.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٧٩/٦ وما بعدها.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٨٨/٦ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٦٣/٣.

بيعة أولئك النفر ولو بالإكراه^(١)، وتواردت الأوامر منه على والي المدينة بضرورة أخذ البيعة من الحسين بن علي (عليه السلام)، والذي يمثل آنذاك أول تلك الأقطاب معارضةً لحكمه ((وسيد العرب الذي لا يعدل به أهل الحجاز أحداً))^(٢).

ولا أظن أن الأمر ينتهي بأخذ البيعة من الحسين (عليه السلام) ليزيد، ولو كان كذلك لانتهى الأمر بموافقة أحد طرفي النزاع وإلا تمت المصالحة من قبل إبان حكم معاوية، فلم تلك المضايقات إذن؟.

ولكن الأمر كان أبعد من ذلك فهو من قبيل التحرشات والمحاولات في تخطئة الصحيح وجلب الأذى لأشرف بيوتات الخلق ذلك هو بيت المصطفى (عليه السلام)، وكان عمق الأمر يتجلى باستئصال جذور كل معارضة تصدر من غير بني هاشم، فالتطاول على مقام هؤلاء يفتح الباب ليزيد أو غيره بالتطاول على مقام من هم دونه في الفضل والمقام والهيمنة على مقدرات الناس عموماً، والإمام الحسين (عليه السلام) يعرف ذلك جيداً ويدركه. ومما يؤكد ذلك آخر أوامر يزيد صدوراً إلى الوليد والذي جاء فيه ((أما بعد فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانية على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم وليكن مع جوابك رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك جعلت لك أئنة الخيل ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر))^(٣).

(١) انظر / المسعودي، مروج الذهب، ٣/٧٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/٢٦٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/٢٦٦.

(٣) ابن اعثم، الفتوح، ٥/٢٦.

وما كان للإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته بديلاً بين أن يموت باغتيال يدبرونه له بعد اخذ البيعة منه، كما تمّ ذلك لأخيه الحسن (عليه السلام)^(١)، أو الثورة والقتل تحت أسنة الرماح بالعز والكرامة والإباء، دفاعاً عن موقف الإسلام ومبادئه الأصيلة، فكانت واقعة الطف الأليمة والتي أفردنا لها مبحثاً خاصاً يتميز بالخصوصية لدقة مجرياتها وأثرها في حياة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) والذي واكب أحداثها السياسية والحربية، ولولا مرض ألمّ به أقعده عن الجهاد لكان (عليه السلام) أحد شهدائها الأبرار، ولم يواكب أحداثها فحسب بل واكب أحداث ما بعدها واحتمل في ذلك ما لا يحتمل وكان صبوراً جلدًا، وما وقف موقف المهادنة والتخاذل والذل، بل على العكس من ذلك كان له لسان أمضى من السيف في مجريات أحداث واقعة الطف وخطبته العصماء في الكوفة ودمشق والتي أرسى من خلالها انكشاف حقيقة الوضع السياسي لبني أمية وتدهور سمعتهم أكبر دليل على ذلك، وكانت هذه المواقف التي اتخذها الإمام السجاد (عليه السلام) سبباً لعدة حركات توالى على البلاط الأموي، وربما أعطت الشرعية للقائمين بها رغم اختلاف نواياهم.

ولم تدم خلافة يزيد طويلاً، فهي لم تتجاوز سوى ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمان ليالٍ^(٢)، وقد هلك في النصف من شهر ربيع الأول سنة (٦٤هـ)^(١).

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ١٩٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٦٣/٣.

وقريب منه / ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٦٣/١.

وما أن هلك يزيد بن معاوية حتى أخلف من بعده ابنه معاوية الثاني والذي ارتأى الاعتزال والاستقالة وترك الحكم، لما رأى الأمة الإسلامية بتلك الحالة السياسية المائجة والمضطربة، فالحجاز دولة ضربت فيها السكة باسم عبد الله بن الزبير، والبصرة مستقلة تدعو إليه وعليها أخوه مصعب، وبالكوفة المختار بن أبي عبيد الثقفي، والتوابون زاحفون إلى الشام وتحت كل تلك الرايات جمع لا يستهان به من الصحابة والتابعين.

فمن أجل أن لا يُحمّله التاريخ بعض تبعات تلك الفتن والحروب، جمع المسؤولين وقادة الجيش وكبار الدولة وطبقات من أهل الشام، وقام فيهم خطيباً بعد حمد الله والثناء عليه، وصلى على النبي (ﷺ) مبنياً لهم موقفه بقوله: ((أيها الناس أن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه لقرابته من رسول الله - ﷺ - وهو علي بن أبي طالب، وركب بكم ما تعملون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياهم، ثم تقلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه، وأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، وصار في قبره رهيناً بذنوبه، وأسيراً بجرمه، ثم بكى، حتى جرت دموعه على خديه، ثم قال: إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، قد قتل عترة رسول الله (ﷺ)، وأباح الحرم، وخرب الكعبة، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، والله لئن كانت الدنيا خيراً فلقد نلنا منها حظاً، ولئن كانت شراً فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها، إلا فليصلي بالناس حسان بن مالك، وشاوروا في خلافتكم

رحمكم الله، ثم دخل منزله وتغيب حتى مات في سنته بعد أيام^(١)، وقيل مات مسموماً^(٢).

وتوالى الأحداث السياسية واستمرت الانقسامات تدب في جسد الدولة، وفي خضم هذه الانقسامات آل الأمر من البيت السفيفاني الأموي إلى البيت المرواني الأموي أيضاً. فتسلم مروان بن الحكم بن العاص دفة الحكم، وبدأت الأحداث تتخذ مرحلتها الجديدة بتسلط هذا الطاغية الجديد على مفاصل الدولة، وقبل ذلك كان للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) فضلٌ على مروان بن الحكم بن العاص الذي كاد أن يتعرض لأمر قد يكلفه حياته وحياة أهل بيته، لولا إنقاذ الإمام (عليه السلام) له، وذلك في واقعة الحرة في المدينة المنورة عام (٦٣هـ) حيث ((آوى - علي بن الحسين - إليه ثقل مروان بن الحكم وامراته عائشة بنت عثمان بن عفان، وآمنهم وارسل معهم ولده عبد الله ليوصلهم إلى الطائف))^(٣)، وقد ذكر مروان ذلك الأمر بنفسه حينما كاتب عبد الله بن علي بن الحسين، حيث صلب زوجته إلى الطائف، ((وكتب مروان إلى عبد الله بن علي: أني لا أظن هذا الأمر إلا صائراً إليكم فإذا كان ذلك فاعلم أن حرماً حرملك، فكتب إليه عبد الله إن الحق لنا في دمك وإن الحق علينا في حرملك))^(٤)، وقد بينا أن من آثار

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٦٤/١.

وقارنه مع / الديميري، حياة الحيوان، ٦١/١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣٤/٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣١٩/٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٨/٧، ١٢.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مج ١، ٢٠٥/١.

واقعة الطف على الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أنه اعتزل السياسة، واتخذ الحذر طريقاً بعد أن شاهد ما حلَّ بعمه وأبيه وأهل بيته من قبل.

وهلك مروان بدمشق في عام (٦٥هـ)^(١)، والدولة الإسلامية تموج اضطراباً بالأحداث الجسام والحركات المعارضة، وقد خلفه ابنه عبد الملك في شهر رمضان من العام نفسه^(٢)، وكان عبد الملك هذا شديداً على خصومه وقيل انه ((أول من نهى عن الأمر بالمعروف، فقال في خطبته بعد مقتل ابن الزبير: ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه))^(٣)، ولكنه كان يتجنب بني هاشم ودمائهم أو التعرض لهم^(٤)، ولعل ذلك يعود إلى كثرة خصومه ومعارضيه من غيرهم، وذلك يستدعي منه أن يستقرب إلى جانبه أو على الأقل أن لا يتعرض لهم كي لا يكثر خصومه عليه في هذه الفترة قبل قمعه للحركات التي كانت في الكوفة والبصرة أو مكة، فنراه يوصي الحجاج بن يوسف الثقفي بكتاب له ((جنبني دماء بني عبد المطلب فليس فيه شفاء من الحرب، وإنني رأيت بني حرب سلبوا حقهم لما قتلوا الحسين بن علي))^(٥)، وعلى الشاكلة ذاتها عمل عبد الملك مع الروم عندما ثاروا عليه عام (٧٠هـ) فصالحهم على أن يؤدي إليهم في

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٨٣/٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٤٧/٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٩٩/٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٤/٤.

(٤) يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ٤٧/٣.

(٥) م. ن، ٤٧/٣.

وقريب منه/ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٥٤/٣؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٨٦.

كل جمعة ألف دينار^(١)، فقمع عبد الملك بن مروان حركة مصعب بن الزبير عام (٧٢هـ)^(٢)، وحركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي^(٣)، وقد حاصر الحجاج بن يوسف الثقفي ابن الزبير بمكة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين^(٤)، واستدام حصار الحجاج له بمكة خمسين ليلة^(٥)، وكان حصاراً شديداً، وقتل ابن الزبير وأعيدت مكة إلى سيطرة عبد الملك بن مروان في سنة (٧٣هـ)، وعين الحجاج والياً على مكة والمدينة والحجاز واليمن واليمامة^(٦)، وفي خلال هذه الأحداث كان المهلب بن أبي صفرة يقاتل الأزارقة والخوارج^(٧).

وفي خلافة عبد الملك بن مروان جرف دمشق طاعون كاد يفني أهلها^(٨)، وأصاب البصرة مثله، وتعرضت مكة إلى سيل عارم حتى بلغ الركن وجاوزه^(٩)، أما مواقف عبد الملك بن مروان مع الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) فبعد ان اعتزل الإمام مجمل الأحداث السياسية والثورات

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٨١/٧.

(٢) انظر / اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٢/٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٨٨/٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ١١٥/٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٣/٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ١٠٢/٣.

(٤) م. ن، ١٢٢/٣ وما بعدها.

(٥) م. ن، ١٢٢/٣.

(٦) م. ن، ١٢٢/٣.

(٧) انظر / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٩١/٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩/٤.

(٨) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٨١/٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٧٣/٤.

(٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢/٨.

ظاهراً لم يثبت عند عبد الملك تأييد من الإمام لأي منها، ولكنه قاوم حالات الغلو التي ظهرت في عصره وهذا ما اختارته الأستاذة نبيلة عبد المنعم داود^(١)، واستدلت على اعتزال الإمام (عليه السلام) من الأمور السياسية من قوله (عليه السلام): ((أيها الناس أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حكم حتى صار علينا عاراً))^(٢)، لذلك فقد اظهر عبد الملك بن مروان تقديراً للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لموقفه ذلك، فاستقدمه أكثر من مرة واستعان به واستشاره في ضرب السكة والطرز الإسلاميين بعد أن كانت الدولة تستعمل العملة والطرز الرومانيين، مما تسبب في حصول مشادات كلامية بين عبد الملك وملك الروم آنذاك، فكان للإمام علي بن الحسين الرأي الراجح في اختيار انسب الحلول في التصرف مع هذه الأزمة وما يشابهها من المشاكل التي هددت أمن الدولة^(٣)، وفي عام (٨٤هـ) توفي عبد العزيز بن مروان^(٤)، وأخذ عبد الملك البيعة لابنه الوليد ثم لسليمان من بعده^(٥)، وهلك عبد الملك بن مروان في شوال سنة (٨٦هـ)^(٦)، وقد أوصى أولاده بالحجاج بن يوسف الثقفي خيراً بقوله: ((أكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر ودوَّخ لكم

(١) نبيلة عبد المنعم داود، نشأة الشيعة الإمامية، ٨٣.

(٢) المفيد، الإرشاد، ٢٨٦. أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٦/٣.

(٣) انظر في ذلك / اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤٧/٣؛ البيهقي، المحاسن والمساوي، ٢٣٢/٢ وما بعدها؛ الدميري، حياة الحيوان، ٦٣/١ وقد نسبها لولده الباقر (عليه السلام).

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٦/٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٢/٤.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ١٥٦.

البلاد وأذل لكم الأعداء))^(١)، ((فلا تسمعنَّ فيه قول أحد وأنت إليه أحوج منه إليك، وأدعو الناس إذا متُّ إلى البيعة فمن قال: برأسه هكذا، فقل بسيفك هكذا))^(٢).

وانتقلت الخلافة إلى الوليد الذي ابتدئها بالتهديد والوعيد في خطبته الأولى التي قال فيها: ((واعلموا أن من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل))^(٣)، وقد ذمه كل من ترجم له وذم أخلاقه وسوء سيرته^(٤)، وقد عزل الوليد والي المدينة هشام بن إسماعيل وولي عليها عمر بن عبد العزيز ((وقد لقي علي بن الحسين من هشام بن إسماعيل أذىً شديداً، فلما عزل أمر به الوليد أن يوقف للناس فقال: ما أخاف إلا من علي بن الحسين، فمر به علي وقد وقف عند دار مروان وكان علي قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض له أحد منهم بكلمة فلما مرَّ ناداه هشام بن إسماعيل، والله اعلم حيث يجعل رسالته))^(٥).

وفي عهد الوليد شُنت عدة غزوات وفتحت بعض الحصون من الدولة الرومانية وفتحت بخارى وأرمينية وبلاد الأندلس^(٦).

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٣/٤.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٢٢٠.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٩/٨؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٧٩/٢.

(٤) انظر/ ابن قتيبة، المعارف، ١٥٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٩/٨، ٨١؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٦٨/٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٦٦/٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٥/٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٢٢٣؛ الدمي، حياة الحيوان، ٦٦/١.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦١/٨.

(٦) انظر/ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦٨/٨ وما بعدها.

وقد عزل الوليد واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز باستشارة من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي وولي عثمان بن حبان المري والذي أعلن حربه على العراقيين في كل من مكة والمدينة^(١)، وهلك الوليد عام (٩٦هـ)^(٢)، وتوفي الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في عهد الوليد^(٣).

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٩٠/٨ وما بعدها .

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ١٥٧ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٩٧/٨ ؛ ابن عبد ربه، العقد

الفريد، ١٦٧/٣ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٦٥/٣ .

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ١٦٩/٣ .

المبحث الثاني : الحركة الفكرية في عصر الإمام (عليه السلام)

كان لانفصال مركز الخلافة العربية الإسلامية من المدينة والكوفة إلى دمشق الشام أثر كبير في توجه الدولة إلى الاحتكاك المباشر مع الشعوب والأمم الأخرى، وخاصة البيزنطيين، وقد كان ابرز المبادئ التي اعتمدتها السلطة آنذاك، والتي رافقت انتقال مركز الخلافة اعتماد مبدأ الوراثة في الحكم، وكان لاستحداث هذا المبدأ أثر سلبي كبير في نفوس الكثير من العرب والمسلمين.

وقد عاش الإمام (عليه السلام) وسط هذه الأجواء المشحونة إبان العصر الأموي حيث تأثرت حياته (عليه السلام) من خلال تيارين هما:

١- حياته الخاصة التي نشأ بها كهاشمي مدني، وقد تأثر بجده وأبيه وعمه (عليه السلام) حيث سمع منهم واخذ عنهم، وكمدني - يثربي - عاش في هذا الجزء من عالم الفكر الذي أرسى عظمته النبي الكريم (صلى الله عليه وآله)، فلقد ((تصدرت المدينة كمدرسة للحديث، طوال هذا القرن - القرن الأول الهجري - لا ينازعها في ذلك منازع، بعد أن حافظت على سلامة الحديث وتعميق أصوله، فمنها انتشار العلماء إلى بقية الأمصار، واليها توافدت الطلاب، فخلقت رحلة الحديث وتدوينه هذه الحالة من الانسجام والتشابك في اتجاهات التدوين وطرائقها، فتولدت خصائص مشتركة بين جميع الأمصار حتى صار من الصعب القول بان هنالك من الأمصار من اتخذ أشكالاً خاصاً به عند التدوين))^(١).

(١) عبد الخضر جاسم حمادي، الحركة الفكرية في القرن الأول الهجري، ٢٩٩ وما بعدها.

فكان لرسول الله (ﷺ) فضل على المدينة التي نشأ بها الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، فجادت المدينة على من فيها من ذلك المعين الذي أورثه النبي (ﷺ) على من نشأ بين جنبيها وقد ((كانت هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة فاتحة عهد جديد أقام أول حكم إسلامي منظم لم يعهده العرب من قبل))^(١).

وقد رفض النبي (ﷺ) مبدأ التجزئة والفصل وإقصاء الآخر في إقامة مجتمع جديد بناءً على ما جاءت به الطروحات القرآنية بهذا الصدد لإقامة وحدة حيوية تسري فيها روح واحدة وتغذيها دماء واحدة^(٢).

وجرى تأثر الإمام علي بن الحسين بمدرسة جده وبمقدمتها مدرسة القرآن وخاصة ((علم التفسير الذي كان رواه الأوائل كبار الصحابة أمثال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود^(٣)، وباتجاه هذا التأثير ((برز على الصعيد العلمي والديني إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً في الحلال والحرام، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، وآمن المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليته وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيته))^(٤).

لذلك تعد يثرب التي هي ((مدينة الرسول (ﷺ) ومهبط الوحي ومركز الدولة الإسلامية حيث عاش فيها الخلفاء الراشدون وصحابة رسول الله

(١) محمد الحسين عبد العزيز، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، ١٣ وما بعدها.

(٢) عماد الدين خليل، مدخل إلى موقف القرآن الكريم مع العلم، ٣٢ وما بعدها.

(٣) انظر / محمد الحسين عبد العزيز، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، ١٣.

(٤) علي بن الحسين، الصحيفة السجادية الكاملة، ١٠.

(عليه السلام) فأهلها اعلم العرب بتفسير القرآن، وجمع الحديث، ودراسته، واستنباط الأحكام^(١).

وكان تأثر الإمام علي بن الحسين بمدرسة جده أمير المؤمنين (عليه السلام) بارزاً لأن ((علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان عالماً بالفقه واللغة وأستاذاً لعبد الله بن عباس وكان الإمام قديراً في أمور الإفتاء يستشيره الخليفة عمر في القضايا لعلمه وسعة اطلاعه))^(٢).

فكانت المدينة موطناً للصحابة الأجلاء، اُضيف إلى ذلك أن الإمام علي بن الحسين عاش وعاصر فريق من الصحابة أمثال عبد الله بن عباس (ت ٧٨هـ)، وجابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٨هـ)، وعبد الله بن عمر (ت ٧٢هـ)، والحسن بن علي (ت ٥٠هـ)، والحسين بن علي (ت ٦١هـ)، ومحمد بن الحنفية (ت ٨١هـ)، كذلك عاصر الإمام رجيل كبير من أبناء الصحابة وجهابذة العلم أمثال: إبراهيم بن مالك الأشتر (ت ٦٧هـ)، وعبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٨هـ)، والزهري المدني (ت ١٢٤هـ)، وإبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ)، وعروة بن الزبير (ت ٩٣هـ)، ويحيى بن معمر البصري (ت ٨٩هـ)، وعبد الله بن عامر اليحصبي في الشام (ت ١١٨هـ)، وأبو حمزة الثمالي - ثابت بن دينار - (ت ١٥٠هـ)، وحمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٨هـ)، والحكيم بن عتبة (ت ١١٥هـ)، لذلك

(١) محمد الحسين عبد العزيز، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، ١٣.

(٢) م. ن، ١٣، ١٨.

نشأ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) مفسراً عظيماً للقرآن الكريم، كما كتب أبنه زيد بن علي (ت ١٢٢هـ) في غريب القرآن^(١).

٢- حياته العامة بالنسبة للدولة والسلطة القائمة آنذاك فقد عاش الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) معاصراً للدولة الأموية التي لا نقول بأن الحركة الفكرية قد طمست فيها، ولكن السلطة اتخذت فيها مساراً خاصاً يهتم بموازنة الوضع لصرف النظر والتفكير من قبل الغير في أمور الخلافة^(٢)، لذلك كان دأب الإمام (عليه السلام) أن يهدف باستمرار لرفع مستوى العلم حيث رعى حلقاته ومدارسته من خلال محاضرات تعقد تحت رعاية مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، فكان رغم رفعة قدره، وعلو همته، وعظمة كرامته، يحضر الدروس التي تدار من قبل تلامذته، فيروى انه (عليه السلام) كان يحضر حلقة الدرس التي كان يديرها أحد التابعين واسمه (زيد بن اسلم) ((في المسجد النبوي الشريف يُعَلِّم فيها الناس، وكان زيدٌ هذا عبداً، وقد اطلق فيما بعد وأصبح حراً حيث تعلم وتفقه حتى أحبه وصار معلماً يعلم الناس ويدربهم على التفقه في العلم والدين، وسمع به الإمام فأخذ يحضر دروسه تشجيعاً له وتواضعاً منه في الدخول إلى أعماق وشرائح المجتمع بلا تفرقة وعلو، فجعل يستمع إلى محاضراته ويكثر من الجلوس فيها، فرأى ذلك نافع بن جبير وبُهر من تردد الإمام على تلك الحلقات باستمرار، فراوده التعجب

(١) انظر / عبد الخضر جاسم حمادي، الحركة الفكرية في القرن الأول الهجري، ٨٠

(٢) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ١٣٩.

وانظر كذلك / حسين عطوان، الرواية التاريخية في الشام في العصر الأموي، ٦٧، ٧٤، ٧٨،

مسائلاً الإمام، أنت سيد الناس وأفضلهم وتذهب إلى هذا العبد فتجلس معه؟ فقال له الإمام: يا نافع، انه ينبغي للعلم أن يذهب إليه حيث كان^(١).

لقد سعى الإمام (عليه السلام) إلى حماية الإنسان من التدهور الفكري وحرص على المنحى بكل ما يتاح له من فرص ليغتنمها في توظيف سمو الإنسانية ونشر ينابيع التميز الإنساني بين كل طبقات المجتمع ليتساوى أفراد بنو البشر في الحقوق والواجبات، فلا لون ولا لغة، ولا مال، ولا نسب يخلق من طبقة بين فئة وأخرى.

إن هذه الأنماط في نظامه التربوي (عليه السلام) ساعد في إشعار الناس بأن لهم أحقية في التحرر من العبودية التي دعى لها جدّه المصطفى (عليه السلام) والمرضى (عليه السلام) إبان فترات العبودية التي كانت جاثمة على صدور الناس قبل انبثاق نور الإسلام.

((وفي نفس السياق يأتي الاهتمام بقضايا النهضة والتقدم والبناء الحضاري كمقتضى للواجب الشرعي والوطني والأخلاقي، وكذلك المعرفة الدقيقة بالسمات والخصائص للنهضة الحقيقية والتنمية، فالتقاعس والتجهيل، والإصرار على التخلف والتحجر والسرقة والنهب الحكومي الذي تمارسه النخب غير المسؤولة في البلاد الإسلامية، وعدم الجدية في مكافحة الفساد أو الهدر المالي، والتحريض ضد المصلحين، إنما هو استدعاء صريح لهيمنة القوى العظمى، ودعم من طرف خفي للآخرين من اجل السيطرة على أوطاننا وتمكينهم من العبث بأمننا واستقرارنا وبمقدراتنا

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/١٣٧ وما بعدها؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٠/٢٨٦.

وثرواتنا، إذ الاستعمار وقوى الهيمنة الغازية لا تطل الأقوياء في هذا العالم، بل تفترس الضعفاء والمغفلين أو الأغبياء الذين أنهكتهم الصراعات الحمقاء فيما بينهم والتحريض المتبادل))^(١).

وكانت هذه الرعاية للعلم يصاحبها الكثير من الحركات العسكرية والاضطرابات والفتن في العصر الأموي ومنذ بداياته، أضف إلى أن الفتوحات التي توسعت وما رافقها من المعارك التي حدثت مع الروم على امتداد الثغور المتاخمة لدولتهم بين الحين والآخر، كل ذلك أدى إلى بطء في مسيرة الحركة الفكرية دون توقفها، فقد كانت الحركة الفكرية نشطة في الأماكن الدينية متناولة تدريس الفقه وعلوم القرآن وخاصة في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لرعايته الخاصة بتلك الحركة، ولكنها تعد بحث مقدمات للعلوم التي تطورت أكثر في العصر العباسي.

فبدأت مقدمات التأليف والكتابة في الحديث والتاريخ والأنساب وأيام العرب ولكنها لم تتخذ منهجية خاصة بها، وقد أعانت تلك المحاولات من جاء بعدهم وأعطتهم دفعا في تقدمهم بتلك الاختصاصات، مما جعل العصر العباسي الأول ذو منهجية مميزة في الكتابة، حيث ظهرت استفادتهم من علوم ممن سبقهم في العصر الأموي، بعد أن أضافوا عليها وبوبوها بالشكل الذي يتناسب مع حضارتهم، ولعل من أسباب تباطئ الحركة الفكرية في العصر الأموي ما يلي:

١- انشغال الدولة بإخماد الحركات المعارضة.

(١) غالب الناصر، المعالجات المناهجية وتطبيقاتها في الفكر والنهضة، ١٠ وما بعدها.

٢- اهتمام الدولة بحركة الفتوح والتحرير .

٣- ابتعاد مركز الخلافة في دمشق عن حاضرتي العلوم الإسلامية الأولى في المدينة والكوفة.

٤- نشوء بعض الخلافات والانقسامات داخل البيت الأموي الحاكم.

ويبقى الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) معاصراً لتلك الأحداث الجسام بكل مجرياتها، راصداً لنتائجها، مما حدا به إلى إحياء ما قد دثر من معالم فكرية ودينية، فبادر إلى إنشاء وتجديد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في المدينة، وقد كانت تلك المدرسة حية في حلقاتها الدراسية التي كان يشرف عليها بنفسه^(١)، متواضعاً عالماً فقيهاً، عارفاً، مفسراً، فيلسوفاً، فقد قام الإمام بعرض العلوم الشرعية الإسلامية من الحديث والفقه والتفسير وعلم الكلام والفلسفة، بهدف الحفاظ على تراث جده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الضياع والاندثار، إضافة إلى اتجاهه لإثارة الصحوة ومحاربة الجهل بين طبقات المجتمع، ولعل محاربته للجهل انطلقت من كونه (عليه السلام) من حملة الرسالة بعد جده النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وصنو القرآن الكريم وعِدله، ويكفي ذلك دليلاً ما روي بالحديث المتواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أخرجه كثير من مصادر ومراجع أهل السُّنة، وما أورده ابن الأثير بصيغتين :

الأولى: عن جابر بن عبد الله الأنصاري حيث قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في حجة الوداع يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب

(١) انظر/ أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٧/٣ وما بعدها .

فسمعتة يقول: ((إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تظلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي)).

الثانية: عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، إحداهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)).

ويتضح من الحديثين أعلاه أن النبي (ﷺ) استخلف بعده ثقل الأمة وهما الكتاب والعتر، وبهذا الاتجاه الذي أرساه النبي الأعظم (ﷺ) يتحدث الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ^(١).

ولهذا فقد روى عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) خلق كثير من جمهور المسلمين الذين اعترفوا بأفضليته، وسموه، وعلو مقامه، وفقهه، وحلمه، وورعه، وفصاحته، وسماحته، وتواضعه، وسمو قدره، وجلالته، وكرمه، ورفعة خلقه، قد بلغ المئات ^(٢).

(١) انظر في ذلك / ابن الأثير، جامع الأصول، ١/١٨٧ ؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١٤٧ وما بعدها .

وانظر كذلك / محمد حسين علي الصغير، الإمام زين العابدين (عليه السلام) - القائد، الداعية، الإنسان -، ١٣٠ .

(٢) انظر / اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٣/٤٦ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/١٦٩ ؛ المفيد، الإرشاد، ٢٨٤ وما بعدها ؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/١٣٣ وما بعدها ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/٣١١ ، ٣١٤ ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/٣٠٤ وما بعدها .

و حين نرصد من كتب عنه وترجم له من الرواة والمؤرخين، فإنه حينما يريد أن يذكر من روى عن الإمام (عليه السلام) يورد أسماءً، ثم يلحق ذكر تلك الأسماء بعد ذلك بعبارة - وخلق سواهم^(١) - أو - وآخرون -^(٢).

وتجب الإشارة هنا إلى الدور البارز الذي لعبته المرأة في مضمار إحياء الحركة الفكرية في عصر الإمام (عليه السلام) من خلال الكثير من النساء اللواتي ساهمن في إرساء هذه الحركة وإحيائها مع إخوانهن من الرجال، ذلك الدور الذي ظهر جلياً في خطب الكثير منهن مثل خطبة السيدة الحوراء زينب بنت علي بن أبي طالب (عليها السلام) في الكوفة^(٣)، وخطبتها (عليها السلام) في الشام^(٤)، وخطبة السيدة أم كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب (عليها السلام) في الكوفة^(٥)، وخطبة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) في الشام^(٦)، وخطبة وشعر إحدى بنات عقيل بن أبي طالب (عليه السلام) في رثاء الحسين (عليه السلام) حينما قالت^(٧):

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٣٣/٥.

(٢) انظر/ ابن الجوزي، تذكرة الحفاظ، ٧٥/١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٤/٣.

(٣) انظر/ الثعالبي، الاقتباس من القرآن الكريم، ٨٠/١.

(٤) ابن طيفور، بلاغات النساء، ٢٠.

(٥) ابن طيفور، بلاغات النساء، ٢٣ وما بعدها.

(٦) انظر/ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٧/٦.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤٢/٣. وفي المعارف لابن قتيبة /

سبعةٌ كُلُّهُم لَصْلِبِ عَلِيٍّ قَدْ أَصَيُّوْا وَتَسْعَةٌ لِعَقِيلٍ

والأرجح عندنا هذا لأن آل عقيل وتروا بواقعة الطف حتى قضى على آخرهم، انظر/ ابن قتيبة، المعارف، ١٠٤.

عيني أبكي بعبرةٍ وعويل واندبي إن ندبت آل الرسول
 ستة كلهم لصلب عليٍّ قد أصيبوا وخمسةٍ لعقيل
 كما برزت في البلاغة والفصاحة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين
 (عليها السلام) في الشام^(١)، كما تميزت من النساء أخريات كثيرات في البلاغة
 والفصاحة.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٩/٣.

الفصل الثالث

الحركات التي عاصرها الإمام (عليه السلام)

المبحث الأول : واقعة الطف وأثرها في حياة الإمام (عليه السلام)

إنَّ الانعطاف الكبير الذي تعرض له الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في حياته يتمثل في الأحداث الجسام التي عاشها إبان حياة أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) وبعدها، ويقف في مقدمة هذه الأحداث واقعة الطف التي تعد أكثر الأحداث ضراوة وشدة في حياته على الإطلاق، لأنها أولى الوقائع التي عاصرها الإمام وهو في عنفوان شبابه هي، حيث مثلت الانعطافة الكبرى في جوانب حياته، وقد اشرنا في الفصل الثاني من الكتاب إلى بيعة معاوية لولده يزيد وأشارت إليه بأهمية تلك البيعة وأخذها من الحسين (عليه السلام) وإن كانت بالإكراه^(١)، مما حدا بيزيد أن يكتب بذلك إلى المدينة بعد تسنمه السلطة^(٢).

أقول: أمثلُ الحسين (عليه السلام) يستكره على أمر... أنه عرف معاوية وشريعة الاستهتار بحرمة البيت النبوي المطهر... أنها قانون الغاب وفرض القوة على الغير وبلا وازع أخلاق أو ضمير أو شرف .

لقد رسم لنا رسول الله (ﷺ) خارطة تركيبة هذا الرجل وذكر لنا أساسات نفسه المريضة المتهرئة حينما بعث إليه ليكتب له، فقبل له يا

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/٢١٥؛ البيهقي، المحاسن والمساوي، ٩٠/١.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٧٥/١٢.

رسول الله: أنه يأكل، ثم بعث إليه (ﷺ) مرة أخرى، فقيل له: أنه يأكل، فقال رسول الله (ﷺ): ((لا اشبع الله بطنه))^(١).

لقد فاض وعاء الخنى من موبقات البيت الأموي والمرواني، فكانت ((موبقات أغيلمة بني أمية وبني مروان التي كانت تنخر في كيان الدولة الأموية، وتثبت بالدليل القاطع على براءة الإسلام من أفعالهم الدنيئة والتي لا تمت إلى الإسلام بصلة لا من قريب ولا من بعيد))^(٢).

وما كان أقرب إلى الواقع وصف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لهذين البيتين بقوله: ((والله لا يزالون حتى لا يدعو الله محرماً إلا استحلوه، ولا عقداً إلا حلّوه، وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر، إلا دخله ظلمهم، ونبا به سوء رعيتهم وحتى يقوم الباكيان يبكيان، باكٍ يبكي لدينه، وباكٍ يبكي لديناه، وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم، كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه، وحتى يكون أعظم فيها غناء، أحسنكم بالله ظناً))^(٣)، ... فهل من هذا البيت المغموز بشرفه وعرضه تؤخذ البيعة من سبط رسول الله (ﷺ) ليزيد ترفعاً ... إنها الطامة الكبرى والله.

ولكن السبط (عليه السلام) أبى أن ينصاع لمثل تلك البيعة لمنزلته العظيمة وقربه من رسول الله (ﷺ)^(٤)، إن الدولة الأموية قلبت موازين القوى سواء كانت شرعية أم قانونية أم اقتصادية أم اجتماعية، وأصبحت الأمور تجري

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢٩/١٤.

(٢) خليل الشوكي، النجوم الزاهرة في إثبات خلافة الأئمة الطاهرة، ١١٣.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩١/١.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٨٨/٦ وما بعدها؛ البيهقي، المحاسن والمساوي، ٩١/١.

وفقاً لما يريده (أمير المؤمنين؟؟) المزعوم، فهو في الواقع أمير الخمر والغواني والشذوذ، جاء (أمير المؤمنين!!؟؟) معاوية وأقبلت معه بشارات الشر وهيمنة الأوباش والمتسافلين والدعاة إلى الإسلام ((فما إن طلَّ الحكم الأموي حتى شهدت دار الخلافة تسلل أهل الكتاب إلى البطانة الخاصة - بأمير المؤمنين - فاتخذ معاوية (سرجون) مستشاراً له طيلة خلافته وخلافة ابنه يزيد، وتزوج ميسون النصرانية، التي يقال إنها بقيت على دينها، واصطحبت معها ابنها يزيد المذكور بعد طلاقها ليعيش في قومها - بني تغلب - في الصحراء حتى يشب عن الطوق؟ والأخطل عاش في البلاط يهزأ بالإسلام بحماية يزيد ومن خلفه))^(١)، وبذلك يكون معاوية قد وضع الحجر الأساس لأخطر انعطاف في مسار الحكم الإسلامي الذي امتدت آثاره السيئة حتى عصرنا وخدمت أعداء الإسلام بما يفوق حد التصور^(٢).

لقد أراد معاوية أن يسعى إلى الملك بكل ما يستطيع واسترخص الغالي والتمين من أجل ذلك حتى رقاب الناس وقتل المؤمنين وسبي الذراري وانتشار الفقر، يقابله أن يعيش هو وحاشيته بين كؤوس الخمر والغواني والليالي الصافنات، يقول ابن خلدون ((إن الحرب والمقاتلة لم تنزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها أهل عصبيته، فإذا تذاثروا لذلك وتوافقت الطائفتان،

(١) د.م.ع.خ، مذكرات مستر همفر - الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية -، مقدمة الكتاب.

(٢) لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ، الإمام الحسين (عليه السلام) ويوم عاشوراء، ٧٠.

إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع، كانت الحرب، وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل، وسبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة ومنافسة، وأما عدوان، وأما غضب لله ولدينه، وأما غضب للملك وسعي في تمهيده))^(١).

وهنا كان معاوية وابنه يزيداً امتداداً سلبياً لمن سار على نهجهما من الأجيال التي اعقبتهما ((فيزيد ذلك الكعبة بالمنجنيق أمّا هم - الأجيال - فقد دمّروا الإسلام ورواده بعد الرسول - ﷺ -))^(٢).

ولتعيدهما السافر على الإنسانية وكرامة الفرد، فقد ضربا أحقر الأمثلة وأقساها في القضاء على عوامل الطهر المتمثلة بأحقية أهل البيت (عليهم السلام) في إنكار حقوقهم أمام مرأى ومسمع الناس أجمعين.

إنّ صلفهم قادهم إلى ارتكاب أبشع كارثة على مر العصور وهي التورط بقتل الإمام الحسين (عليه السلام) التي هي في وجدان ونفوس العباد إلى أن يقوم يوم الدين حيث ((دخلت في الضمير الإنساني كحادثة، ومأساة، وقضية، وأخيراً كثورة عارمة وعظيمة الأهداف، كبيرة العطاء، وذلك العطاء الذي غذى الدعوة الإسلامية قرابة أربعة عشر قرناً على صعيد الأفراد والجماهير زخماً إيمانياً ونضالاً مستمراً يعسر حصوله في ثورة أخرى))^(٣).

ولقد كان للآثار السلبية التي تركتها واقعة الطف بضمائر ونفوس الناس عموماً وحتى الأعداء منهم حيث اظهروا الحزن والبكاء على آل بيت النبي

(١) ابن خلدون، المقدمة، ٢٩٩.

(٢) د.م.ع.خ، مذكرات مستر همفر، مقدمة الكتاب.

(٣) محمد بحر العلوم، ثورة الإمام الحسين وأبعادها، ٤٤.

(عليه السلام) ونفوسهم الزاكيات الطواهر ودمائهم التي سالت على أرض كربلاء وهم مقطعين على عرصاتها بلا ذنب اقترفوه .

((إن الأمويين بذلوا كل ما في وسعهم من اجل القضاء على عترة النبي (عليه السلام) حتى تحولت كربلاء إلى بركان من الدماء، فضلاً عن الجرائم البشعة في السبي وترك الأجساد الطاهرة على رمضاء كربلاء، ظناً منهم أن تكون رادعة لمن يقف ضدهم بتصورهم أن أجسام هؤلاء الأطهار وأشلائهم المقطعة لم تبقى لهم حياة يتحرك على أساسها عنق من اتباعهم في يوم ما، إلا أنهم تناسوا عندما كانت تلك الدماء والتضحيات مارداً متحرراً بأنفاسه المقدسة قد دفع ملايين المؤمنين على مر التاريخ إلى مواجهة الظالمين أينما كانوا))^(١).

لذلك لم يكن الإمام الحسين (عليه السلام) قائداً لواقعة كربلاء فحسب، بل كان إنموذجاً رائعاً لقولة الحق في تحريك مكامن الثورة لدى الجميع على كل واقع فسد به أهل الجور والفسوق ((أنه - عليه السلام - لا يريد الخضوع للانحراف ولا للظلم ولا للطغيان، وعلى هذا الأساس كانت المسألة بالنسبة إليه مسألة الموقف العزيز للحق وللعدل في مواجهة الموقف الذليل لحساب الباطل والظلم))^(٢).

وهكذا وجد (عليه السلام) يزيداً قد سار على نهج أبيه، مما حدا به أن يزداد التصاقاً بالمنهج الصائب لجده المصطفى (عليه السلام) في مواجهة الانحراف لأنه

(١) محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، ٣٧٥.

وانظر / هاشم حمود عناد، الأعلام الإسلامي (دراسة معاصرة)، ٤٠٨ وما بعدها.

(٢) محمد حسين فضل الله، من وحي عاشوراء، ١١٠.

الطريق الأمثل لثورته و ثروته، مما أصَّل منزلته بهذا النسب العريق الطاهر، وقد حمَّلت هذه المنزلة الحسين (عليه السلام) عبئاً ثقيلاً وعناءً ليس بالقليل من أجل الحفاظ على كينونته من عدمها، حيث أصبح محط أنظار جميع المسلمين بعد وفاة أخيه الحسن (عليه السلام)، وهذا يحتم عليه أن يكون أكثر دقة وتروٍّ في جميع ما يقوله ويقره ويفعله، وبما يلائم حقيقة التشريع الإسلامي ومصاديقته، ومهادنة الحسين (عليه السلام) لمثل هذه المواقف تعني إعطاء الشرعية الكاملة لحكم يزيد بن معاوية، وكان الحسين (عليه السلام) يعي ذلك جيداً، لذلك كان قراره بإلغاء هذه الشرعية جملة وتفصيلاً وخروجه (عليه السلام) ((إلى الكوفة سائحاً لولاية يزيد بن معاوية))^(١)، وقد خرج الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العراق مقارعاً يزيد بن معاوية ورافضاً لبيعته، مدركاً بأن الأمر لا يتعلق بالخلافة فقط، وأن أهل العراق قد كتبوا للحسين يدعونه إلى القدوم إليهم^(٢)، ((وأمام هكذا واقع لأمة تعيش أقصى درجات التشتت الفكري وميوعة الموقف، ماذا كان على الحسين (عليه السلام) أن يختار؟ مع وجود الناصحين والمشفقين أمثال: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، والأحنف بن قيس، وأخيه محمد بن الحنفية؟ هل يبايع يزيد بن معاوية؟ هل يرفض البيعة ويبقى في مكة والمدينة والظروف الموضوعية كانت تنبئ أنه لو بقي في المدينة أو مكة رافضاً للبيعة لقتل من قبل بني أمية ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة))^(٣).

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤١/٣.

(٢) انظر / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢١٦/٦، ٢٤٣.

(٣) محمد باقر الصدر، الحسين يكتب قصته الأخيرة، ٢١٤.

وأصرَّ الإمام الحسين (عليه السلام) على الخروج متجهاً نحو العراق ومعه علي بن الحسين (عليه السلام) منذ انطلاقه وحتى وصوله إلى كربلاء، وكان ذلك في ثمان ذي الحجة سنة (٦٠هـ) ^(١).

لقد كان الإمام الحسين (عليه السلام) يدرك تماماً ما ستؤول إليه الأحداث مستقبلاً كما كان يخبره بوقوعها جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله)، فقد قام قبل خروجه خطيباً: ((الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم، خُطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخَيْرَ لي مصرعُ أنا لاقيه، كأني بأوصالي هذه تقطعها ذئاب - عسلان - الفلوات بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، فيوفينا أجور الصابرين)) ^(٢).

إنَّ الدقة التي تُستشفُّ من خلال دراسة واقعة الطف تستدعي من الجميع أن يقفوا مدعنين إلى الاعتراف بعظمة الإمام الحسين (عليه السلام) يقابلها خسة المواقف الصادرة من أعدائه، وأن يعجب المرء من تجاوزهم لكل قيم المروءة والشرف، وحرى أن ((يدهش اللب ويقضي بالعجب، إذ عن اليمين فضائل جمّة تمركزت في شخصية الحسين (عليه السلام)، هي ذي ما أثر فُضِّلَى تستوجب إكرام صاحبها - قام أو قعد -، بينما عن يسار المتأمل صحيفة سوداء للخصوم هي ذي ما ثم تستدعي احتقار صاحبها ولعنه -

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦/٢١٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/٢٧٦.

(٢) ابن طاووس، الملهوف على قتلى الطفوف، ١٢٦.

أينما سار أو وقف - ، وأمام المتأمل فجائع وفضائح وما لا يستحله أحد من الدُّ أعدائه، من إيذاء صبية، وذبح ذرية، وضرب مرضى، وسب موتى، وإحصار الضعفاء على ظمأ، ومُثَلَّةً بأشلاء، إلى غيرها مما تقشعر منه الجلود))^(١).

أقول: أين أنت يا رسول الله من خسارة آل أمية وبني مروان وآل أبي سفيان؟ حينما وَقَفْتَ لتؤكد لهم وتقول: ((حُرِّمَت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وآذاني في عترتي))^(٢).

أين أنت يا سيدي؟ حينما قلت وسط الحشود من الناس: ((ألا من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا من مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا من مات على حب آل محمد مات وقد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير^(*))، ألا من مات على حب آل محمد يُزَفُّ إلى الجنة كما تُزَفُّ العروس إلى بيت زوجها، ألا من مات على حب آل محمد فتح له في قبره مزاراً لملائكة الرحمة، ألا من مات على حب آل محمد مات على السُّنة والجماعة، ألا من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من

(١) هبة الدين الشهرستاني، نهضة الحسين، ١٥١.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ١٣٢/٤.

(*) منكر ونكير: من يلتقيان الميت في قبره بالسؤال ويحاولان الكشف عن أعماله.

الزمخشري، الكشاف، ١٣٢/٤.

رحمة الله، ألا من مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا من مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة))^(١).

ومن أراد أن يتشرف بتأييد ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعليه النظر إلى ما تعنيه (آية المودة) فهي كافية لمن كان في قلبه ذرة من الإيمان لتصبح هذه الذرة فيما بعد رصيلاً جبلاً عظيماً لإيمانه ووجه لآل المصطفى (عليهم صلوات ربي أجمعين)، وما أحسن قول من قال^(٢):

رأيت ولاني آل طه فريضةً على رغم أهل البعد يؤثري القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغه (إلا المودة في القربى)

وكان مسلم بن عقيل بن أبي طالب (عليه السلام) قد سبق الحسين (عليه السلام) بالخروج إلى الكوفة، وكتب إلى الحسين (عليه السلام) أن أقدم علينا، ولكنه قبل وصول الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة، أبقوه وحيداً وقتلوه صبراً في (٨) ذي الحجة عام (٦٠هـ)، وهو نفس اليوم الذي خرج به الإمام الحسين (عليه السلام) من مكة متوجهاً إلى العراق، ومنع الإمام الحسين (عليه السلام) من دخول الكوفة، وأحاطوه وأهل بيته (عليه السلام) حتى انزلوه كربلاء قسراً بعد أن أغلقوا بوجهه كل الطرقات^(٣).

وعندما أدرك الإمام الحسين (عليه السلام) بأن الأمر سيؤول إلى ما لا يحمد عقباه، أصرَّ أن يكون كريماً، ورأى في الموت دفاعاً عن كرامته وهو أفضل من النزول بين أيدي الطلقاء وأولاد الطلقاء خصوصاً وأنه الكريم العزيز،

(١) الزمخشري، الكشاف، ١٣٢/٤.

(٢) الشافعي، طرز الوفا في فضائل آل المصطفى، ٦٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ٧٠/٣.

فصّح بندائه الذي لم يزل مسموعاً ((إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين مع برماً))^(١)، لذلك فقد مضى (عليه السلام) ممتشقاً حسامه بعد أن استنفذ كل ما في وسعه وطاقته من نصّح وتوجيه وإرشادٍ لقومٍ استحوز عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، قائلاً^(٢):

سأَمْضِي وما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهدَ مُسْلِماً
وَوَاسَى الرجالَ الصالحينَ بِنَفْسِهِ وفارقَ مثبوراً وجاهدَ مُجْرماً
أَقْدَمَ نَفْسِي لا أريدُ بقائَها لتلقيَ خميساً في النزالِ عَرَمَما
فإنْ عُشْتُ لَمْ أُنْدَمَ وإنْ مُتُّ لَمْ أَلَمْ كفى بك ذُلاً أنْ تَعِيشَ وتُرْعَمَا
وبهذه الثورية التي لا بد منها ... صمّم الإمام الحسين (عليه السلام) مسيرته في طريق الحق وتنويره حيث ((وعد، وعزم، وقرر، فما تستطيع قوة في الأرض أن تصدّه عن النضال في سبيل الحق، وما يستطيع أي إنسان، أن يُغريه بإيثار السلامة والعافية))^(٣).

كل هذا يجري وعلي بن الحسين يرصد ويُدرِك تماماً ما يدور على أبيه وأبناء عمومته وأطفالهم ونسائهم وذرائعهم بما أَلَمَّ بهم، فعاد مؤتماً (عليه السلام) بأمر أبيه مواكباً لركبه أينما حلّ، راصداً لما يحدث لكل الأمور والتحرّكات، وصدرت أوامر أهل الضلال بقرع طبول الحرب، فيما أمر

(١) انظر / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٢٩/٦؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤١/٣ وما بعدها.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٢٩/٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٨١/٣.

وانظر / أحمد حسين، الحسين ثورة الملايين، ٢١.

(٣) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، سكينه بنت الحسين، ٤٣.

عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بأن يُمنع الحسين (عليه السلام) وأصحابه من أن يذوقوا من الماء قطرة واحدة^(١)، فلا عجب لأن عبيد الله بن زياد هو الذي قال فيه يزيد بن معاوية حينما خرج ليرى سبايا الحسين (عليه السلام) في الأسر قال: ((لو كان بينهم وبين عاض بَطَرُ أمه نَسَبُ ما قتلهم))^(٢).

وبهذا القول الذي صرح به يزيد بن معاوية ليصف أمين سرِّه ومعتمده عبيد الله بن زياد يكشف عن أن الله سبحانه وتعالى أصابهم بداء البأس فيما بينهم لتكشف من خلاله عيوبهم أمام الملاء فغدا كل منهم يكفر صاحبه ويفضح ما به من عيوب ... أنه والله داء الذل والمهانة ... كما هو في داء البطنة الذي أصيب به أباه من قبل.

((و حالوا بين الحسين وبين الماء فعند ذلك ضاق الأمر على الحسين (عليه السلام) وعلى أصحابه واشتد بهم العطش))^(٣).

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ٢٥٥.

وانظر كذلك/ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٣٤/٦ وما بعدها.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١٣/٢.

وانظر هذا القول مقارناً مع/ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤٦١/٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٧٨/٢.

حيث ذكر الطبري قوله بهذا القرب من المعنى (قيح الله ابن مرجانة، لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل بكم هذا ولا بعث بكم هكذا) ... كما أود أن ألفت نظر القارئ العزيز أن يتمعن ملياً بمعنى العبارة في المتن أعلاه والتي قالها يزيد بحق عبيد الله بن زياد، فإنهم جميعاً جيفة قذرة لا عفة لهم ولا شرف، ولم يقربوا إلى الإسلام لا من قريب ولا من بعيد.

(٣) الشبلنجي، نور الأبصار، ١٤٣.

كل ذلك يجري والأحداث لا تنتظر أحداً و(يزيد) ينتظر لحظة الانقضاء على أحداث الواقعة ليشفي غليل الحقد المتوارث على البيت النبوي الطاهر، لأنه كان معروفاً بانحرافاته الأخلاقية^(١)، حتى قال في حقه (عبد الله بن حنظلة)^(*): ((يا قوم، والله ما خرجنا حتى خفنا أن نُرجم من السماء، رجل ينكح أمهات الأولاد، والبنات، والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة))^(٢).

وبدأت سحب الواقعة تلوح في الأفق ... قُرعت الأجراس، ورُفعت الرايات، أرتديت الدروع، ضاقت الأرض بما وسعت على الإمام الحسين (عليه السلام) وصحبه، فالأطفال تلوع، والنساء إضطربت، والكهول تحسبت، والجمع يسمع قعقة السيوف وإشتباك الرماح ... وعلي بن الحسين (عليه السلام) يكابد من ألم المرض الذي يعاني منه، ولما لاحظ الحسين (عليه السلام) تلك الآلام الجسام عليه وعلى من حوله، طلب من القوم أن يمهله تلك العشية^(٣).

(١) مهند العقابي، إطلالة على واقعة الحرة، ٥٩.

(*) عبد الله بن حنظلة، الغسيل بن أبي عامر الراهب عبد عمرو بن صيفي بن النعمان، أبو عبد الرحمن الأنصاري الأوسي المدني، من صغار الصحابة، استشهد أبوه يوم أحد، فغسلته الملائكة لأنه جنباً، وهو الذي بايعه أهل المدينة على الموت لما خلعوا يزيداً، وقتل في هذه الواقعة. انظر / الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/٣٢١.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/٣٢٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦/٢٣٨.

لقد استشعر الإمام الحسين (عليه السلام) بان ولده علي السجاد صار أكثر إصغاءً للغة الحرب واشتباك الأسنة راصداً لخطوات أبيه محاولاً الاطمئنان على موقفه، فكانت أذنيه تلتقط من أبيه كلمات يقولها هامساً ((انني على الله تبارك وتعالى احسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهم أني أحمذك على أن كرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين))^(١).

ثم ابلى الحسين (عليه السلام) صحبه وأنصاره بأنهم في حل منه وإنهم أحرار في تحديد مواقفهم من هذه الحرب التي سوف لن ينجو منها أحد قط، لأن القتال واقع لا محال فقال لهم ((انطلقوا جميعاً في حل، ليس عليكم مني ذمام، هذا ليل وقد غشيكم فاتخذوه جملاً))^(٢)، ولكن أنصاره أبوا إلا الفوز بإحدى الحسينيين.

طوبى لك سيدي من عظمة أراد لها الله أن تسمو ونور أراد له الله أن لا ينطفئ حتى قيام الساعة.

ومن هذه الدروس يستلهم علي بن الحسين (عليه السلام) تلك الفضائل والمكارم وهو في خباء المرض، ومن هذا الاستلهم لمجريات هذا الحدث الجسيم قطع (عليه السلام) بأن ((المد العدائي الخطر الشرس الذي يسعى ودون

(١) انظر / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٣٨/٦.

(٢) م. ن، ٢٣٨/٦.

أي تراجع أو هودة لاجتثاث الإسلام وشريعة سيد الأنام - (عليه السلام) - ((١)،
قادم لا محال.

ويحدثنا الإمام السجاد (عليه السلام) بنفسه عما سمعه من أبيه في تلك
اللحظات حينما كانت عمته زينب (عليها السلام) تَمَرُّضُهُ في تلك العشيّة الموعودة
التي أهلكها إليها أخيها الحسين (عليه السلام) فدكّت قدرات أساطينهم بكل ثبات
وقوة (٢)، حيث اختلى بأصحابه في خباء، في بُعد عن ولده علي، وبُعدٍ عن
النساء والأطفال، وكان بقربه (حوي) مولى أبي ذر الغفاري وهو يقلب سيفه
الذي سيصول به وهو ليعالجه ويصلحه قائلاً (٣):

يا دهرُ أَفْ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ كَمْ لَكَ بِالْإِشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ
مِنْ صَاحِبٍ أَوْ طَالِبٍ قَتِيلٍ وَالْدَهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ
وإنَّما الأمرُ إلى الجليلِ وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكٌ سَبِيلِي
إن الإمام الحسين (عليه السلام) كان يؤمن بالمستقبل ويحترمه ويتحضر
ويتحرز في المحافظة على إجراءات أحداثه ((أن السياسي الأمين على
قضية مُجتمعه، يعيش في أبعاد الزمان كلها، ماضيه وحاضره ومستقبله،
ويتعامل مع حقائق الماضي، وواقع الحاضر، وآمال ومخاوف ومطامع

(١) عبد الصاحب ذو الرياستين الحسيني، لماذا نهض الإمام الحسين (عليه السلام) - عِلَلٌ وقوع
النهضة -، ١٤٢/٢.

(٢) محمد بحر العلوم، ثلاث نساء في سماء العقيدة، ١٠٩.

(٣) انظر / اليقوي، تاريخ اليقوي، ٢١٧/٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٣٩/٦ وما
بعدها.

المستقبل ... يقود بحذر لا يبلغ الجمود، ومغامرة لا تبلغ التهور مجتمعة نحو آفاق جديدة دون أن لا يبتز استمراريته وبعده في الماضي))^(١).

إنه إشعار بالنهاية وإستسلامٌ للموت لأنه الكرامة، وهكذا قال الحسين بن علي (عليه السلام) وأعادها ثلاثاً بعد أن ((أيقن أنه لا محيص له))^(٢).

ألا يجدر بنا أن نسير على نهج الإمام الحسين (عليه السلام)، ألا يجدر بنا أن ((نستمع إلى هتاف الحسين - عليه السلام - يدوي في التاريخ، أما من مغيث يغيثنا؟، لماذا نحصر نداء الحسين - عليه السلام - وهتافه المدوي في هذه الدائرة الزمنية الضيقة سنة ٦١هـ))^(٣).

وبهذه الأحداث الحرجة التي تمر على الحسين (عليه السلام) وعائلته ترك الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) العنان لدموعه الجارية على خديّه حزناً على أبيه تارةً وعلى النساء والأطفال تارةً أخرى حتى أدرك بأن البلاء نازل لا محال ولا محيص من رده^(٤).

وعباً الحسين (عليه السلام) أصحابه للقتال في يوم عاشوراء وصلّى بهم صلاة الغداء وكانوا اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته وأصحابه، منهم اثنان

(١) عبد الله الشريدة، الإمام علي (عليه السلام) القائد السياسي الأمثل، ١٢٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٧٠/٣.

(٣) نخبة من المؤلفين، الخطاب الحسيني صفحة مشرقة من ثقافات عاشوراء، ١٦.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٣٩/٦ وما بعدها.

وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً على أغلب الروايات^(١)، أو تسعون إنساناً بين رجل وامرأة^(٢).

ومن خلال هذه الأحداث العظيمة تبرز لنا بطلية عظيمة تعدُّ من أعاجيب الدهر في الفراسة والصبر والثبات، تلك هي شقيقة سبط رسول الله (ﷺ) وعقيلة الهاشميين زينب بنت علي بن أبي طالب (عليها السلام)، لقد كانت قائدة لوحدها، ترتفع بمسؤوليتها المستقبلية وتعدُّ لها، لأنها استبسلت منذ صباها استحضاراً لانتظار هذه اللحظة الصعبة التي أرسى مفاصلها وحلقاتها الآباء والأجداد والأمهات استقراءً لأحداثها منذ الطفولة^(٣)، فآلت على نفسها أن تعيشها إيماناً بما أخبرها الصادقون الآمنون بالله واليوم الآخر، لذلك التفَّ حولها رعيّل من النساء اللواتي تربّين على هداها وعشّن بحماها في تلك الواقعة الأليمة.

تقول الباحثة الاجتماعية المتخصصة بالدراسات التوافقية كفاح الحداد ((هؤلاء النسوة عشّن الحرية بكاملها، لم يُذعن للحاكم، ولم يخضعن للسلطان، ولم تُزدهن حراب الأسر والأذى إلا تصميمًا على إدامة المسير حتى يأتي الله بأمره))^(٤).

(١) انظر/ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/٢١٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦/٢٤١.

(٢) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ١/٩٥. وكذلك/ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/١٤٠.

وانظر/ الطبري، ذخائر العقبى، ١٤٦.

(٣) انظر/ عبد الزهراء مهدي، دراسة وتحليل حول (الهجوم على بيت فاطمة - عليها السلام -)،

(٤) نساء الطفوف، ٢١٤.

وتواصل هذه الباحثة قولها ((وقد نعيش الاغتراب عَنْهُمْ حينما نُذْعِن للنفاثات في العقد، وللمضللين من شياطين الإنس والجن، وحينما نساوم على العقائد من أجل دنيا فانية ومتعة وقتية زائلة))^(١)، فلم تَمُتْ زينب (عليها السلام) إذن وسيبقى حثيث غليانها في قلوب المؤمنين ليدفع بهنَّ إلى صناعة الأجيال لتجديد ما دعت إليه بطلا كربلاء على مر السنين والأيام والدهور.

لذلك إختلَّت موازين قوى الأراذل من فلول الشرك التي أحاطت بالإمام الحسين (عليه السلام)، لأن تضحية الإمام الحسين (عليه السلام) بالشهادة إنما تعني ((تضحية ذلك الإمام بنفسه وآل بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ، وتحطم هياكل الجور والفساد والظلم والاستبداد))^(٢)، لتبقى تلك العناوين من النفوس الطواهر الزواكي مشروعاً حراً كريماً على طريق الحرية والكرامة والنبوغ.

وكان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يرصد كل صغيرة وكبيرة عن قرب لينشر العدل في المجتمع كما نشره قبله جده المصطفى (صلى الله عليه وآله)، كما أنَّ بقاءه حياً يسوِّغُ لنظرية اللطف الإلهي بأن تستمر على وفق منهج هذا البيت الطاهر الذي حباه الله وميزه على الخلائق والبقاع.

وبهذا اشترأت عيون هؤلاء الأوباش حقداً وكراهية على النبي (صلى الله عليه وآله) وبيته الطاهر، فقابلوه (عليهم السلام) بهتك ذراريه في واقعة الطف فملئوا حراهم

(١) كفاح الحداد، نساء الطفوف، ٢١٤ وما بعدها.

(٢) محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الأرض والتربة الحسينية، ٣٣.

حقداً مع سيد شباب أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء فقتلوه مظلوماً ما
اثكل النبيين وأبكى الصخر الأصم دماً.

إن أصحاب الحسين (عليه السلام) يوم الواقعة بدأوا يتهافتون على الموت
كما تنهافت الفراشات على السراج، لقد صدق سيدي الإمام الحسين
(عليه السلام) حينما وصفهم بأنهم^(١):

قَوْمٌ إِذَا نُودُوا لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ وَالخَيْلُ بَيْنَ مُدْعَسٍ وَمُكَرَدَسٍ
لَيْسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ وَأَقْبَلُوا يَتَهَافَتُونَ عَلَى ذَهَابِ الْأَنْفُسِ
نَصَرُوا الْحُسَيْنَ فَيَا لَهُمْ مِنْ فِتْيَةٍ نَذَرُوا الْحَيَاةَ وَالْيُسُوسَا مِنْ سُنْدُسٍ
(فالاستعداد الرائع للتفاني الذي وصف به أصحاب الإمام الحسين
(عليه السلام) يوم عاشوراء ترك هؤلاء الأبطال يتباشرون بالموت وبحد السيف
بعيداً عن الرهبة والرعب والوجل والاضطراب))^(٢).

وتأهبت بنو أمية منذ الصباح لاستئصال أبناء الدوحة المحمدية، فصار
عمر بن سعد في تعبئة أعداد هائلة من الجيش ما بين فارس وراجل
والتأمت العساكر تلتف حول فسطاط الإمام الحسين (عليه السلام)، واجتمعت
العساكر من كل حذبٍ وصوبٍ، حيث اختلفت الرواة في تقدير هذا الجيش
الذي عبَّته ابن سعد لقتال الإمام الحسين (عليه السلام)^(٣).

(١) عبد الحسين شرف الدين، الفصول المهمة، ١١٤.

(٢) محمد بحر العلوم، المفهوم الإسلامي للتعاون بين المسلمين في سبيل الله، ١٦ وما بعدها.

(٣) انظر/ الدينوري، الأخبار الطوال، ٢٥٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٣٣/٦؛
الشبلنجي، نور الأبصار، ١٤٣.

وبدأت المعركة مع إطلالة الصباح وإشراقة الشمس^(١)، بهذا الجو المشحون بقعقة السيوف والحراب ولمعان الأسلحة وعلي بن الحسين (عليه السلام) يعاني من ألم المرض، وعمته زينب (عليها السلام) تُطمئنهُ وتواسيه، فما أشد الخطب وأعظم البلوى، فهل أن زينب تواسيه لمرضه، أم لمصاب أبيه، أم لسبي النساء وقتل الأبرياء، أم لحرق الفساطيط على رؤوس اليتامى، أم على الظمأ الذي يعاني منه الأطفال والرضع والنساء، أم تواسيه على ما تعانيه ... فبلوى والله ما مثلها بلوى ولم يُحدثنا التاريخ بمثل لها بدنيا الحروب.

إذن لم تكن معاناة الإمام السجاد (عليه السلام) معاناةً للمرض فحسب، وإنما كان معه إجهاض لقواه كونه مريضاً لا يقوى على الجلوس، ذعراً وهلعاً وضماً، ولو تعرض أصبر الناس لأبسط أنواع تلك المعاناة لأصبح نافذ الصبر شديد الجزع، ((لأنَّ المَحَكَّ في الالتزام بالقيم والأخلاق وأحكام الدين ليس هو في الأيام العادية، وعندما تسمح الظروف بذلك، وإنما في أيام الشدة أيضاً فليس مؤمناً ذلك الذي يلتزم بالدين فقط إذ لم يكن في التزامه أي خطر عليه، وليس عابداً لله من يتخلى عنه عندما يكون الالتزام بأوامره في جانب، ومصالحه في جانب آخر، أما المؤمن الحقيقي هو الذي يتخلى عن كل شيء في سبيل الحفاظ على التزاماته أمام الله وتجاه خلقه، أما الذي

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ٢٦٠.

يتخلى عن دينه عندما تعصف به الأزمات أو تنتابه البلاءات، فلا دين له، والتزامه من أصناف النفاق))^(١).

((أن ما جرى على الإمام السجاد (عليه السلام) من أنواع الظلامات وأقسام الجنيات - من قبل الأعداء والطغاة - لا يحصى كثرة ولا يحد تنوعاً ولا يعد تكراراً... وإن ما وقع عليه من تلك الأمور المؤلمة والمطالب المؤسفة والجنيات البشعة والمظالم الشرسة إنما هو شيء يسير ونزر قليل بالنسبة إلى الحقيقة والواقع، لأن السلطة الأموية ومن يحذو حذوهم ويسير في سيرهم كانت تمنع منعاً شديداً من نشر وبث تلك الظلامات وما وقع على الإمام السجاد (عليه السلام) من أنواع الجور والظلم والجنيات خوفاً من الافتضاح وسترأ على التقمص والاغتصاب))^(٢).

ولم تكن هذه الظروف معاناةً لعلي بن الحسين (عليه السلام) فقط، بل معاناةً لكل من سمع بذلك، يقول الخربوطلي بصدد ذلك ((فقد فجع المسلمون المعاصرون بقتل حفيد الرسول (ﷺ) على يد عبید الله بن زياد))^(٣)، وأوجز صاحب الفخري هذه الفاجعة وعظمتها على نفوس المسلمين بقوله: ((هذه قضية لا أحب بسط القول فيها إستعظماً لها، فإنها قضية لا يوجد في الإسلام أعظم فحشاً منها، ولعمري أن قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الطامة الكبرى، ولكن هذه قضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبي والتمثيل ما

(١) صاحب الصادق، الإمام الحسين (عليه السلام) ومبادئ الحق، ٤٧ وما بعدها.

(٢) الجزائري، جزاء أعداء الإمام السجاد (عليه السلام) في دار الدنيا، ٦.

(٣) عشر ثورات في الإسلام، ٨٥.

تتشعر له الجلود، واكتفيتُ عن بسْطِ القول فيها بشهرتها، فإنها أشهر الطامات، فلعن الله كُلُّ مَنْ باشرها وأمر بها، ورضي بشيء منها))^(١).

والذي يؤيد قول ابن الطقطقي هذا إنَّ ((مصنفو أوربا الذين كتبوا تفصيل مقاتلة الحسين (عليه السلام) وأصحابه وقتلهم، مع إنه ليس لهم عقيدة بهم أصلاً، إذ عنو بظلم قاتليهم وتعديهم وعدم رحمَتهم، ويذكرون أسماء قاتليهم بالاشمئزاز))^(٢)، ولذلك فإن فاجعة كربلاء تخبر الناس بأهمية الحسين (عليه السلام) ودوره في الإسلام ((وتُذكر الأمة بما جرى عليه وعلى آله وأصحابه من المصائب والآلام التي لم تمر على أحد قبله))^(٣).

وعلى أية حال فقد وقعت الحرب وسقطت الأبطال صرعى، ولم يبدأهم الحسين (عليه السلام) بقتال أو تجاوز أو إعلان حرب، بل قابلهم بالوعظ والإرشاد والامتنال لمبادئ العدل والإحسان.

إن علي بن الحسين (عليه السلام) راقب الموقف مراقبة متفحصٍ عاصرَ الأحداث وهو أحد أقطابها فلاحظ نوعان متناقضان من الناس:

١- قوم مع أبيه وقد فدوا بأنفسهم فاسترخصوا الأرواح وتسارعوا على الموت.

قَوْمٌ إِذَا نُودُوا لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ والخيلُ بين مُدْعَسٍ ومُكْرَدَسٍ
لَيْسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ وَأَقْبَلُوا يَتَهافتُونَ عَلَى ذَهَابِ الْآنْفُسِ

(١) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ١٣٨.

(٢) محسن الأمين العاملي، إقناع اللائم على إقامة المآتم، ٤٨.

(٣) م. ن. ٧.

نَصَرُوا الْحُسَيْنَ فَيَا لَهُمْ مِنْ فِتْيَةٍ نَذَرُوا الْحَيَاةَ وَالْأَسْوَ مِنْ سُنْدُسٍ
ولم يقل الوصف: لبسوا الدروع بل ذكر بأن هؤلاء الفتية قد ارتدوا
القلوب دروعاً يتدرون بها بدلاً من الحديد لأن قلوبهم أمضى من السيف
وأصلب من الحديد في نصرة الحسين (عليه السلام)، وهو وصفٌ بليغٌ عظيم
الوقع في النفوس، فكان هؤلاء حينما أذفت الساعة نسوراً إنقضت على
فرائسها ولم تبالي لما تتعرض له من الويلات والكوارث.

٢- ونوع آخر مع عدوه لا يميزون بين الحق والباطل، عميت أبصارهم
وبصائرهم ولا معرفة لهم بالأنساب وقيم العروبة فساقهم الطمع وحب الدنيا
لأتباع الباطل فألغى هذا الطمع زعامة عقولهم عليهم وسلط زعامة الشيطان
فصور لهم الباطل حقاً فتعسأ لما كانوا فيه يتخبطون، فكانوا وحوشاً ضاريةً
قتلوا الرجال والأطفال وسبوا النساء، وقطعوا الرؤوس، وآذوا المرضى،
وتركوا الموتى عُراًً بلا غُسلٍ ولا كَفْنٍ تذرهم الرياح، بعد أن وطئوا
صدورهم بالخيول، وحرقوا الفساطيط على النساء وتركوهنَّ ثكلى بالعراء،
وسَبَوهُنَّ تحت ضرب السياط، عطشى جياع، لأن الإنسان الذي لا ينسجم
في سلوكه وتصرفاته مع الأحكام والحدود الشرعية ولا يطبق حكم الله ولا
ينعكس إيمانه بالله تعالى على أفعاله والتزاماته يصاب بمرض القلب، وقد
ينتهي به الأمر في مسيرة التسافل والتمرد إلى الكفر بالله تعالى، كما هو
الحال في المنافقين^(١).

(١) محمد باقر الحكيم، ثورة الحسين (عليه السلام)، ١٣١.

ولم يقف القوم عند هذا الحد، فقد تجاوزوا الأكثر من ذلك، وأرادوا قتل السقيم، ((ولولا موقف العقيلة لذهبت البقية من نسل أخيها التي هي مصدر الخير والفضيلة في دنيا العرب والإسلام، لقد أنجى الله زين العابدين (عليه السلام) من القتل المحتم ببركة العقيلة فهي التي أنقذته من هذا الطاغوت الجبار))^(١).

يحدثنا حميد بن مسلم قائلاً: ((انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي الأصغر وهو منبسط على فراش له وهو مريض وإذا بشمر بن ذي الجوشن في رجالٍ معه يقولون ألا نقتلُ هذا؟ قال: فقلت سبحان الله أقتل الصبيان، إنما هذا صبي، قال فما زال ذلك وإني أدفع عنه كل من جاء، حتى جاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة أحدٌ ولا يعرض لهذا الغلام المريض، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم، قال: فوالله ما ردّ أحدٌ شيئاً))^(٢)، فقال الإمام السجاد (عليه السلام): ((لقد دفع الله عني بمقاتلك شراً))^(٣).

نعم والله ... لقد ماتت ضمائرهم بحق آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعميت أبصارهم وحمدت بصائرهم في التشنيع بقتل من أوصى النبي (صلى الله عليه وآله) بحمايتهم، فقد وصف عبد الرزاق عبد الواحد هذا الموقف بقوله^(٤):

وإِنَّكَ مُعْتَصِمُ الْخَائِفِينَ يَا مَنْ مِنَ الذَّبْحِ لَمْ يُعْصَمْ

(١) الطبري، ذخائر العقبى، ١٤٦.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٠/٦ وما بعدها.

(٣) م. ن، ٢٦٠/٦ وما بعدها.

(٤) سعيد رشيد زميزم، الحسين في الشعر المسيحي، ١٨٦.

لقد قُلْتَ لِلنَّفْسِ هَذَا طَرِيقُكَ لاقي به الموت كي تَسْلَمِي
وما دارَ حَوْلَكَ بَلْ أَنْتَ دُرَّتْ على المَوْتِ فِي زَرَدٍ مُحْكَمٍ
سَلَامٌ عَلَيْكَ حَبِيبَ النَّبِيِّ وَبُرْعَمُهُ طَبَّتْ مِنْ بُرْعَمٍ
حَمَلْتَ أَغْزَرَ صِفَاتِ النَّبِيِّ وَفُزْتَ بِمَعْيَارِهِ الْأَقْوَمِ

وهذا الشاعر المسيحي ميشال سليم كعدي هو الآخر ^(١)، يقول:

يا زينبُ الأَصْلُ يا فَرْعُ السَّمَاءِ تَلِيَّةُ الْعُظَمَاءِ عَلَى الْأَرْضِينَ وَالْقُطْبِ
مَسِيحُنَا رَافِضٌ غِشًّا فَكَيْفَ أَرَى ابن الحسين على أَيْدٍ مِنَ الشَّعْبِ
عَذْرَانَا مَرِيْمٌ، يا زينبُ طَلَبْتُ ما كان أروعها في مِعْظَمِ الطَّلَبِ
ولم يغب خبر مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) عن المدينة إذ انعكست
أحداث الموقف حتى على السماء ((فلما قتل الحسين بن علي أمطرت
السماء دماً فأصبحنا وجابنا وجرارنا مملوءة دماً... وأن السماء أسودت
إسوداداً عظيماً حتى رُؤِيت النجومُ نهاراً ولم يُرْفَعْ حَجَرٌ إِلَّا وَجَدَ تَحْتَهُ
دماً)) ^(٢).

كما أنَّ أم سلمة في ليلة مقتل الحسين (عليه السلام) سمعت نائحاً يقول ^(٣):

أَيُّهَا الْقَاتِلُونَ جَهْلًا حَسِينًا أَبْشِرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّذْلِيلِ
قَدْ لُعِنْتُمْ عَلَى لِسَانِ دَا وَدَ وَمُوسَى وَحَامِلِ الْإِنْجِيلِ

(١) سعيد رشيد زميزم، الحسين في الشعر المسيحي، ١٨٦.

(٢) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١٩٥.

(٣) م. ن.، ١٩٢.

ويُذكر أن صدر الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف وطأ بسنابك الخيول، حيث إنتدب عمر بن سعد عشرة من الفرسان لإتمام هذه المهمة^(١)، ودفن جسده الشريف في أرض كربلاء مِنْ قِبَل بني أسد^(٢)، وكان ذلك ((يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة ستين وقيل إحدى وستين))^(٣)، وأرسل رأسه ورؤوس أصحابه إلى عبيد الله بن زياد^(٤)، ورجع الركب الحسيني بصحبة الرؤوس مسبياً و ((معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعلي بن الحسين مريض))^(٥)، وقد حُمِلَ الإمام السجاد (عليه السلام) إضافة إلى معاناته وهو مريض حُمِلَ على بعير بغير غطاء ولا وطاء وفخذه ينضحان دماً^(٦)، ولما رأى (عليه السلام) تلك الدموع المزيقة قال: ((إن هؤلاء يكون علينا فمن قتلنا))^(٧).

وقد استشاط ابن زياد غضباً على علي بن الحسين (عليه السلام) وأمر بضرب عنقه إن كان مدركاً الرجال، فأجابوه نعم، وأجابه الإمام (عليه السلام) أن يصطحب هذه النساء رجلاً يُحافظ عليهن إن كان مصرّاً على قتله، وكان بينه وبينهنَّ قرابة فأمره باصطحابهن وقال له عبيد الله بن زياد ((ما إسمُك))

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٦/٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٦١/٦.

(٣) الطبري، ذخائر العقبى، ١٤٦.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٧٢/٣.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٢/٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٦/٣.

(٦) انظر / أبو مخنف، مقتل الحسين، ١١٠.

(٧) انظر / اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١٨/٢؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٤٤.

فقال الإمام ((علي بن الحسين)) فقال له ابن زياد ((أولم يقتل الله علي بن الحسين)) فسكت الإمام : فقال له ((مالك لا تتكلم)) ولم يكن سكوت علي بن الحسين سكوت مُخرج أو مُتلكئاً من جواب، بل أراد أن يجلب الناس لِرَدِّه، وأفصح إليه بالحقيقة قائلاً ((كان لي أخ يقال له أيضاً علي قَتَلَهُ الناس)) فقال ابن زياد ((إنَّ الله قد قتله)) فسكت الإمام أيضاً، فقالها له مرة أخرى ((مالك لا تتكلم))^(١)، فتكلم الإمام (عليه السلام) قرآناً [اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا]^(٢)، [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ]^(٣).

فقال ابن زياد ((أنت والله منهم ويحك))^(٤)، وأمر بقتله مرة أخرى، فقامت عمتُه زينب وتعلقت به وقالت ((يا ابن زياد حسبك منا ما رويت من دمائنا وهل أبقيت منا أحداً فاعتنقته، فقالت أسألك الله إن كنت مؤمناً إن قتله لما قتلني معه))^(٥).

حيث يُعدُّ الدور الذي مثلته العقيلة زينب (عليها السلام) في المشروع الإصلاح الحسني بالتعريف بآليات الإصلاح وحتمية الانتصار، فالإصلاح يستلزم الإيمان لوجود فساد في المجتمع فلا بد من أن تكون هنالك رؤية فاحصة للمجتمع للتعرف على مواقع الفساد، وقد كانت زينب

(١) انظر تفصيلات هذه الأحداث في المحاوره في /

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٣/٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٧/٣.

(٢) الزمر / ٤٢ .

(٣) آل عمران، / ١٤٥ .

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٣/٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٧/٣.

(عليه السلام) عاملاً رائعاً في كشف هذا النوع من الفساد^(١)، لأنها ربيبة النبوة في معقل العصمة والتقى ومهبط الوحي والهدى.

ومن خلال اعتراض العقيلة على ابن زياد في محاولته لقتل الإمام (عليه السلام) نستشف عامل الشجاعة الذي اكتسبته من جدها وإخوتها وكل من يتعلق بها، إضافة لعامل الحمية والغيرة التي كانت تمتلكها في تفضيل مقتلها على مقتل الإمام (عليه السلام)، فأى شهامة هذه، شهامة لا تمتلكها حتى فرسان بني أمية، إضافة لعامل الذكاء غير الطبيعي في محاولة اقناع العدو والخصم ببلاغة الرد والتأدب والتعقل مع الاحتفاظ بكامل الكرامة والعزة والشجاعة، إنها خصال السماء التي انتهلوا منها.

لذلك أجاب الإمام (عليه السلام) ابن زياد بقوله ((يا ابن زياد إن كانت بينك وبينهم قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهن بصحبة الإسلام))^(٢).

ولكن ابن زياد تعجّب من عظمة الحمية ونقاء الضمير وطيب الرّحم وصلته عند هؤلاء القوم قائلاً ((والله إني لأظنها ودّت لو إني قتلتها إني قتلتها معة، دعوا الغلام انطلق مع نسائك))^(٣).

وذلك بعد أن صعد ابن زياد منبره خطيباً ونال من الحسين (عليه السلام) وأهل بيت النبوة (عليهم السلام) مبشراً الناس بنصره المزعوم، وأرسل ابن زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى الشام وقد وضعت الأغلال في أيدي

(١) كفاح الحداد، نساء الطفوف، ١٩٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٣/٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٣٦/٦ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٨/٣.

الإمام علي بن الحسين ورقبته وحملوه ونسائه على الأقتاب^(١)، وقد أنهك جسمه المرض^(٢)، وبكى أهل الكوفة لموكب بني هاشم المسيبي، فتعجب علي بن الحسين (عليه السلام) لحزنهم عليهم وهم الذين قتلوهم.

وبصحبة هذا الموكب المسيبي، نُصِبَ رأس الحسين الشريف على رمح^(٣)، وحينما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد إرتجز قائلاً حين وضع الرؤوس أمامه، وقد أخذ يُقَلِّبُ شَفَتَي الحسين (عليه السلام) بِسَوْطِهِ مَتَمِّثاً بقول الحصين بن الحمام المري^(٤):

يُفَلِّقْنَ هَاماً مِنْ رِجَالٍ أَحَبَّةٍ إِلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا
فقال له علي بن الحسين (عليه السلام): ((كتاب الله أولى لك من الشَّعْر))^(٥). قالها وهو مصفد بالأغلال^(٦)، ولم يَخَفْ في إطلاق كلمة الحق ولو كلفه ذلك حياته كما فعل قبله أبوه.

فقال له يزيد: ((يا علي أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصدع الله بما قد رأيت))^(٧).

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٣/٦ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٨/٣.

(٢) الشبلنجي، نور الأبصار، ١٤٤.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١٨/٢.

(٤) انظر / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٧/٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٨/٣.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤٢/٣.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ١٥٧/٥؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢٧٣.

(٧) انظر تفاصيل ذلك / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٥/٦؛ ابن الأثير، الكامل في

التاريخ، ٢٩٩/٣.

فقال له علي بن الحسين [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [١]، فقال يزيد لولده خالد أجبه، فما درى خالد ما يرد عليه ((فاستدرك يزيد الموقف قائلاً: [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] [٢]، ثم دار بين الإمام (عليه السلام) ويزيد حوار في المجلس اشتركت فيه العقيلة زينب (عليها السلام) وقد أغضب ذلك الحوار يزيد، ثُمَّ هَذَا غَضَبُهُ وَأَوْصَى بِهِمْ خَيْرًا، ثُمَّ لَمْ تَبَقْ إِمْرَأَةٌ مِنْ آلِ أُمِّيَ إِلَّا بَكَتْ وَنَاحَتْ لِعَظَمِ الْفَاجِعَةِ الَّتِي رَأَيْنَاهَا وَنَحْنُ وَبَكَيْنَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ عَلَى مَا حَصَلَ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَجْلِسِ يَرِيدُ التَّقَرُّبَ لِيَزِيدَ فَقَالَ: ((إِنْ سَبَّاهُمْ لَنَا حَلَالٌ)) [٣].

فرد عليه علي بن الحسين (عليه السلام): ((كذبت وكؤمت، بذلك الآن تخرج من ملتنا وتأتي بغير ديننا، فاطرق يزيد ملياً ثم قال للشامي إجلس)) [٤]، فاضطرب المجلس على يزيد بما فيه زوجته هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز التي تقنعت بثوبها وخرجت إلى المجلس محتجةً على يزيد بقتل الحسين وسبي آل بيت النبوة [٥].

(١) الحديد/٢٢-٢٣ .

(٢) الشورى، /٣٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١٥٧/٥ .

(٤) م . ن، ١٥٧/٥.

(٥) انظر تفصيل ذلك في / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٦/٦ وما بعدها ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٨/٣ وما بعدها.

وأدرك يزيد انفجار الموقف وتساءل الناس حول ما ألمَّ بآل الرسول (ﷺ) ومهبط الوحي، فخشى التذمُّر، وغضب عليه الناس فأمر بمنبر وخطيب ليتقول على الحسين (عليه السلام) وينال مِنْهُ ويُلقِّصق إليه المساوي ولأبيه، وأكثر الخطيب من الوقعة بعلي والحسين (عليهما السلام) وأطنب بمدح معاوية ويزيد، فصاح به علي بن الحسين: ويحك أيها الخاطب لقد اشتريت مرضاة المخلوق بِسَخَطِ الخالق فتبوء مَقْعَدَكَ مِنَ النار^(١).

ثم طلب الإمام (عليه السلام) الإذن من يزيد ليصعد المنبر خطيباً فقال: يا يزيد إ إذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلماتٍ فيهنَّ لله رضى ولهؤلاء الجالسين أجرٌ وثواب، فأبى يزيد فقال له الناس: يا أمير المؤمنين: إ إذن له ليصعد، ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود، وسنذكر تفاصيل هذه الخطبة إن شاء الله لاحقاً وفي مبحث آخر من هذا البحث.

أقول: لا يسعني إلا أن استذكر قول الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بصدد اليوم الذي استشهد به جده الحسين (عليه السلام):

((إِنَّ المحرمَ شَهْرٌ كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال فاستُجِلَّت فيه دماؤنا وهُتكت فيه حرمتنا وسُبي فيه ذرارينا ونساؤنا وأُضرمت النيران في مضاربنا، وإنَّهْبَ ما فيه من ثقلنا، ولم يُرْعَ لرسول الله (ﷺ) حُرمة في أمرنا، إِنَّ يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذل عزيزنا، يا أرض كربلاء أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم القيامة، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام، ثم قال كان أبي (عليه السلام) إذا دخل

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ٦٩/٢.

شهر المحرم لا يرى ضاحكاً وكانت كآبته تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول هذا اليوم الذي قتل فيه الحسين - (عليه السلام) -^(١).

لقد انتهت الحرب ونعي الحسين (عليه السلام)، وعندما ((انجلت الغبرة، وهدأ سهيل الخيل، وسكنت الجياد عن الحممة، وخبت بريق السيوف، ونكست الرماح رؤوسها، ووجم الكون، وأسرعت الشمس غضبي إلى زاوية المغيب، واشترأبت بجيدها صحراء الطف وقلاعها ترقب الحادث الجلل، وطوت النخيلات المتناثرة على جرف الصحراء أطرافها، وقد تباعدت من حول الميدان، وودت ان لم ينبت لها القدر على أطراف هذه الأرض المشؤومة لئلا تشرك بدم الحسين (عليه السلام)، وسرى حفيف الريح بخطى الثاكل الحزين ينعي الجسد المسجى، وينسج من سفاسف الرمال أكفاناً ليغطي الأجساد الزاكيات الطواهر، التي مزقتها أسنة الرماح وعشت بها شفرات السيوف، وركلتها حوافر الخيل... ها هو الحسين (عليه السلام) رجل العقيدة والمبدأ سبط النبي، وريحانة الزهراء (عليه السلام)، قد أمسى مُقَطَّع الأوصال، ممزق الأعضاء، وقد رُحِّلَ رأسه الطاهر، وحيل بينه وبين الجسد بحد السيوف، وها هو جسده الشريف عارٍ قد سُلِبَ مِنْ كل لباس، لا يستره شيء غير غبار المعركة، وبركة الدم الطاهر الأبّي، وها هي جموع الجريمة

(١) ابن طاووس، إقبال الأعمال، ١٦.

ترقب المشهد عن كذب وتأمل في جسد الحسين (عليه السلام) وأجساد الرجال الذين تساقطوا من حوله))^(١).

((المنظر كئيب ... والجريمة بشعة، وشلال الدم ينحدر من أرض الطفوف، والأجساد المقطعة وأشلاء القتلى تتناثر في رحاب الميدان تناثر النجم في أفق السماء، أبو الشهداء الحسين السبط (عليه السلام) وسبعة عشر من إخوته وأبنائه وأبناء عمومته وبنو أخيه وستون من أصحابه يملئون أفق الميدان، وعلى مدى ساحة النزال وعلى مقربة من أرض المعركة قد ضرب مخيم الحسين (عليه السلام) أطنابه، ليس فيه إلا النسوة والأطفال الصغار، وإلا علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) الذي قعد به المرض العضال عن البروز إلى ساحة القتال))^(٢).

(١) انظر /

محمد باقر الصدر، الإمام الحسين (عليه السلام) ويوم عاشوراء، ١٧١.

(٢) محمد باقر الصدر، الإمام الحسين (عليه السلام) ويوم عاشوراء، ١٧٢.

المبحث الثاني: واقعة الحرة وموقف الإمام (عليه السلام) منها

إن المتتبع لأحداث واقعة الطف، سيرى بأن هذه الأحداث لم تكن أحداثاً عادية ولم يطرأ مثيلاً لها في عالم الوقائع والمعارك والحروب والأحداث، وذلك ((أن أعداء الحسين (عليه السلام) ليسوا أصحاب دين أو مبدأ أو عقيدة اللهم إلا مبدأ محو آثار رسول الله وأهل بيته الطاهرين والقضاء على دين الله وليس أولئك الأعداء إلا قتلة ولصوص))^(١).

وبعد أن انتهت إليه تلك الأحداث من أثر في نفس الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، فقد بدأ (عليه السلام) مرحلة جديدة في تعامله مع الأحداث، فالساحة فارغة أمامه الآن من الأبطال وفرسان الهيجا، فارغة من الحسين (عليه السلام) وعظمته، فارغة من الذين لان الحديد بأيديهم، فكانوا سداً منيعاً عنه يوم أمس، لذلك أصبح الأمر على غير ما كان بالأمس، فالنساء في عهده والأيتام في رعايته وجواب الأوباش حين يسألون بفضل بلاغته، لذلك فإنه اتخذ موقف المراقب والخير المتفحص الدقيق لما يجري، خاصة وقد أنيطت به مسؤولية البيت الهاشمي بعد استشهاد أبيه (عليه السلام)، واتجهت إليه الأنظار لمجابهة الخلافة الأموية، وفرضت عليه ظروف المرحلة أن يكون المسالم الناجح لمجابهة تلك الظروف.

123

وقد تداعت الأحداث على السلطة الأموية من وقعة الحرة وإعلان عبد الله بن الزبير خلافته في الحجاز، ونتيجة لتتابع تلك الأحداث في المدينة، الأمر الذي دفع يزيد بن معاوية لإرسال جيش تعداده ثلاثين ألفاً

(١) عبد الحسين عبد علي، دور الإيمان في صلابة وصمود أبطال ثورة الحسين (عليه السلام)، ٧٩.

من الرجال ومعهم عشرة آلاف بعير تحمل الزاد والمؤون^(١)، وقيل كان مكوناً من عشرين ألف فارس وسبعة آلاف راجل^(٢).

وقيل اثنا عشر ألف راجل، وكان بقيادة مسلم بن عقبة المري^(٣)، إذ كان شيخاً كبيراً ضعيفاً مريضاً، وقد سمي بعد واقعة الحرة (مسرفاً)^(٤).

وقيل إنما اختاره يزيد لهذا الأمر اثر وصية تركها له معاوية وقد ذكر فيها ((إنَّ لك من أهل المدينة يوماً فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفتُ نصيحته))^(٥)، فيزيد بن معاوية ومسلم بن عقبة وجهان لعملة واحدة، وكل منهما صنيعٌ لمعاوية، ترك فيهما أثره، وباتوا لا يفقهون إلا دناءة أفعاله، وانحطاط أخلاقه، إذ كان - معاوية - ((يقتل الأبرياء وينتهك الأعراض والحرمات، ثم ينسب ذلك إلى الله تعالى الذي جعل لمكة حرمةً في الجاهلية والإسلام ولم يحلها إلا لنبه ساعة من نهار!! وأذن فالله تعالى هو الذي قتل الأبرياء وانتهك حرمة البيت! سبحانك هذا بهتان عظيم))^(٦).

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١٧٩/١.

(٢) ابن اعثم، الفتوح، ٢٩٣/٥.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦/٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣١١/٣؛ ابن الطقطقي، الفخري، ٤١ وما بعدها.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٧٨/٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣١٥/٣؛ ابن الطقطقي، الفخري، ٤١ وما بعدها.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦/٧؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤٦/٦.

وقريب من هذا المعنى / ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣١١/٣.

(٦) عبد الباقي قرنه الجزائري، معاوية، ١٩٠.

لذلك قال له الأحنف يوماً لتقتيره وبخله بأداء الحقوق ((إنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن ما أنزله الله لنا في خزائنه فجعلته في خزائنك وجَلَّتَ بيننا وبينه))^(١)، لذلك قام يزيد شخصياً بالإشراف على عدة الجيش وتفحصه، مؤمراً عليه مسلماً، فإن أصيب فليستخلف الحصين بن نمير السكوني، وأوصى يزيد مسلماً ((انظر علي بن الحسين فاكفف عنه واستوصي به خيراً وأدن مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه))^(٢). وقد جرت أحداث واقعة الحرة في ذي الحجة سنة (٦٣هـ) يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه^(٣)، والتقى الطرفان بمعركة طاحنة قتل فيها عشرة آلاف من سائر الناس سوى النساء والصبيان^(٤)، وقيل ستة آلاف رجل^(٥). وقتل من أخلاط الناس نحو ستة آلاف وخمسمائة^(٦)، ويذكر أن عدد قتلى حملة القرآن سبعمائة^(٧)، وقتل في هذه الواقعة ثمانون رجل من أصحاب النبي (ﷺ)، ولم يبق بدري بعد ذلك^(٨)، أمّا من قتل فيها من آل أبي طالب رجلاًن هما عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وجعفر بن محمد بن

(١) م. ن، ١٩٠.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٢/٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣١١/٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٧/٧.

وقريب منه / المسعودي، التنبيه والإشراف، ٢٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣١٠/٣.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١٨٤/١.

(٥) ابن عثم، الفتوح، ٢٩٥/٥.

(٦) البلاذري، انساب الأشراف، ٤٢/٤.

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٢٠/٣.

(٨) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١٨٥/١.

علي بن أبي طالب، ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب، الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، والعباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب^(١)، ((وبضع وتسعون رجلاً من سائر قريش ومثلهم من الأنصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء دون من لم يعرف))^(٢)، وبهذه الواقعة بايع الناس يزيداً على أنهم عبيد^(٣)، عدا علي بن الحسين وعلي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب^(٤).

وكان مسلم بن عقبة يوم المنازلة مريضاً ويذكر أنه حُمِلَ بسريـر وكـرسـي فـوضـع بين الصـفـين^(٥)، وذكر المؤرخون أن قتال يوم الحرة كان ((من أعظم الأحداث في الإسلام وأجلّها وأفـضـعها رزءاً))^(٦).

وبعد الحملات العنيفة وما آلت إليه تلك الانتهاكات والهجمات هـيـمـن بنو أمية على المدينة، وأبلغ يزيد بتفاصيل تلك الأحداث حيث تمثل قائلاً^(٧):

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهْدُؤَا جَزَعَ الْخَزْرَجَ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٧٩/٣.

(٢) م. ن، ٧٩/٣.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤٦/٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ٧٩/٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٧٩/٣.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٩/٧ وما بعدها.

(٦) المسعودي، التنبيه والاشراف، ٢٦٤.

(٧) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢٧١.

لأَهْلُوا وإِسْتَهْلُوا فَرَحاً ثُمَّ قَالُوا يَا زَيْدًا لَا تُشَلْ
لَعِبْتَ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبْرُ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ

ويذكر أن مسلم بن عقبة قد بعث لعلي بن الحسين (عليه السلام) طالباً
حضوره بعد أن استقر وضع المدينة عقيب المعركة^(١)، وقد شاهد الناس
علياً (عليه السلام) وهو لائذ بقبر جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما طلب منه ذلك^(٢)،
(فأتي به إلى مسرف وهو مغتاظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلما رآه وقد
أشرف عليه، ارتعد وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سَلْنِي حَوَائِجَكَ فلم
يسأله في أحد مما قُدِّمَ إلى السيف إلا شفعه فيه، ثم إنصرف عنه))^(٣).

وسئل الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عن هذا التحول المفاجئ في
موقف مسلم بن عقبة تجاهه وقالوا له: ((رأيناك تحرك شفتيك، فما الذي
قلت؟ قال: قلت: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع
وما أقللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من
شرِّه، وأدرك بك في نحره، أسألك أن تؤتني خيره وتكفيني شره))^(٤)، وسئل
مسلم بن عقبة ((رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أتي به إليك رفعت
منزلته، فقال: ما كان ذلك لرأي مني لقد ملأ قلبي منه رعباً))^(٥).

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٢/٧.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٨٠/٣.

(٣) م. ن، ٨٠/٣.

وقريب منه / ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣١٤/٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣١٤/٣.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ٨٠/٣.

وحينما جاء علي بن الحسين (عليه السلام) ماشياً إلى مسلم بن عقبة عند طلبه إياه وهو مع عبد الملك بن مروان، وجلس عند مسلم يتوسطهما، قال له مسلم: ((انك إنما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي والله لو كان هذا الأمر إليهما لقتلتك))^(١).

وقال له: ((مرحباً وأهلاً ثم أجلسه معه على السرير والطنفسة ثم قال أن أمير المؤمنين أو صاني بك قبلاً وهو يقول إن هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن صلتك ثم قال لعلي لعل أهلك فرعوا، قال أي والله، فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله فرده عليها))^(٢).

وبعد ان انتهب مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام بايع من بقي من أهلها على انهم قن^(*) يزيد إلا علي بن الحسين بن أبي طالب الذي رفض الدخول فيما دخل فيه أهل المدينة، وعلي بن عبد الله بن العباس الذي لم يشترك في منازعة بني أمية لأن أخواله من كندة قد منعوا من ذلك^(٣)، وبايع مسلم بن عقبة أهل المدينة كافة وفيها بقايا الصحابة وأولادهم وصلحاء

وقريب منه / ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/٣١٤.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٢/٧.

(٢) م. ن، ١٢/٧.

وقريب منه / الدينوري، الأخبار الطوال، ٢٦٦؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١/١٨٧.

(*) القن: هو العبد الذي ملك أبواه.

(٣) المسعودي، التنبيه والاشراف، ٢٦٤.

التابعين على أنهم خول ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم^(١)، إلا علي بن الحسين (عليه السلام) فلم يلزمه على تلك البيعة^(٢).

وقد اتخذ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) موقفاً هادئاً يتسم بالصبر والأناة تملئه اليقظة والتحسب لكل شيء يشتمل الدقة وحسن التصرف والكياسة وفق نظر ثاقب مع هذه العصبية التي لا تحترم القيم وليس لها ذرة من ضمير ما أدى تلك النتيجة المتوازنة، حيث لم يكن مروره بهذه الظروف إلا نابعاً عن دراية تتصف بالتمعن والحكمة والتحسب لما تؤول إليه أحداث المستقبل، وقد علل البعض أن ((اعتزال علي بن الحسين لأهل المدينة ليس معناه أنه كان غير راضٍ عن ثورتهم ولا كان على ود بينه وبين الخليفة في دمشق، وإنما كان عملاً اقتضته الكياسة، وحتمه حسن الرأي وعمق التجربة))^(٣).

وعلى أي حال فإن الذي جرى في أحداث وقعة الحرة كان ليس يسيراً على من عاصر تلك الأحداث وخصوصاً الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) نفسه، وقد استمرت الجيوش بالمسير إلى مكة لإعلان الحرب ضد ابن الزبير^(٤)، بعد أن فرضت سيطرتها على المدينة بزعامة مسلم بن عقبة نفسه.

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤٦/٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٧٩/٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣١٤/٣.

(٣) عبد العزيز غنيم، الحسين بن علي أمام محكمة التاريخ، ٢١٩.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١٨٧/١.

المبحث الثالث: حركتا التوابين والمختار الشقي وموقف الإمام (عليه السلام) منهما

وبعد قتل الحسين (عليه السلام) في كربلاء سنة (٦١هـ) مباشرةً وحال رجوع ابن زياد من معسكره في النخيلة ودخوله الكوفة، بدأت حركة التوابين، وكانت جذورها وبداياتها في ذلك اليوم^(١)، حيث أصبح مقتل الحسين (عليه السلام) وواقعة الطف حديث الساعة بين الناس آنذاك، وبدأ التلاوم على قتله من قبلهم في الكوفة، وأعلنوا ندمهم على عدم نصرتهم له (عليه السلام) عندما طلب منهم ذلك كما وعدوه^(٢)، ورأوا بأن لا مصحح لهذا الخطأ الفادح ولا مزيل لهذا العار الذي لصق بهم وبقي يلاحقهم أبد الدهر إلا بإعلان الحرب على من قتلته وإستحلال حُرْمَتِهِ، والدعوة عليهما من أجل ذلك حتى يزيلوا ما علقَ بهم من إثمٍ وتقصيرٍ بحق ابن بنت نبيهم^(٣)، وبعد أن أعلن أهل الكوفة ندمهم الشديد لعدم نصرتهم الإمام الحسين (عليه السلام) فزعوا إلى خمسة أنفارٍ من زعمائهم وهم^(٤):

١- سليمان بن صرد الخزاعي، وقد كان صاحباً لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

٢- المسيب بن نجبة الفزاري.

٣- عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي.

٤- عبد الله بن والي التميمي.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤٧/٧.

(٢) م. ن، ٤٧/٧.

(٣) انظر / المسعودي، مروج الذهب، ١٠٠/٣. وكذلك / ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢٩٢.

(٤) انظر / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤٧/٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٠١/٣.

٥- رفاعه بن شداد البجلي.

وكلهم من خيار أصحاب علي (عليه السلام)، وقد تزعمهم سليمان بن صرد الخزاعي^(١)، ويلاحظ بأن الاختيار لهؤلاء الخمسة لم يكن اعتباراً وإنما مثل قبائل خمسة لتوزيع مسؤولية تلك المهمة على مساحات أوسع من المنطقة العربية الإسلامية^(٢)، وقرروا بأن يكون موعد إعلان الثورة، هو غرة شهر ربيع الآخر سنة (٦٥هـ)^(٣).

وكل هذه الأحداث تمر على كل من الشام والحجاز بمكته ومدينته، والعراق بكوفته، وبصرته، وكذلك كل بقاع الأمة الإسلامية والناس لا يهدأ لهم بال، والإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، قد اتخذ من المدينة مقراً له يترقب منها ترقب الخير، الذي لا ينبغي له سوى انكشاف البلاء الذي ابتليت به الأمة، وينتظر ما تؤول إليه هذه الأحداث المضطربة، وهو يعلم علم اليقين بأن هذه الاضطرابات قد أفرزتها واقعة الطف وألقت عليها بظلالها والتي لم يهدأ من جرائها بال للمسلمين وللناس عموماً، ويمكن القول بشكل أكثر وضوحاً بأن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لم يغيب من حساباته كل تلك الأحداث التي أعقبت واقعة الطف.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤٧/٧؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢٩٠؛ ابن الطقطقي، الفخري، ١٤٥.

(٢) الخربوطلي، عشر ثورات في الإسلام، ١٠٨.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤٩/٧ وما بعدها.

ومن بين هذه الأحداث المضطربة تبرز لنا شخصية المختار بن أبي عبيدة الثقفي^(١)، الذي ولد ((في نفس السنة التي هاجر فيها الرسول - ﷺ - من مكة إلى المدينة تحاشياً للأذى والعذاب الذي تعرض له - ﷺ - من قبل القرشيين في مكة نتيجة لرسالته التي كلفه الله تعالى بتبليغها إلى الناس كافة))^(٢).

ولا يعرف على وجه الدقة اليوم والشهر الذي ولد فيه المختار واقرب ما سجل بصدد ذلك ما ذكرنا في أنها في العام الذي هاجر به النبي (ﷺ)^(٣).

وكان المختار قطباً من أقطاب المسرح السياسي الذي كان سائداً آنذاك، ولعل تجوال هذا الرجل ما بين الحجاز والعراق، وتردده بين تلك الأمصار بسرعة هو الذي أعطى لشخصيته بروزاً في تلك الأحداث إبان تلك الحُقبَة الحرجة، وقد سئل عن غيابه مرةً وانقطاعه عن معايشة أحداث مكة لمدة عام فقال: ((كنت بالطائف وغير الطائف))^(٤)، وهو جواب لا يخلو من تمويه لغموضه، والذي يبدو بأن هنالك أموراً تجري وراء الكواليس، تتسم بخفاء وسريّة كاملة يشرف على تنسيقها وسير مجرياتها أطرافاً مساندةً لنصرة أهل البيت (عليهم السلام) نتيجةً لما تركته واقعة الطف من لوعة لا تنسى بين جوانح ونفوس الناس عموماً، وقد حدا هذا الوصف لشخصية المختار

(١) ابن الطقطقي، الفخري، ١٤٥.

(٢) محمد علي يوسف الاشقر، قصة ثورة المختار، ١٥.

(٣) م. ن، ١٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦١/٧.

بالدكتور إبراهيم بيضون في ماهية هذا السلوك من قبل المختار، حيث رجّح بأن هنالك لقاء سرياً جرى بين المختار وبين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لم يعلن عنه، وتباحثاً بأمر الظروف القائمة آنذاك، والدعوة له في العراق، لكنه لم يلقَ استجابة من الإمام (عليه السلام)، فانصرف إلى عمه محمد بن الحنفية^(١)، ويتضح بأن الدكتور بيضون قد اعتمد في ترجيحه هذا على ما أوضحه ابن الأثير في الكامل بصدد ذلك^(٢).

ويذكر ابن الأثير بأن المختار قد أنفذ مالا كثيراً إلى علي بن الحسين مقابل مبايعته له، ولكن الإمام رفض استلام تلك الأموال، أما ابن سعد في طبقاته^(٣)، فيذكر بأن الإمام (عليه السلام) قد أخذ هذه الأموال واحتبسها عنده لحين قتل المختار، فقام الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بمكاتبة عبد الملك بن مروان حول عائديتها والتصرف بها وإعلامه بالموقف، مؤكداً له كراهية التصرف بها، وكراهيته لأخذها والطمع فيها، فكاتبه عبد الملك يا ابن العم خذها، فقد وهبته لك فأخذها الإمام (عليه السلام)، ويبدو من خلال الروايتين بأن هنالك إختلافاً في نقلهما مع ترجيحنا للثانية، لأن الإمام (عليه السلام) كان يعلم بأن بقائها عنده أسلم بكثير من معرفة الناس والسواد بتلك الظروف كي لا يتهموا الإمام (عليه السلام) بتداول تلك الأموال والهبات بينه وبين المختار حفاظاً على سلامة الوضع وتميرير الموقف لصالح الأمة والإمام هو

(١) إبراهيم بيضون، سليمان بن صرد الخزاعي قائد ثورة التوابين، ١٦٩.

(٢) الكامل في التاريخ، ٨٣/٣.

(٣) ١٥٨/٥ وقريب منه /

ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٧.

الذي يتصرف بدقة وبعد نظر، وقد نجح الإمام فعلاً بتمرير الحالة بسلام وإطلاعه للسلطة وإعلامها بما جرى استبعاداً لدرء الإشكال عنه إضافة لدفع الخطر عن امته ودينه، ولا يستبعد أن يكون الإمام (عليه السلام) قد تحسب إلى قوة العين لدى دولة أمية ونشر نفوذها في مراقبة الأمور عن كثب، ومن المؤكد أن الإمام (عليه السلام) كان من المراصد التي أولتها عيون بني أمية كامل الأهمية من حيث وضعه تحت مجهر المراقبة، فقد رأى الإمام (عليه السلام) أن يكون تصرفه نابعاً عن الحنكة بهذه الدقة والذكاء بأن قام بإعلام هذه السلطة حول قضية الأموال التي أودعها المختار عنده لقطعه بأن السلطة قد وضعت النقاط على الحروف في قوة الرقابة على الأماكن المطلوبة والتي يقف (عليه السلام) في مقدمتها، كما أنه لا يستبعد أن تكون هذه الأموال قد اتفقت على بقاءها لدى الإمام (عليه السلام) بعقد يتعلق بوضع أنجع الحلول للمساهمة في حلحلة الوضع والوقوف بوجه السلطة الأموية شريطة سريان الأمور بكل يسر وأمان، وكل هذه الاحتمالات من الممكن أن توضع أمام الموقف الذي لم يعد ساكناً بتلك الظروف الحرجة التي تتعرض لها الأمة، وكل هذه الإجراءات قد تحصل لأن الأمر لم يكن هيناً على الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وهو في وقت لم يعد يهدأ له بال من جراء ذلك الاضطراب وخلط

134 الأوراق .

وتعد هذه الظروف التي ساسها المختار من الظروف الحرجة لموقف الإمام السجاد (عليه السلام) في تحديد نشاطاته على الساحة الجهادية، وقد وصف لنا الدكتور محمد حسين الصغير تلك الظروف بكون المختار لم يستطع أن ينشر الدعوة باسمه من جانب، ولم يتبنى الإمام (عليه السلام) رعايته

لدعوات علنية تقف بوجه بني أمية من شأنها تقويض حكمهم من جانب آخر^(١)، حيث لم يكن الإمام (عليه السلام) وانطلاقاً من طبيعة مكانته في النفوس وولايته الإلهية لم يعد عاطفياً لموقف مؤقت^(٢)، ولم يسمح لنفسه أن يشترك في صدام دموي مُسلَّح هدفه طلب ثأر قائم على أساس الانتقام وضرر الغير، فواجباته الأخلاقية المعمّقة فوق كل هذه الحدود، أبت إلا أن يحرص (عليه السلام) أشد الحرص على حماية بيضة الإسلام ومصلحة الأمة^(٣)، وقد تكون المصلحة غير واضحة المعالم أو معبرةً عن المصالح الذاتية أو الفئوية وعندئذ لم يضع الإمام نفسه موضع الشك والريبة دون التعيين، حيث يتصرف (عليه السلام) في مثل هذه الظروف راصداً بعين ثاقبة لمواقف الأمة دون الخوض فيها^(٤).

ويرى البلاذري بأن المختار بايع مسلم بن عقيل (عليه السلام) سراً بعد أن أنزله في داره حيث بعث الحسين (عليه السلام) به قبل وصوله إلى الكوفة^(٥).

ونتيجة لعزوف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عن المختار (رحمته الله) في دعوته، فقد إتجه لمناداته لمحمد بن الحنفية كما ذكرنا، رغم أنّ الشعار الذي رفعه المختار هو (يا لثارات الحسين) وأن هذا التوجه له أسباب ذات علاقة بأهداف ثورته، وتبعاً لتلك الأسباب فإن المختار نادى بإمامة

(١) محمد حسين علي الصغير، الإمام زين العابدين، ٧٥.

(٢) م. ن، ٧٥.

(٣) م. ن، ٧٥.

(٤) م. ن، ٧٥.

(٥) انساب الاشراف، ٢١٤/٥.

محمد بن الحنفية^(١)، وقد إصطدمت حركة المختار في الكوفة مع حركة التوابين، وأخذ المختار يؤلّبُ الناس عليها وينكل بإمكانية زعيمها، وأخذ يدعو الناس إلى الالتفاف حوله قائلاً: ((إنَّ سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه إنما هو عشمة من العشم وحفش بال ليس بذئ تجربة للأموال ولا له علم بالحروب إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم))^(٢)، وأخذ المختار يستهوي كثيراً من قلوب أهل الكوفة حوله رغم أن بعض رجالها كانوا مع سليمان وكان سليمان يوم ذاك متهيئاً للخروج وجمع أمره على ذلك، ثم خرج متوجهاً نحو الجزيرة، وأدرك بنو أمية بأن خطر المختار هو أكبر حجماً من خطر التوابين عليهم فأحاطوا به وقيل قيده، وكان يقول: ((أما ورب البحار والنخيل والأشجار والهامة والقفار والملائكة الأبرار المصطفين الأخيار لا قطعن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار في جموع من الأنصار ليسوا بميل أعمار ولا بعزل أشرار حتى إذا أقمت عمود الدين ورأيتُ شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بتأثر البنين لم يكبر عليّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى))^(٣)، وكان يكرر ذلك القول .

وكل ذلك يدور في كل من الشام والحجاز والعراق، وموقف

136 الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لم يتغير، فهو المتفحص المتعقل الكيس،

(١) يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، ٣٠١ .

وانظر / هاشم معروف الحسني، الشيعة بين الأشاعة والمعتزلة، ٥١-٦٤ .

(٢) انظر / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦٩٥/٧ وما بعدها .

(٣) م . ن، ٦٥/٧ وما بعدها .

لأنه أدرك بنظره الثاقب بأن الاعتداء على شخصية علي بن الحسين أهون بكثير من الإقبال على قتل الحسين بن علي (عليه السلام).

وأن الاعتداء على علي بن الحسين سيخلق آلاماً جديدة لا تعود سلباً على علي بن الحسين فحسب بل على المسلمين كافة، ولا يستبعد أن يكون كبار أهل الكوفة الذين التفوا حول المختار في الكوفة كانوا على علم بذلك، بل أكثر الناس علماً بذلك أمثال إبراهيم بن مالك بن الحارث الأشر وغيره.

وكان خروج سليمان سنة (٦٥هـ) بشعاره المعروف (يا لثارات الحسين)^(١)، بجيش تعداده ستة عشر ألف رجل، بينما كان جيش المختار ألفاً رجلاً، وأقام سليمان بن صرد بالنخيلة ثلاثاً، وقام فيهم خطيباً - يحثهم على الجهاد - وقد أكد بخطبته أنه يتوجب عليهم عدم الانقياد لما تؤول إليه مطامع الدنيا ونبذهم لها^(٢)، ثم إنطلق بعد ذلك جيش سليمان من كربلاء نحو الأنبار ثم إلى قرقيسيا، وقد لقي من أهلها خيراً في النصيح وحسن الضيافة، حتى قال سليمان لزفر بن الحارث وهو كبير قومه ((نعم المنزل به أنت أكرمت النزول وأحسن الضيافة ونصحت في المشورة))^(٣).

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦٥/٧ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٤١/٣ وما بعدها.

(٢) انظر / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦٧/٧ وما بعدها؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٠١/٣.

(٣) انظر / الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٧٣/٧.

وإستمر انطلاق الجيش حتى وصلوا عين الوردة التي أقاموا فيها خمس ليال^(١)، وقبل الوصول إلى عين الوردة أبلغ عبيد الله بن زياد جيش الشام الذي سيقا تل جيش التوابين بهلاك مروان الذي أقره عبد الملك على توليته إمرة الجيش التي عقدها إليه قبله أبوه مروان^(٢).

واشتبك الجيشان بمعركة حامية الوطيس، كانت النصر ة لجيش التوابين أسبقهم به المسيب بن نجبة هزم به أربعمائة فارس من جيش ابن زياد، فاردف الأخير جيشه باثني عشر ألف وعليهم الحصين بن نمير^(٣)، من أصل جيش كان تعداد ه ثلاثين ألفاً^(٤).

وانجلت الغبرة عن المعركة الطاحنة بين الطرفين في عين الوردة التي أبلى فيها التوابون بلاءً حسناً رغم مقتل سليمان بن صرد ومعظم أصحابه^(٥)، في هذه المعركة التي جرت يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادي الأولى سنة (٦٦هـ)^(٦).

وانتهت الصفحة التي تمثلت بحركة التوابين بتكافؤ القوى بين الجيشين، وبعد أن إنطوت صفحة حركة التوابين وما آلت إليها من نتائج، قام المختار بتكملة تلك الصفحة المنطوية التي كان آخر نتائجها قتل كل

(١) م. ن، ٧٣/٣.

(٢) البلاذري، انساب الأشراف، ٢٠٤/٥.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٧٥/٧.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ١٠٠/٣ وما بعدها.

(٥) م. ن، ١٠٠/٣.

(٦) م. ن، ١٠٠/٣.

من شارك في حرب الحسين (عليه السلام) وبقتل كل من يظفر به منهم^(١)، حتى وصل الأمر به إلى قيامه بقطع رأس عبيد الله بن زياد ووضعه في سلة وإرساله إلى المدينة المنورة لعلي بن الحسين (عليه السلام)، ولمحمد بن الحنفية، وبني هاشم، وحين وصول الرأس إليهم، أبدى الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) سروره بعد أن ترحّم على أبيه وأنصاره، ويروي المؤرخون أنّ الإمام لم يُرَ ضاحكاً يوماً قط منذ قتل أبيه الحسين (عليه السلام) إلا في لحظة وصول رأس ابن زياد إليه^(٢).

وبصدد ذكر المختار، فقد أثار البعض غباراً على شخصيته من كون مواقفه يشوبها الاستفهام حول قضية الإمام الحسين (عليه السلام)، وهل أنه كانت له مصالح سلطوية أو مالية أو سياسية بتطورات قضية واقعة كربلاء وما أعقبها من نتائج، أم أنه كان مخلصاً في ولائه لأهل البيت (عليهم السلام)، حيث لم تقف المصادر مكتوفة الأيدي عن هذا الأمر فان المتقدمون من علماء الرجال افصحوا عن فك ألغاز هذه الشخصية واثبتوا ولاء هذا الرجل وحبّه المتفاني لأهل البيت (عليهم السلام) وأنه ضحّى بالغالي والنفيس من أجل أن يصل إلى مرحلة تقديم كل ما يمكن تقديمه للقضاء على كل يد حاولت أن تمتد لاستئصال آل بيت النبوة وسلب القيادة والزعامة التي كانت في الأصل من حقهم، يقول ابن داود: [المختار بن أبي عبيدة الثقفي غمز فيه بعض أصحابنا بالكيسانية، وإحتج على ذلك برد مولانا زين العابدين (عليه السلام)]

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ٣٠٠ وما بعدها .

(٢) العقوبي، تاريخ العقوبي، ٦/٣ .

هديته، وهذا دليل لا يعتد به بما روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: ((لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلنا وطلب ثأرنا وزوج أراملنا وقسم فينا المال على العسرة، ولما أتاه أبو الحكم ولد المختار أكرمه وقربته حتى كان يقعه في حجره، فسأله أبو الحكم عن أبيه وقال: سبحان الله! أخبرني أبي والله أن مهر أُمِّي كان مما بعث به المختار، رحم الله أباك، يكررها، ما ترك لنا حقاً عند أحدٍ إلا طلبه، قتل قتلنا وطلب بدمائنا.

وأما أبو عبد الله (عليه السلام) فروي عنه أنه قال: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى أرسل إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين (عليه السلام).
وأما علي بن الحسين (عليه السلام) فروي عنه أنه قال: لما أرسل المختار برأس عبيد الله بن زياد خراً ساجداً وجزئ المختار خيراً، وما روي فيه مما ينافي ذلك، قال الكشي نسبه إلى وضع العامة أشبهه، فمنه ان الصادق (عليه السلام) قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين، ومنه أن علي بن الحسين (عليه السلام) رد هداياه، وقال: لا أقبل هدايا الكذابين وأنه الذي دعا الناس إلى محمد بن الحنفية وسُموا الكيسانية والمختارية وكان لقبه كيسان، وهذا تشنيع العامة على المختار، وأما رد الهدية فقد روى الكشي عن محمد بن مسعود يرفعه إلى عمر بن علي أن المختار أرسل إلى زين

140 العابدين بعشرة آلاف فقبلها وبني بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت، ثم بعد ذلك بعث إليه بأربعين ألف درهم فردها، وهذا الإنفاذ يستلزم الاعتقاد، وأما رد الثانية فلعلَّه لعلَّة عارضته اقتضت ذلك وهو لا ينافي صحة عقيدة المختار، وأما تعليل رده إياها بقوله: (لا يقبل هدايا الكذابين) فبعيد، إذ هذه العلة موجودة في الأولى وحاشا للإمام (عليه السلام) من

هذا القول بعد قبول الأولى، وأما نسبة الكيسانية إلى المختار لأن ذلك لقبه، وقد روي انهم نسبوا إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولو سلمنا ان ذلك لقبه وأنهم بالخروج معه سمو الكيسانية فلا يلزم ان يكون كيسانياً^(١).

ويذكر الدكتور هاشم معروف الحسني بأنه في الوقت الذي كانت به ثورة المختار كان أهل الكوفة يستمدون تعاليمهم وتوجيهاتهم من الإمامين السجاد والباقر (عليهما السلام) التي كانت فيه الكوفة مقرأً لقيادة المختار، وكان الإمام السجاد (عليه السلام) يراقب الحالة بالكوفة ويستقصي أخبارها خصوصاً بعد اشتعال ثورة المختار لأنها كانت تهدف إلى استئصال قتلة الحسين (عليه السلام)، ولو كان المختار كما وصفه المشعوذون لتبرأ منه الإمام (عليه السلام) وشمته ونال منه خصوصاً وأنهم (عليهم السلام) لا يحابون أحداً على منكر أو لعملٍ يحقق لهم مغنماً يبعدهم عن الدين وأغراضه^(٢).

وسيراً على الهدف الذي ارتسمه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بقي يرصد وعن بعد كل ما يدور من أحداث سواء كان مصدرها الشام أم العراق أم الحجاز، ولم يقتصر المختار على متابعة قتلة الحسين (عليه السلام) والتشريد بهم، بل إمتدت جهوده إلى محاربة ابن الزبير في المدينة، فوجّه جيشاً لحربه ظاهرةً تقديم المعونة له ضد الجيش الأموي الذي بعثه عبد

(١) ابن داود، الرجال، ٥٣/٢ وما بعدها

وانظر / هاشم معروف الحسني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ٦١ وما بعدها.

(٢) هاشم معروف الحسني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ٦١ وما بعدها.

الملك بن مروان لحربه ، وباطنه القضاء عليه، وقد نزل هذا الجيش بوادي القرى^(١).

وفي سنة (٦٧هـ) ولّى ابن الزبير أخاه مصعباً البصرة بعد عزل القباع عنها، وفي العام نفسه سار معصب بجيش كبير نحو الكوفة، محارباً المختار الذي انهزم أمامه وقتل خلال تلك المعركة^(٢).

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٣٣/٧ وما بعدها ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٧٩/٣ وما بعدها .

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٤٦/٧ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٠٦/٣ وما بعدها ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٨١/٣ وما بعدها .

المبحث الرابع : حركة عبد الله بن الزبير وموقف الإمام (عليه السلام) منها

امتنع عبد الله بن الزبير عن بيعه يزيد بن معاوية بالخلافة بعد إمتناع الإمام الحسين (عليه السلام) عنها حيث قال ((إني في الطاعة غير اني لا أبايع أحداً، وأنا مستجيرٌ بالبيت الحرام))^(١)، وقد أعلن ابن الزبير عن حكومته المستقلة في مكة وذلك عشية مقتل الحسين (عليه السلام) في كربلاء، فما أن سمع ابن الزبير بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) حتى سارع إلى طلب البيعة لنفسه بعد خطبةٍ طويلةٍ أظهر من خلالها انتقاده لدولة بني أمية ووقوفه ضد بيعه يزيد بالخلافة، ثم إستبكى الحسين (عليه السلام) وسبَّ أهل الكوفة لقتلهم إياه، وكان عمرو بن سعيد بن العاص عامل مكة حينذاك، وزاد نفوذ ابن الزبير في مكة، وقام أهل المدينة بمكاتبتة، حيث قويت شوكتة، وقد أدرك الأمويون خطر ذلك عليهم، لذلك فقد حُوصِرَ ابن الزبير من قبل القائد الأموي الحصين بن نمير السكوني مكلفاً من قبل يزيد بن معاوية بذلك، وكانت محاصرته في الكعبة حتى اليوم الرابع من شهر ربيع الأول عام (٦٤هـ) حيث هلك يزيد بن معاوية، حينذاك إتفق الحصين مع ابن الزبير على عقد مؤتمر في منطقة (الأبطح) طالباً منه الخروج معهم إلى الشام كي تتم له البيعة هناك، لكن ابن الزبير أبى كل ذلك العرض الذي قدمه له الحصين لأنه علم بموت يزيد وسمع به ولم يطمئن لما تؤول إليه الأحداث مستقبلاً^(٢)، مما دفع الحصين أن يُخاطب ابن الزبير على عدم انصياعه لتلك

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ٢٦٢.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٨٤/٣ وما بعدها .

النصيحة قائلاً: ((لقد كذب من زعم إنك من دُعاة العرب، أكلمك سرّاً وتكلمني علانية، وأدعوك إلى الخلافة وتدعونني إلى الحرب))^(١)، وقد قُدِّرَ للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أن يعيش في وسط تلك الأحداث الخطيرة المتوترة من مسرح الحياة السياسية لدولة الإسلام وشاهد أحداثها التي تعد بحق من أعظم الأحداث التي جابهت الأمة الإسلامية وأكثرها مروفاً عن مسيرة الإسلام ومنهجه.

وبالمقابل كان أهل المدينة وقتذاك في وجل وخوف وقلق عقيب الأحداث التي عرّضهم لها الحصين وجيشه في واقعة الحرة، فخافوا من عودة الحصين وما يخططه لهم مرة أخرى، فكان للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) موقفاً في تهدئة الوضع وتجنب المدينة والمسلمين غوغاء القتل والنهب وضياع القانون، خاصة وأن الدولة فقدت سيطرتها على الموقف وتهدة الاضطراب.

عندئذ خرج الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) مستقبلاً للحصين وجيشه وسلّم عليه وعَلَفَ دوابهم بالقت والشعير، وقام الإمام (عليه السلام) بتهدئة الموقف أمام الحصين وجيشه وعاملهم بالحسنى، فتركوا المدينة، ومضى ذلك الجيش إلى الشام^(٢)، حيث جَنَّبَ الإمام المدينة وأهلها مما لا يُحْمَدُ عقباه من الولايات والتهتك من قِبَل الجيش الأموي وقائده.

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ٢٦٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٧/٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٧/٧.

وفي سنة إثنين وسبعين من الهجرة وجَّهَ عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير بعد قتل أخيه مصعب بن الزبير وكان ذلك في شهر جمادي من السنة المذكورة^(١)، هذا وقد حُصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة (٧٢هـ) وقتل لسبع عشر ليلة خلت من جمادي الأولى سنة ثلاث وسبعين، وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة^(٢).

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٣٠/٣.

(٢) م. ن، ٥٣٨/٣.

الفصل الرابع

سيرة الإمام (عليه السلام) العلمية

المبحث الأول: الصحيفة السجادية

توطئة :

لم تكن العبادة والتهجد والنسك صفات أملتھا الظروف والأحداث الحرجة التي تعرّض إليها الإمام (عليه السلام)، وإنما هي طبيعة وسجية من سجايا أهل هذا البيت الطاهر (عليه السلام)، وقد اكتسبها الإمام (عليه السلام) من جده أمير المؤمنين (عليه السلام) وأبيه الحسين وعمه الحسن (عليهما السلام) وجده الأعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حيث أدرك الجميع بأنه ((لا بد للإسلام أن يهيمن على هذا الإنسان، وعلى كل طاقاته وعلاقاته ليستطيع أن يريّه))^(١)، وعليه فقد إنطلق الإمام (عليه السلام) على وفق هذه النظرية لتصبح جزءاً من وجوده وتجري مع دمه وعروقه^(٢).

وكل هذا لا يمنع أن يتَّجه الإمام (عليه السلام) إلى الله سبحانه وتعالى في الملمات والكوارث والآفات التي تتعرض لها الأمة، لأن الله سبحانه وتعالى هو المفزع لعباده عند الملمات والضيق والأزمات، حيث إشتهر عن الإمام (عليه السلام) كثرة الدعاء، وقد ألجأته إليه الظروف السياسية القاسية التي عاصرها في واقعتي الطف والحرّة، وما تعرّضت إليه الكعبة المشرفة في حركة عبد الله بن الزبير وباقي الأمصار، حيث الاعتداء على أعظم

(١) محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة عدف، ١٢٠.

(٢) م. ن، ١٢٠ وما بعدها.

مقدسات المسلمين في مكة والمدينة، وعدم التورُّع عن محارم الله في الاعتداء على تلکم الأماكن العبادية ذات القداسة العظمى.

وبناءً عليه فإن الإمام (عليه السلام) أدرك بأن المنحرفين عن الإسلام سيستسهلون الاعتداء عليه وعلى أهل بيته (عليهم السلام) بأبشع من ذلك وأكثر تنكيلاً خصوصاً وأنه أقل شأنًا من أبيه الحسين (عليه السلام)، والمدينة أقل قداسة من مكة والبيت، وما رآته المدينة من جيش مسرف بن عقبة المري والحسين بن نمير السكوني يدعوها إلى الصبر والسكون، بعد أن ذاقت الولايات في ذلك، لذلك أدرك الإمام السجاد (عليه السلام) مدى هذا الخطر فتصدى لعلاج من خلال أسلوب الدعاء، فاتَّخذَ مِنْهُ وسيلةً لخلاص الأمة من الانهيار بكل ما أوتي من بلاغة نبوية فريدة وذهنية عالية تنفتق عنها أروع المعاني وأدقها في تصوير صلة الإنسان برَّبِّه وتعلقه بمبادئه، واستطاع (عليه السلام) بمواهبه تلك في نشر التوجه الروحاني الذي يشدُّ من عزيمة الإنسان ويُحشد طاقات الإيمان لديه مما يصنع إنساناً نزيهاً بعيداً عن المغريات^(١)، فكان الدعاء إذن هو الوسيلة القدسية التي استعملها الإمام (عليه السلام) كسلاح والتي علَّمها لتلاميذه ومقربيه لتكون لهم عوناً بمثل هكذا ظروف وعلى مثل هؤلاء حكام خصوصاً و((إن بني أمية الضالعين في ركابهم يدركون تماماً ما للحسين وآل البيت (عليهم السلام) من مكانة لا تضاهيها مكانة في نفوس

(١) نور الدين آل علي، الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، ٣٦.

المسلمين، ومن اجل ذلك خططوا للتعمية وبذلوا كل ما في سعيهم لإثارة الضباب حول القضية^(١).

لقد إستشعر الإمام زين العابدين (عليه السلام) بالخطر الجسيم الذي يُحدِقُ بالأمّة حيث المسؤولية الجهادية الكبرى التي لا يتحملها إلا أهل الرسالة السماوية، وأدرك بأن المنهج الأموي نهجٌ موبوءٌ نسجته الأفكار الشاذة عن جادة الصواب لتضليل الجماهير من خلال تجنيد أئمة الجور ووعاظ السلاطين لبث الشبهات والأكاذيب والافتراءات على البيت النبوي الطاهر وتشويش أفكار السُذَّج من الناس الذين لا يفرقون بين الناقة والبعير، أنه والله عصر الاستكانة والمهانة والذل في تاريخ الأمّة^(٢)، وكان لابد للإمام زين العابدين (عليه السلام) أن يتصدى بعنف لردّها والقضاء عليها بأسلوب إلهي ملكوتي من ورائه قوى خفية رادعة، وكان يرص الصفوف ويحشد الطاقات من خلال إسلوبه في الدعاء متمثلاً بـ(الصحيفة السجادية) رداً على مهالكهم الدنيئة وشذوذهم الخلقي الذي لم تسجل البشرية له نظير في التاريخ قط، فأكثرَ (عليه السلام) من هذا الدعاء حتى بلغ ما أثر عنه أكثر مما أثر عن غيره من الأئمة والصالحين، وقد وصف الشاعر السيد محمد الشيرازي هذه الصحيفة العائدة للإمام (عليه السلام) بوصف رائع بقوله^(٣):

جم المحاسن عَفَّ النفس ذو كَرَمٍ

كالسُحْبِ تَهْطَلُ من فيض الفدا جُودا

(١) لجنة التأليف في دار التوحيد، الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، ٣١.

(٢) عبد الأمير القريشي، البالغون الفتح في كربلاء، ١٩.

(٣) إسماعيل عبد الرحيم الخفاف، الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ٣٥٣.

منه (الصحيفة) تحلّو في الورى أبداً

كالشّمس تَغطي على الآفاق تجديداً

زين العباد الذي في مجد خالقه

العظيم من طاعة لم يأل مجهوداً

نعم إن الإمام (عليه السلام) أراد بأسلوبه الجديد أن يدق أسفين الفشل والسقوط لقوى الفساد ولكن بأسلوبٍ ومنهجٍ يُقرُّه العقل وتقبله الأعراف والأخلاق والقيم والذي من شأنه أن يجتث من خلاله الباطل والتمرد على قوى الخير والرشاد، أنه أسلوب الدعاء والتعلق بالسماء فأَي تعلق هذا؟ إنه التعلق الحق الذي أراده الله جل وعلا، والذي يداوي الإمام (عليه السلام) من خلاله ((النفوس المريضة بالصَرَخات الأخلاقية والآيات السامية، وكان في عصر لم تسمح به جبابرة عصره بارتقاء المنابر وإرشاد العالم وإنقاذه من أئمة الجور، ولم يتسنَّ له أن يثبت ما طمسه بنو أمية من أحكام الدين الإسلامي، فجعل يوضح ذلك بطريق الدعاء))^(١).

لقد أراد الإمام (عليه السلام) بأسلوبه هذا أن يجعل من الدين مرجعاً ومعتمداً ومنهجاً يرجع إليه الإنسان عندما يُعرَّضُ إلى أذى، وهذا لا يتأتى إلا من خلال دعوة الباري جل وعلا بنياتٍ صادقة ملؤها الثقة والاتكال على الله ((فبعث بالصحيفة السجادية حاويةً على أربعة وخمسين دعاءً في الصلاة والصيام والحج وأدعيةً تقال في الملمات والاستعاذة والاشتياق وطلب

(١) أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، ٣٥٠.

قضاء الحاجات والاستسقاء والاستخارة والتوبة))^(١)، حيث تذكّر هذه الصحيفة العبدَ بما عليه من واجبات، كما تذكّر الناس بحق الله على النفس وحق النفس على النفس وغير ذلك.

وبتحرير هذه الصحيفة - الصحيفة السجادية - فإن الإمام (عليه السلام) يُعدُّ ممن ابتكر نَفْلَةً فكريةً جديدةً لم تطرأ على أحد من الناس آنذاك، حيث النفوس حيارى في إيجاد طريقة للتخلص من كابوس الظلم الذي جثم على صدور الأبرياء والكسبة والمحرومين، وبهذه الصحيفة أيضاً ((أتجه الإمام - عليه السلام - إلى النضال السلبي ضد السلطة القائمة، وقد تمثّل نضاله على شكل عبادةٍ وأدعيةٍ وأذكارٍ ... لكي يتناقلها الناس ويتعلمها ويتداولها البعض عن البعض))^(٢).

ولم يكن الإمام السجاد (عليه السلام) من الدعاة إلى الدعاء كونها العملية التملصية من تحمل أعباء الحياة الجهادية في الوصول إلى الطموح بلا تضحية تذكر، كذلك لم يكن الإمام داعياً إلى الهروب من المسؤولية أو الانزواء خلف الكواليس أو محاريب المساجد والمعابد، أنه (عليه السلام) عدَّ الدعاء من أهم مقدمات الحصول على الشيء إذا كان مقروناً بتطبيق ضوابط ومستلزمات نجاحه، وهذا هو المنظور الإسلامي والعلمي للوصول إلى المراد في فاعلية الدعاء ((ومن هنا نرى مواقفهم (عليهم السلام) مختلفة الوسائل والأساليب متخذة الغاية والهدف، فقد قام بعضهم بالسيف مجاهداً

(١) م. ن، ٣٥٠.

(٢) الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، رسالة الحقوق، ٧.

وتمسك الآخر بالصبر مجاهداً وكلهم وطَّئوا أنفسهم على تحمل مرارة السجن والنفي والتشريد والقتل وأنواعاً أخرى من الظلم والاضطهاد^(١).

والدعاء في نظر الإمام (عليه السلام) ليس بديلاً عن الجهاد وأداء الممكن الذي يسبق التوجه إلى السماء بفتح أبواب النصر لاستجابته.

لذلك نرى أن أهل البيت (عليهم السلام) لم ينفكوا لحظة واحدة عن أدائه شريطة أن يُسبقُ بتطبيق يفعلونه على ساحة الوجود ليكونوا في حل من تطبيق ما هو مطلوب منهم في شرائط قبوله، ولكي لا تكون له عليهم حجة في سكوتهم عن ذلك الأداء والتطبيق.

فالنبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل المعارك الطاحنة، لكنه لم يترك الدعاء فانتصر، والإمام علي (عليه السلام) كذلك فدعى الله وانتصر، والإمام الحسين (عليه السلام) ثار على الفساد وسلَّ سيفه ضد البغي فصار بريقاً متوقداً على مر التاريخ والأيام والحقب والدهور وانتصر^(٢).

وزين العابدين (عليه السلام) رأى بأم عينيه كيف قُطعت أجساد أهله وأخوته وأبناء عمومته أوصالاً على عرصات كربلاء دون ذنب فصبر ودعى ربّه وانتصر.

وقد هدف الإمام زين العابدين (عليه السلام) بإعلان الثورة على الطغيان والمد اليهودي في البلاد الإسلامية ولكن بطريقته الخاصة هادفاً من طريقته تلك بالحفاظ على بيضة الإسلام قبل كل شيء لأنَّ في هذا الحفاظ

(١) كاظم محمد النقيب، مقالات في الدعوة والدعاة، ١٠٩.

(٢) انظر / علي شريعتي، الإمام السجاد أجمل روح عابدة، ٨٨ وما بعدها.

استمرارية النهج الذي بدأه جده المصطفى (ﷺ)، حيث النهضة الاجتماعية التي أرساها المصطفى (ﷺ) لبناء مجتمع يمتاز بتخطي ما آلت إليه الجاهلية والعادات الهمجية التي أراد دحضها دين محمد (ﷺ) والتي حرّرت بتكليف من الله سبحانه وتعالى، وهذا من ثوابت الأمور التي يقربها القرآن العظيم والحديث الشريف ومن ثم العقل والمنطق والأصول ولا خلاف عليها، ولعل النهضة بمعانيها المختلفة لا بد لها من وجود من يعارضها، حيث اقتضت الحالة عندئذ على أن نطلق عليها اسم (الثورة) على الواقع الفاسد الذي تبناه فصيلٌ كبيرٌ من المجتمع، وبذلك يكون الجهد الذي يقوم به من يكلف بذلك - أعني الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحون - ليس بالأمر الهين وإنما قد يكلفهم حياتهم في كثير من الأحيان ((لأنه ثورة على الجاهلية بكل جذورها وتطهيرٌ للمحتوى النفعي والفكري للمجتمع من جذور الاستغلال ومشاعره ودوافعه))^(١).

لذلك نرى من خلال تفحصنا بأن شوط (الثورة) أطول عادة من العمر الاعتيادي للرسول أو القائد، وهذا هو السبب في استمرارية الدور المهم للإمام (عليه السلام) بعد النبي (ﷺ)، ولولا الأئمة (عليهم السلام) بعد النبي (ﷺ) لاندثر الدين واندرست معالمه.

لقد اقتضت العدالة السماوية واللطف الإلهي بالعباد أن تتم إحاطة (الثورة) أي مواجهة الواقع الفاسد - بأن يمتد الدور إلى ما بعد النبي (ﷺ) لاستكمال مفاصل تلك الثورة بجميع حلقاتها من خلال تعدد الأدوار

(١) محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، ١٥١.

ووحدة الهدف وهذا لا يتم إلا بمجيء ((قائد رباني يمارس خلافة الله على الأرض وتربية الجماعة ويكون شهيداً في نفس الوقت، وهذا القائد الرباني هو الإمام))^(١)، ((فرسول الله - ﷺ - والأئمة الهداة - عليهم السلام - مقيضون لتنبية الأمة من رقدة الجهل وإنارة سبيل الهدى لهم أحياءاً وأمواتاً وهذا لطف من المولى سبحانه على هذه الأمة ومِنَّة عليهم بإنقاذهم من مخالب الضلال فشرّع الطرق الموصلة إلى القرب منه جلّ شأنه))^(٢).

إن دور الإمام (عليه السلام) هو خلافة الأرض من بعد النبي (ﷺ) لأنّ بدوره بفصح عن ((معرفة النبي والأئمة (صلوات الله عليهم) وبقية العقائد التي جاء بها النبي - ﷺ - من العدل والمعاد والآخرة والجنة))^(٣)، فكانت مهمة المصلحين في الأرض ومنهم الأئمة (عليهم السلام) هي مهمة إصلاحية خالصة، ((والإصلاح بين الناس أن يعيشوا في سلام وحب وأمان، ولا يعيشوا الاختلافات والنزاعات والأحقاد والضغائن، وهي الأخرى قيمة وهدف ومقصد))^(٤).

ولقد كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) أحد المصاديق التي تنطبق شكلاً ومضموناً على منهجية جدّه المصطفى (ﷺ) وجدّه أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولكلّ دوره وبما يتناسب مع الظروف والتبعات حيث اختلافهم في المرحلة واتحادهم في الأهداف والنتائج.

(١) م. ن، ١٥٢.

(٢) عبد الرزاق الموسوي المكرم، السيدة سكينه، ٢٤.

(٣) علي الكوراني العاملي، معرفة الله، ٦٩.

(٤) محمد تقي المدرسي، الإسلام حياة أفضل، ٨٨.

أن الصحيفة السجادية تُعدُّ ترجمةً صادقةً المضامين للكشف عن سلامة النهج عند الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ومحتوياتها تدل على مصداقية هذا المنهج وسلامة الأخلاق وسمو الانتساب لدى الإمام (عليه السلام)، لذلك فنحن مدعوون لإحياء أمرهم لأن هذا الإحياء فيه ((حياة الدين وقوام الصالح العام وخلود السعادة الكبرى))^(١).

لقد استند الإمام السجاد (عليه السلام) في صحيفته هذه إلى القرآن الكريم الذي يعد دستوراً سماوياً يتمثل بكلام الله جلَّ وعلا، فحث الإمام (عليه السلام) من خلال القرآن الكريم المسلم على التمسك بالدعاء من خلال قوله تعالى: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ]^(٢). ثم أمر الله تعالى بالتوجُّه إليه بالدعاء صراحة: [وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]^(٣).

وقال جلَّ شأنه: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]^(٤). وقال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: [وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً]^(٥). وقال تعالى: [فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ]^(٦).

(١) عبد الرزاق الموسوي المقمم، الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ٣.

(٢) البقرة / ١٨٦.

(٣) غافر / ٦٠.

(٤) الأعراف / ٥٥.

(٥) الإسراء / ٧٩.

(٦) غافر / ١٤.

وقال تعالى أيضاً: [أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ] ^(١).
وقال أيضاً: [قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى] ^(٢).

وقال تعالى حاصراً التوجه بالدعاء إليه فقط: [إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ] ^(٣).

وحذر الباري جلَّ شأنه من توجه العبد لعبدٍ مثله في قضاء حاجته فلا احد يقدر على إجابة الداعي أبداً إلا هو: [إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] ^(٤).

وبهذا المعنى قال تشرفت أسمائه: [وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ] ^(٥).

وكذلك قال جلَّ وعلا: [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ] ^(٦).

وقال تكررمت صفاته: [وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ] ^(٧).

(١) النمل / ٦٢.

(٢) الإسراء / ١١٠.

(٣) الحج / ٧٣.

(٤) الأعراف / ١٩٤.

(٥) الأعراف / ١٩٧.

(٦) يونس / ١٠٦.

(٧) فاطر / ١٣.

وكثيرٌ من الآيات الأخرى التي تدعو لمثل ذلك، ويكفيها اقتداءً بالقرآن الكريم لتوارد الحث على الدعاء وضمان الإجابة، حيث طَفَحَت السَّنة النبوية المشرفة بالتصريح بكثير من الأحاديث التي تدعو العبد على التوجه بالدعاء، ودعته أن يكون ملحاحاً في توجهه إلى الله تعالى، فقد روي عن رسول الله (ﷺ)، ((ليس شيء أكرم على الله من الدعاء))^(١).

وروي عنه (ﷺ) قوله: ((الدعاء مخ العبادة))^(٢).

أما الآيات الكريمة التي تُبَشِّرُ بَأَنَّ للدعاء ضمان باستجابته وقبوله من العبد الداعي فكثيرة ومنها قوله تعالى: [وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ]^(٣).

وقال تعالى كذلك: [فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَبُو أُتْنَى]^(٤).

وقد أشبع الشوكاني موضوع الدعاء بحثاً وإيضاحاً وعرضاً مبسطاً وميسراً، حيث أفرد ركناً مميزاً بخصوص ذلك أسمائه ((فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم))^(٥).

وتأسيساً على ما ذكرناه فإنَّ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) إرتأى أن يكون الدعاء هو الأسلوب الناجع لإسقاط الظالمين لأن القرآن الكريم

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٢/٢٧٤.

(٢) م. ن، ١/٢٧٤.

(٣) غافر/٦٠.

(٤) آل عمران، ١٩٥.

(٥) الشوكاني، تحفة الذاكرين، ٢٤.

كفيل ببيان المنهج الصحيح وهو التذلل والتضرع للخالق في وقت حلول المحن والرزايا، وهذا بالطبع هو منهج الذين ساروا عليه ممن سبقه (عليه السلام) من الأنبياء والمرسلين والصالحين (عليهم صلوات ربي أجمعين)) الذين ابتهلوا إلى الله في ذلك التضرع والتذلل، رغم أنهم كانوا الأقرب إلى الله. وقد زخر الكتاب العظيم بهذه المعاني، فوصفت تلك الدعوات على لسانهم (عليه السلام) ومنها توجه آدم (عليه السلام) إلى ربه يدعوه بكلمات ويرجوه بها، فاستجاب له الله في نجواه لنيل نجاته مما أبتلي به وتاب عليه بواسطة تلك الدعوات: [فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] (١).

كذلك يصف القرآن الكريم دعاء نبينا إبراهيم (عليه السلام) لربه أن يؤثمه مقاماً محموداً: [رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] ❀ [وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ] ❀ [وَجْعَلْ لِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ] ❀ [وَاعْفِرْ لِي أَلْبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ] ❀ [وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ] (٢).

لذلك ركز دعاؤه (عليه السلام) بأن يرزقه بما يسد به رمقه ويوفر لذريته ما يقتاتون عليه من عطائه وكرمه: [رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ] (٣).

(١) البقرة / ٣٧ .

(٢) الشعراء / ٨٣-٨٧ .

(٣) إبراهيم / ٣٧ .

ولعل ابتعاد الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عن السلطة وعزوفه عن مغرياتها إبان هذا العهد وظروفه الحرجة من حياة الأمة كان مدعاةً إلى انصرافه لإرشادها إلى حشد طاقاتها ضد الهمجية والتعسف بحقوق الناس علانيةً ((فقد تعاضم بيت زين العابدين في عدد أفرادهِ يوماً بعد يوم، وقَدَّم (السجاد) لنا ابنه (الباقر) ثم قَدَّم الباقر ابنه (الصادق) فكانوا مثلاً عالياً في العزوف عن السلطة والانصراف إلى تعليم الناس العلم الصحيح والعمل الصالح والأُسوة الحسنة))^(١).

هذا وقد طَفَح القرآن الكريم بعدد كبير من الآيات المشرِّفة التي تُومئ لنفس الهدف وتركِّز على ذات المعنى، إذ لم يكن غريباً على الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في أن يَسْئَلَ هذا المسلك، وَيَنْحَى هذا المنحى الذي إنتهجه من قبله الرسل والأنبياء والمخلصين والصدِّيقين، ولم ينسَ الإمام (عليه السلام) بالوقت نفسه بأنه كان مُحْتَاطاً برصده للأمور الاجتماعية والسياسية الخطرة التي كان يعاصرها آنذاك، وأصبح مُدْرِكاً بأنه ((لم يتسنَّ له أن يَبْث ما طمسه بنو أمية من أحكام الدين الإسلامي فجعل يوضح ذلك بطريقة الدعاء، فبعث بالصحيفة السجادية حاوية على أربعة وخمسين دعاءً في الصلاة والصوم والحج، وأدعية تقال في الملمات والاستعاذة والاشتياق وطلب قضاء الحاجات والاستشفاء والاستخارة والتوبة))^(٢).

(١) عبد الحليم الجندي، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، ١٦٨.

(٢) أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، ٣٥٠.

وذكر بعض الباحثين أن عدد أدعيثها هي (٧٥) دعاءً كما أستخدم من ديباجة نسخ الصحيفة المتداولة، إلا أن عدد أدعيثها الموجودة فيها الآن (٥٤) دعاءً، وذلك برواية محمد بن أحمد المطهري، وعليه فإن الصحيفة الكاملة خلت من (٢١) دعاء^(١).

لذلك كان لشخص الإمام (عليه السلام) دورٌ بارزٌ بصدد تقويم السلبات وبالقدر الذي يستطيع القيام به بسبب إحاطته بالرقابة المشددة على كل حركة يتحركها (عليه السلام)، لذلك كان لكثرة دُعائه في أغلب أموره مدعاةً لوصفه بأنه (زين العابدين) و(سيد الساجدين)، وقد جمعت بعض أدعيثه في تلك الصحيفة المعروفة بـ(الصحيفة السجادية)، فكانت بحق ((سيرةُ بطلٍ عظيمٍ وإمامٍ كريمٍ، ويرون فيه صورةَ المثل الكامل للرجولة الحقّة والإنسانية الرفيعة التي يطلبونها اليوم))^(٢).

لقد أثار أسلوب الدعاء المتميز في الصحيفة السجادية ((معرفة مبدأ الإنسانية ومصيرها، ومعرفة خالقها والغاية التي خلقها من أجلها، وكيفية الاتصال بذلك الخالق للتعرف على ما يحقق لها تلك الغاية. ليتم لها رسم الطريقة الفضلى لتحقيق الحياة الكريمة في الدنيا، ونيل السعادة فيما بعدها))^(٣).

(١) انظر تفاصيل ذلك في / محمد باقر الابطحي، الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، ١١.

(٢) عبد العزيز سيد الأهل، زين العابدين، ٤.

(٣) أحمد كاظم البهادلي، محاضرات في العقيدة، ٢٠/١.

ولعل تسمية هذه الصحيفة بهذا الاسم لدى الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) جاءت من تسمية جده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي أطلق على صحيفته هذا الاسم أيضاً وهي (الصحيفة الجامعة) لما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا ما يستشف من كلامه (عليه السلام): ((ما كتبنا عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلا القرآن، وما في هذه الصحيفة))^(١)، ويبدو أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان مهتماً بما يُدوّن بتلك الصحيفة، فكانت جامعةً، ففيها الصدقات^(٢)، وفيها فكاك الأسير، وديات القتل - لا يقتل مسلم بكافر -، وحرمة المدينة، وغير ذلك))^(٣).

ومن إهتمامات الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بتلك الصحيفة أنه دعى الناس لشراء الصحف ودعاهم لكتابتها، وهذا يعني أنها كانت متوفرة بأثمان مناسبة، حيث روي عنه أنه قال: ((من يشتري علماً بدرهم، فاشترى الحارث صحفاً بدرهم، ثم جاء بها علماً فكتب له علماً كثيراً))^(٤).

وقد دعى التزام الحارث هذا بتلك الصحيفة الناس إلى قولهم: ((ليس بالكوفة أحد أعلم بفريضة من عبدة والحارث الأعور))^(٥)، لاعتماده على

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٢/١.

(٢) انظر / البخاري، صحيح البخاري، ٣٨١/١.

وانظر كذلك / ابن النديم، الفهرست، ٦٠ وما بعدها.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ٣٨/١؛ ابن النديم، الفهرست، ٦٠ وما بعدها.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ١١٦/٦.

(٥) م. ن، ١١٦/٦.

ما جاء بتلك الصحيفة من علوم كتبها عن علي^(١)، فتعلّم منها الفرائض حتى كان الحارث الأعور أfaqه الناس وأفرضُ الناس وأحسبُ الناس، تعلّم الفرائض من علي^(٢).

لذلك استطاع الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أن يسلك على ما أثر عن جده أمير المؤمنين (عليه السلام)، فكان الدعاء وسيلته المناسبة لذلك الظرف وقد ((نجح الإمام في أن يطبع حياته بهذا الطابع السلمي))^(٣)، وكان ((قدوةً لنا في التربية الروحية وطريقة التعامل مع الله والدعاء والابتغال إليه))^(٤).

أنه (عليه السلام) القدوة الحقيقية قولاً وفعلاً، لأنه الأساس الرصين للطهارة والمعدن النقي للعبادة التي إنتهالها من جده المصطفى (عليه السلام)، فكان أميناً على نقلها وصيانتها حيث ((لا بد من إعطاء كل فنٍّ لأهله وأخذه من أربابه وأساتيده))^(٥)، وبذلك سنقوم ببيان شيء عن هذه الصحيفة الرائدة والتي كما أسميت زبور آل محمد (عليه السلام) وبيان شيء عن محتوياتها الشريفة حيث لا نستطيع القيام بتفاصيل مضامينها لعدم قدرة البحث على بيان ذلك التفصيل لعدم تخصصه بها.

إمتازت (الصحيفة السجادية) بكونها جزلة متينة الأسلوب راقية المضامين ذات معنى غني بجوانبه البلاغية والأدبية والتربوية والروحية،

(١) ابن حجر، التهذيب، ١٧٧/٣.

(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤٣٧/١.

(٣) حسين باقر، الإمام السجاد، ١٥٤.

(٤) م. ن، ١٥٩.

(٥) محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الأرض والتربة والحسينية، ٥٦.

تبرز من جوانبها الموعظة من خلال شدة التضرع وعظمة التفاعل والإنشداد بين العبد وربّه لشدة خشوع الإنسان حينما يطالع مفاصلها وألفاظها، ففيها يتكلم الإمام (عليه السلام) بأسلوبه المختار المستمد من معاني وأهداف ونصوص القرآن العظيم، فمن يقرأها يشعر بأنه قريب من لفظ القرآن الكريم، كما أن قارئها يستشعر قُرْبَهُ من النص القرآني برباط رصين تمده مع السماء بقيمها العليا من خلال مناجاة صادقة تحقق الرفع والسمو بين أطباق تملؤها الرحمة ويكتنفها الحنان والرأفة والمغفرة من لدن عزيز كريم، وينبغي أن نشير إلى أن المتطلع إلى الصحيفة والمتعمق في قرائتها واستيعابها يشعر وكأن أسلوب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) فيها يشبه إلى حد ما أسلوب جده أمير المؤمنين (عليه السلام) في (نهج البلاغة)، فهما يحملان نفس الإشراق والروعة والعظمة البلاغية، ولهما ديباجة واحدة في الأسلوب والأداء، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على كونهما فرعين لأصل واحد وهو القرآن الكريم، وقد عبّر ابن أبي الحديد المعتزلي عن أسلوب أمير المؤمنين (عليه السلام) في النهج بأنه أسلوب ((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة))^(١).

فكانت الصحيفة السجادية تحتوي على المعاني الصافية الصادقة، في عظمة الحلم، وذروة السماح والتحلي في الآداب والقيم الرفيعة، فكانت صورة صادقة جلية من صور الدعوة إلى إصلاح الفرد الذي يؤدي حتماً إلى إصلاح المجتمع، فحملت ألفاظها الإشراق الجميلة ذات الألفاظ

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٤/١.

السهلة المحتشدة بالحكمة وعدم التكلف وصدق الخشوع وتتصف كذلك بشموليتها الروحية والفكرية، مزخرفة برباط الإيمان الناصع الذي توسمه مصداقية الإقبال والتوجه إلى عبادة خاشعة.

أسانيد الصحيفة ورواتها :

الصحيفة السجادية التي بين أيدينا الآن احتوت على سبعة وستين دعاءً بضمنها أدعية الأيام، وعلى خمس عشرة مناجاة .

واختلفت عدد صفحاتها باختلاف طبعتها حيث يتوافر منها عدة طبعات، ولا تحتاج الصحيفة السجادية إلى الإطالة في تحقيق سندها وذلك لثقة تواترها من قبل جمع من العلماء لا يمكن تواطئهم على غير ذلك، في حين إعترف القاضي والداني بفضل الإمام (عليه السلام) وعلمه وعظمته وسمو قدره، فقد ((روى عنه فقهاء العامة من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء))^(١).

وقد رويت الصحيفة السجادية من مصادر شتى تؤكد نسبتها إلى الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ... وروي في كتب الدعاء أدعية كثيرة منها ما رواها أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

فقد تضمنت الدعاء (٤٩) منها عن الإمام الصادق (عليه السلام) (ت ١٤٨هـ) والدعاء (٤٣) و(٥٠) عن ولده الإمام الكاظم (عليه السلام) (ت ١٨٣هـ)^(٢)،

(١) المفيد، الإرشاد، ٢٩٢ وما بعدها .

(٢) المفيد، الإرشاد، ١٠٨/٥ .

والدعاء السابع عن الإمام علي الهادي (عليه السلام) (ت ٢٥٤هـ)^(١)، في حين إهتم محققو الإمامية وغيرهم بسند هذه الصحيفة ومنتهاا وشروحاتها.

وقد نقل ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) عن دعاء الإمام (عليه السلام) ومناجاته في بعض العبارات التي تخص زهده وورعه^(٢)، وذكرها المفيد (ت ٤١٣هـ) في أماليه^(٣)، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في أماليه أيضاً^(٤).

وعدها بعضهم من أوائل المصنفات في التاريخ الإسلامي^(٥)، بينما نقل ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٢٢هـ) فقرات مطولة من بعض أدعيتها مؤكداً نسبتها إلى الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)^(٦).

وأورد القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ) في ينابيعه^(٧)، وقال عنها بأنها ((زبور أهل البيت الطيبين سلام الله عليهم))^(٨)، كما عبر عنها بـ((الصحيفة السجادية الأولى المنتهي سندها إلى الإمام زين العابدين بن الحسين بن علي - عليه السلام - ويقال لها الصحيفة الكاملة أيضاً، ولأصحاب اهتمام بروايتها ويخصونها بالذكر في إجازاتهم))^(٩).

(١) م . ن ، ٣٣٩/٥.

(٢) العقد الفريد، ١١٧/٢ .

(٣) المفيد، الأمالي، ١٢٤ .

(٤) الطوسي، الأمالي، ١٤/١ .

(٥) ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ٢.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٧٨/٦ .

(٧) القندوزي، ينابيع المودة، ٥٩٩ وما بعدها .

(٨) م . ن ، ٥٩٩ وما بعدها .

(٩) انظر / الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية مع رسالة الحقوق، ١١.

وهي من المتواترات عند الأصحاب لاختصاصاتها بالإجازة والرواية في كل طبقة وعصر ينتهي سند روايتها إلى الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وزيد الشهيد بن علي بن الحسين عن أبيهما^(١).

وقد إهتم العلماء الأعلام ولهم فيها عدة شروح وترجمات إلى غير العربية^(٢)، حيث فصل المحقق الكبير محمد حسن آل ياسين أسانيدها ورواتها بجداول عن طريقين عدّهما أصلين لهما، الأول عن طريق ولده الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، والثاني عن طريق ولده زيد الشهيد (عليه السلام) حتى أوصلهما إلى المائة الحادية عشر الهجرية^(٣).

وقد حوت بعض مكاتب العالم نسخ مخطوطة منها ومن مطبوعها حيث توجد نسخ ((مبثوثة منها في مكتبة برلين الملكية، ومكتبة الفاتيكان، ومكتبة المتحف البريطاني، والمكتبة الأهلية بباريس، والمخطوطات الخاصة بالمستشرق إدوارد براون Mr. Adward Brown، سوى غيرها من مكاتب العالم))^(٤)، وكتبت عنها عدة دراسات حول بلاغتها وأسلوبها وفلسفتها.

(١) آغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١٨/١٥.

(٢) م. ن، ١٢٤/٦.

(٣) انظر /

محمد حسن آل ياسين، الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، ١٩٤ وما بعدها.

(٤) كارل بروكلمان Mr. Karid Brokilman، تاريخ الأدب العربي، ١٨٣/١.

جوانب الدعاء في الصحيفة السجادية:

تبنت الصحيفة السجادية منعطفاً جديداً في الحركة الإصلاحية في الحياة الإنسانية ويرصد ذلك جيداً المتتبع لطبيعة دور الإمام السجاد (عليه السلام) في الظروف التي مرت بها الرسالة الإسلامية إبان فترة حياته الشريفة، فقد رَسَمَ الإمام (عليه السلام) منهجاً جديداً من خلال هذه الصحيفة التي هي عبارة عن رسالة بعث بها الإمام إلى الأجيال عبر الأيام والسنين والحقب لاعتمادها على دراسة الأوضاع العامة للأمة عن كثب بعد ثورة أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) وتشخيص نقاط الضعف لديها ومقومات نهوضها من خلال إنماء التيار الإسلامي الرسالي في الأمة، لذلك تضمنت هذه الصحيفة جوانباً عديدة برؤية الإمام (عليه السلام)^(١).

حيث يمكن الإشارة إلى بعض جوانبها باقتضاب:

أولاً: الجانب الأخلاقي والتربوي:

لقد كان للظروف السياسية الصعبة التي مرت بها الأمة آنذاك، والتي عاصرها وعاشها الإمام (عليه السلام) أن تضع المسؤولية كاملة على كاهله بوضع حد لخروج المجتمع عن مساره الطبيعي والأخلاقي باعتباره (عليه السلام) المسؤول الشرعي عن الضياع الذي أصاب الأمة ونهش جسدها، وشعوراً منه بوضع الحلول الملائمة لهذا الشرخ الذي أصابها وأحدث ثلماً إيمانية كبيرة في تعرضها للتفكك والدمار، لذلك سارع الإمام (عليه السلام) إلى إختيار أسلوب التثقيف الإيماني حيث لا يستطيع أن ينفذ إلى المجتمع إلا من

(١) انظر /

خلال التوجه الفكري والإعلامي المتمثل بشرعية الدعاء، وهو أسلم الأمور الذي يتمكن من خلاله النفوذ إلى أعماق ذلك المجتمع، حيث للسيف والقلم أهميتهما العظمى في التقويم فإن ضاع أحدهما استعاض بالآخر عنه، وبما أن السيف لم يكن بحوزته، والظروف تستدعي أن ينهض الإمام (عليه السلام) بالقلم ويستعمله أكثر من استعماله للسيف، فقد آل على نفسه أن يتخذ من القلم سلاحاً له لانتشار تلك الأمة من عوامل الضياع والتقهقر، ويتضح للمتطلع للصحيفة أنها سبل من الأخلاق والنظام والفكر ودعوة صريحة للإنسان عموماً والمسلم خصوصاً في التوجه إلى نظام تربوي متكامل لأنها ((تهيئة لاحترام حقوق الغير، وتجعل منه أداة صالحة لخير المجتمع البشري))^(١)، ويرى البعض بأن الصحيفة السجادية كان هدفها ((الإصلاح العام وإعادة بناء المجتمع المسلم من جديد بعد أن هزّت أركانه وضعضعت بنيانه عواصف حب الدنيا، ونزعات النفوس الأمارة بالسوء))^(٢)، فهي بناء وتقويم، وفيها ((صلاح ما يحتاجه المسلم سواء في أمر دينه وصلته بربه أم في أمر دنياه من سلوكه مع نفسه وأبناء جنسه، فهي تهدف إلى التوعية والحماية من الغفلة، كما أنها توضح للإنسان بداية أمره وسط هذا الكون ومستقبله))^(٣)، فهي والحالة هذه تتضمن عبارات بيانية فائقة المعاني تهدف إلى إصلاح النفس، لذلك تعدّ الصحيفة السجادية الجامعة لأمّهات أدعية زين العابدين علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) دائرة

(١) الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، تقديم محمد القاضي، ٣.

(٢) محمد حسن آل ياسين، الإمام علي بن الحسين، ١٦٧.

(٣) الجلبي، التاريخ الأمين، ٤٥ وما بعدها.

معارف عامة، ولم يزل العلم يكشف كل يوم أسراراً خطيرة منها، سطرها الإمام في قوالب كلمات^(١)، وعندئذ فالصحيفة تكشف عن خصوصية الإمام (عليه السلام) في خصاله وطبائعه تجاه الله ووحيه حيث ((تختلف الناس في مراتب الحب لله لا اختلافهم في العلم ببواعثه، وذلك أن الحب المنتزع من بواعثه وموجباته يستتبعه العلم بها))^(٢)، ((وقد نهضت صحيفة الدعاء هذه بمهمة هذا الجانب - وهو الجانب التربوي - على أدق وجه وأجوده))^(٣).

أقول: لا بد إذن من الوقوف على مضامين هذه الصحيفة الكبرى التي تعدُّ دستوراً بقيمه وتقريبه للعبد من ربه، بل وسيلة راقية لتعريف العبد بنفسه تجاه خالقه العظيم، فهي تسمو إلى الأخذ بأيدي الجميع إلى مرافئ السلامة لأصناف المجتمع كافة سواءً كانوا مسلمين أم غيرهم، فالإمام (عليه السلام) إنساني المنحى قبل كل شيء، وهو تلميذ مدرسة القرآن، وربيب النبوة والوحي، وابن الكرماء والأقربين إلى الله زُلْفَى، لذلك فهو المنهج الصائب لخُطى النبي الكريم (ﷺ) في السير على وفق حكمه ووصاياه إذ يُعدُّ ((مصدر قوة ودعم وتوجيه في مسيرة الحياة التي كثر العثار فيها بشكل أصبح يهدِّدُ سداد الأفكار وسلامة التوجيهات))^(٤).

(١) كامل سلمان الجبوري، الإمام زين العابدين، ٧١.

(٢) عبد الحسين الأميني، مآتم الإمام الحسين، ٣٨.

(٣) محمد حسن آل ياسين، الإمام علي بن الحسين، ١٦٨.

(٤) محمد صادق الخرسان، أخلاق الإمام علي (عليه السلام)، ٦.

وبذلك يشير الإمام (عليه السلام) في صحيفته إلى الدعاء دائماً بالفرج من الشدائد والصعاب، فقد أثر عنه أنه كان يقول ((انتظار الفرج من أعظم الفرج))^(١).

ثانياً: الجانب البلاغي والأدبي:

لا يخفى على المتخصص والمتطّلع البليغ في أنّ الصحيفة السجادية تمثل أرقى صنوف البلاغة وفنون البيان لأنها تحمل جنبه من بلاغة أهل البيت (عليهم السلام) حيث بمجموع جناباتهم (عليهم السلام) تستتم المعرفة، وتبلغ أرقى مراتبها، وهذا ما دأب عليه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في الصحيفة السجادية ((فهي بما تحويه من بلاغة عالية، وأسلوب راقٍ تبدو عليه مسحة الجلال، وآثار الخشوع، يندر أن نجد مثله عند أدباء العرب))^(٢)، وليس غريباً على الإمام (عليه السلام) أن يكون مع البلاغة والبيان صنوان، فهم الذين تميزوا عن العباد فأعطوا الحلم والعلم والكرم والشجاعة والبلاغة والفصاحة، فلا غرو أن تكون صحيفته ذات الأساليب ((المتقدمة المباني، وعلو المعاني، فيها من البلاغة، وسبك الألفاظ، ودقة المعنى، وأساليب البيان والبدیع، مما لا نجده إلا في جوامع الكلم المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهي بلا شك عبقة من عبقات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونفحة من نفحات جده أمير

170 المؤمنين (عليهم السلام) صاحب نهج البلاغة))^(٣).

(١) الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ٢٣١.

(٢) الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية - تقديم محمد القاضي -، ٣ وما بعدها.

(٣) م. ن، ٣ وما بعدها.

وقد امتازت الصحيفة السجادية بتلك الأبعاد البلاغية العميقة وذلك السبك اللغوي المتناغم، حيث تستشعر بأن واضعها كان ((مرجعاً في الأحكام في عصره، على الرغم من الرقابة الشديدة، التي فرضتها سياسة الحكام عليه بصورة خاصة))^(١)، وقد خَرَجَتْ بذلك النَظْم وتلك الروعة رغم معاناته (عليه السلام) أثناء تأليفها لظروف غاية في القساوة والجور في الظلم والاستبداد ((حقاً أنها أدعية رضيع الوحي، وعِدْل القرآن - في حديث الثقلين - علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - ترى ألم ينصف من قال: أن صحيفته - عليه السلام - زبور آل محمد، وإنجيل أهل البيت - عليه السلام -، وهل يَنْفَخُ إلا في رمد من رام محاكاتها أو الإتيان بمثلها))^(٢).

وبناءً عليه فقد أدرك كثير من المعاصرين بأن وراء الأسلوب الذي بين أيدينا من الصحيفة السجادية بلاغة ليست عادية، ولا اجتهدات سوقية، بل هي نَمَطٌ قولِيٌّ متميزٌ ليس من جنس البسطاء من البشر لعلو مقامها، وعظمة أسلوبها ((وقد عبَّر الإمام - عليه السلام - في أدعيته الكريمة عن ذلك كله بأبلغ العبارات والكلمات، وأدى هذه الرسالة افضل أداء))^(٣).

كما أن الصحيفة جديرة بالتعظيم والتوقير وإحاطتها بأفخر عناوين الجلالة والعظمة والسمو، لأنها تصب بنفس الوعاء المتضمن لكلمات وأدعية النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) كما أثر عنه، لذلك عُدَّت ((في رتبة عليا من فصاحة اللفظ وبلاغة التعبير، وفي درجة متقدمة من جودة السبك وبراعة

(١) هاشم معروف الحسني، تاريخ الفقه الجعفري، ٢٢٩.

(٢) محمد باقر الابطحي، الصحيفة السجادية الجامعة، ١٠.

(٣) محمد حسن آل ياسين، الإمام علي بن الحسين، ١٧٠.

البيان، ومن النثر المنتقى حقاً في مفرداته ومعانيه، وصورة بيانية كان من المتوقع والطبيعي جداً أن يُعنى بها حملة العلم، وعلماء الأدب والبلاغة، وعُشّاق الكلام الفصيح والنثر المليح، كما عني بها علماء الدين والأخلاق، ورجال الزهد والعرفان والحب الإلهي^(١).

وخلاصة القول أن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) كان مترجماً حقيقياً لما يهدف إليه المسلم الحقيقي، لأنه عالج أمور الأمة بأسلوب يماثل الأسلوب الذي انتهجه من قبله جده المصطفى (صلى الله عليه وآله)، فكما دخل الإسلام في جميع مفصل ومعتركات الحياة ونفذ إلى أعماقها كانت الصحيفة السجادية بأدعيتها كافية مثله في أن تعطي علاجاً مناسباً وترسم طريقاً ممنهجاً لحل معظم مشاكل الحياة الاجتماعية باتجاهاتها الروحية والنفسية .

كما يجب أن يُلاحظ بأن الإمام السجاد (عليه السلام) قد استقى أساليبه البلاغية الدقيقة في معالجة أمور الأمة من أساليب جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أيضاً وخصوصاً الأسلوب البلاغي المتميز الذي ورد في نهج البلاغة، ويتضح ذلك جلياً من خلال التقاءهما في الإيماءات البلاغية وعمق البيان في الأسلوب إضافة إلى انتقاءهما لأبلغ المفردات التي يعجز عن الإتيان بمثلهما أساطين العلم وعباقره النظم، لأن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي أخذ علمه من النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) علّمهم فنون تلك البلاغة وعلّمهم كيف ينتقل العلم من كابر إلى كابر ولودعي إلى آخر حيث إهتم (عليه السلام) بكتابة هذا النهج العلمي كما ظهر ذلك في أسلوبه

(١) محمد حسن آل ياسين، الإمام علي بن الحسين، ١٦٢ .

المتميز (عليه السلام) في (الصحيفة الجامعة) أو (الصادقة) أو (الصحيفة) مجردة عن إضافتها إلى لفظ آخر أو (كتاب آداب أمير المؤمنين) ^(١)، كما اسماه بذلك بعض الباحثين أو (كتاب علي) أو (الكتاب) ^(٢).

لقد كان الإمام علي (عليه السلام) يقول حينما كتب صحيفته الجامعة كما ذكرنا ((من يشتري علماً بدرهم، فاشترى الحارث صحفاً بدرهم، ثم جاء بها علماً فكتب له علماً كثيراً)) ^(٣)، وكان الحارث وعبيدة أعلم أهل الكوفة في تداول العلم، وكان أهل الكوفة يقولون ((ليس بالكوفة أحد أعلم بفريضة من عبيدة والحارث)) ^(٤).

فالإمام علي (عليه السلام) أول من دعا إلى الكتابة في الصحف آنذاك وكان الحارث الأعور أفقه الناس وأفرض الناس وأحسب الناس تعلّم الفرائض من علي ^(٥).

ومن هذا يتضح سبب تأثر الإمام السجاد (عليه السلام) بأسلوب جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لأنه هو الذي خطّ له إنتهاج الطريق الأصح في الورع والتقوى والعبادة والزهد، فلقد كان [علي بن أبي - كرم

(١) انظر / الاحمدي، مكاتيب الرسول، ٧١.

وانظر كذلك / حسن عيسى الحكيم، مذاهب الإسلاميين، ٦٢.

(٢) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٢٠٩/٣؛ الصفار، بصائر الدرجات، ١٣؛ الطوسي،

التهذيب، ٢٥١/٢؛ الطوسي، الاستبصار، ٢٩/١.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١١٦/٦.

(٤) م. ن، ١١٦/٦.

(٥) الذهبي، ميزان الاعتدال، ١٧٣/٣.

الله وجهه - في زهده بأنه قد صدرت عنه عبارة ذات دلالة عميقة على وجوب الزهد في المسلم، وخصوصاً صاحب السلطان منهم، وذلك قوله كما نقله الغزالي في إحياء العلوم ((أن الله أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى الناس ليقترى به الغني ولا يُزري بالفقير فقره))، ولا شك أن علياً كان عنواناً للمثالية في الإسلام بعد وفاة النبي (ﷺ) بما كان يصدر عنه من زهد ومن تشرب بمثل الإسلام العليا ولا يمكن أن يكون هذا الاهتمام بمَعزِلٍ عن أي تقسيم يهدفُ إلى ترجيح نزعة المسلمين العمليّة على المثالية في حال من الأحوال وخصوصاً عند الأتقياء الحقيقيين منهم [١].

وعندما يتفحص القارئ في مطالعته للصحيفة ويتعمق بها ملياً يجدان نفس الإمام (عليه السلام) في ((هذه الأدعية النفيسة بجملتها مقتبسة من أنوار الذكر الحكيم وتراث النبي - ﷺ - مَصُوغَةً ببلاغة هاشمية فصيحة)) [٢].

وعليه فإن ((الأدعية السجادية ذات أسلوب بليغ، وعبارات بيانية فائقة المعاني)) [٣]، وأن من يقرأ أحد أدعية الصحيفة السجادية سيدرك تماماً بأنها ذات نسيج بلاغي متماسك وسُيْدْرِكُ كذلك بأن ((الدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات)) [٤].

(١) كامل مصطفى الشبيبي، صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، ٤٧.

(٢) الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، تقديم جميل إبراهيم، ٢.

(٣) م. ن، ٦.

(٤) الابشيهي، المستطرف في كل فن مستطرف، ٦٨٤/٢.

نماذج مختارة من أدعية الصحيفة

الانموذج الأول : دعاؤه (عَلَيْهِ السَّلَام) في التحميد لله عز وجل

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِلاَ أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ بِلاَ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ،
الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ
الْوَاصِفِينَ. ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اخْتِراعاً، ثُمَّ
سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا
قَدَّمَ لَهُمْ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَقْذِماً إِلَى مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ، وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ
قُوَّةً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ، لَا يَنْتَقِصُ مِنْ زَادِهِ نَاقِصٌ، وَلَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ
مِنْهُمْ زَائِدٌ))^(١).

فقول الإمام (عَلَيْهِ السَّلَام): ((الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ))، كان

إشارة لأقواله تعالى:

أ - [لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ]^(٢).

ب - [قَالَ رَبُّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي]^(٣).

ج - [فَقَالُوا ارْأِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ]^(٤).

(١) الإمام علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَام)، الصحيفة السجادية - الدعاء الأول -، تقديم محمد القاضي، ١٢ فَرْصَةً الصحيفة السجادية، تحقيق علي أنصاريان، ١٩، وهو جزء مأخوذ من الدعاء الأول في الصحيفة السجادية المباركة .

(٢) الانعام / ١٠٣ .

(٣) الأعراف / ١٤٣ .

(٤) النساء / ١٥٣ .

أما قول الإمام (عليه السلام): ((لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيرًا عَمَّا قَدَّمَ لَهُمْ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَقْدِيمًا إِلَى مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ)).

فظاهر كلام الإمام (عليه السلام)، أن الذي قَدَّمَهُمْ إِلَيْهِ هو ما أَمَرَهُمْ بِهِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْإِيْتَانِ بِهِ، والذي أَخَّرَهُمْ عَنْهُ ما نُهَوَّا عَنْ فِعْلِهِ وَأَلْزَمَهُمْ بِتَرْكِهِ، وبذلك يكون المعنى الإجمالي لقوله (عليه السلام)، أن الله تعالى هو المالك لخاصية عبده في الحلال والحرام وأصول التشريع، وفي هذا مطابقة لما أشار إليه جدُّه أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة بقوله: ((وَتَمْسِكُ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَانْتَصَحِهِ، وَأَحِلَّ حِلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ وَصَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ، وَإِعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يَشْبَهُ بَعْضًا، وَآخَرُهَا لِأَحَقُّ بِأَوَّلِهَا، وَكُلُّهَا حَائِلٌ وَمَفَارِقٌ))^(١).

وأما قول الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): ((وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ...)). هو الرزق الذي تحدث عنه القرآن الكريم بإسهاب وتكرار، وتلك إشارة لأقواله تعالى:

أ - [وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا]^(٢).

ب - [كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا]^(٣).

ج - [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ]^(٤).

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤١/١٨.

(٢) هود / ٦.

(٣) آل عمران / ٣٧.

(٤) الملك / ١٥.

أما قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((لَا يَنْتَقِصُ مَنْ زَادَهُ نَاقِصٌ، وَلَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ)).

فالمراد أن كل مخلوق قد وضع الله له رزقاً، ولا يحرم شيئاً مما كتبه الله له من الرزق.

الأنموذج الثاني: دعاؤه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إذا نظر إلى الهلال :

كان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إذا نظر إلى الهلال يقول:

((أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُطِيعُ الدَّائِبُ السَّرِيعُ، الْمُتَرَدِّدُ فِي مَنَازِلِ التَّقْدِيرِ، الْمُتَصَرِّفُ فِي فَلَكَ التَّدْبِيرِ. آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلُمَ، وَأَوْضَحَ بِكَ الْبُهِمَ، وَجَعَلَكَ آيَةً مِنْ آيَاتِ مُلْكِهِ، وَعَلَامَةً مِنْ عِلَامَاتِ سُلْطَانِهِ، وَآمَنْتُكَ بِالزِّيَادَةِ وَالتَّنْقِصَانِ، وَالطُّلُوعِ وَالْأُقُولِ، وَالْإِنَارَةِ وَالْكَسُوفِ، فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطِيعٌ، وَإِلَى إِرَادَتِهِ سَرِيعٌ.

سُبْحَانَهُ مَا أَعْجَبَ مَا دَبَّرَ فِي أَمْرِكَ! وَالْأَلْفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِكَ! جَعَلَكَ مِفْتَاحَ شَهْرٍ حَادِثٍ لِأَمْرِ حَادِثٍ.

فَأَسْأَلُ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكَ، وَخَالِقِي وَخَالِقَكَ، وَمُقَدِّرِي وَمُقَدِّرَكَ، وَمُصَوِّرِي وَمُصَوِّرَكَ، أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ هِلَالَ بَرَكَاتٍ لَا تَمَحُقُهَا الْأَيَّامُ، وَطَهَارَةٍ لَا تُدْنِسُهَا الْأَثَامُ، هِلَالَ أَمْنٍ مِنَ الْأَفَاتِ، وَسَلَامَةٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ، هِلَالَ سَعْدٍ لَا نَحْسَ فِيهِ، وَيُؤْمِنُ لَانْكَدَ مَعَهُ، وَيُسِرُّ لَا يُمَارِجُهُ عُسْرٌ، وَخَيْرٌ لَا يَشُوْبُهُ شَرٌّ، هِلَالَ أَمْنٍ وَإِيمَانٍ، وَنِعْمَةٍ وَإِحْسَانٍ، وَسَلَامَةٍ وَإِسْلَامٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضَى مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَزْكَى مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ، وَأَسْعَدَ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ، وَوَفَّقْنَا فِيهِ لِلتَّوْبَةِ، وَاعْصِمْنَا فِيهِ مِنْ

الْحَوْبَةِ، وَاحْفَظْنَا فِيهِ مِنْ مُبَاشَرَةِ مَعْصِيَتِكَ، وَأَوْزِعْنَا فِيهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَلْبِسْنَا فِيهِ جُنْنَ الْعَافِيَةِ، وَأَتِمِّمْ عَلَيْنَا بِاسْتِكْمَالِ طَاعَتِكَ فِيهِ الْمِنَّةَ، إِنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ^(١).

استعرض الإمام (عليه السلام) من خلال هذا الدعاء أمور شتى إتكَأ في استلال معانيها على النص القرآني المشرف.

ففي قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ((أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُطِيعُ الدَّائِبُ السَّرِيعُ، الْمُتَرَدِّدُ فِي مَنَازِلٍ...))، إشارة إلى أنه من صنْع الله، طائعاً له سبحانه، مواظباً على تلك الطاعة الإلهية المستندة إلى التقنين العلمي الدقيق الذي لا يعلمُ بدقائقه إلا الصانع الجبار العظيم، ذلك القانون الفلكي الذي أودعه الله جلَّ وعلا في سر هذا المخلوق العجيب العظيم الذي سخره الله لخدمة الكون والإنسان، ولولا خضوع هذا المخلوق لقوانين ونظم متقنة مقننة لما بلغ هذا الجرم دورته بهذا النظام العجيب، وإذا كان نظامه عشوائياً لا يخضع إلى هذا القانون فلا بد وأن يختل يوماً في مسيره وطلوعه وأفوله وبالتالي سيشهد النظام الفلكي اضطراباً غير معهود وسيؤدي هذا الاضطراب إلى قلب موازين القوانين الفلكية جملة وتفصيلاً ولن يمر هذا النظام المضطرب إلا إلى الفوضى والدمار، وإلى هلاك الأرض وفنائها جملة وتفصيلاً.

فقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((الْمُتَرَدِّدُ فِي مَنَازِلِ التَّقْدِيرِ))، إشارة صريحة إلى قوله تعالى: [وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ]^(٢).

(١) الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، تحقيق أنصاربان، الدعاء (٤٣)، ١٦٥.

(٢) يس / ٣٩.

ثم يقول (عليه السلام): ((آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ، وَأَوْضَحَ بِكَ الْبُهْمَ)).

ثم يقول: ((وَجَعَلَكَ آيَةً))، فكل شيء آية تدل على وحدانيته .

ثم يعجب الإمام (عليه السلام) بقوله: ((مَا أَعْجَبَ مَا دَبَّرَ فِي أَمْرِكَ))، أنه ليس بإمكان أحد أن يجرأ على هذا الصنع إلا الله جلَّ شأنه فهو لم يكن مَحْضَ صُدْفَةٍ، بل أَنَّ صُنْعَهُ نَابِعٌ عَنْ دَرَايَةِ وَعِلْمٍ وَمَقْدَرَةٍ وَتَمَعْنٍ يَخْتَصُّ بِهَا الْبَارِي جَلَّ ثَنَائُهُ وَحْدَهُ.

ثم يواصل الإمام (عليه السلام) قوله:

((خَالِقِي وَخَالِقُكَ، وَمُقَدَّرِي وَمُقَدَّرُكَ، وَمُصَوِّرِي وَمُصَوَّرُكَ)).

وهنا جعل الإمام أسبقية الخلق قبل التصوير لأنه تخطيط وتصميم ولا يمكن تصوير الشيء إذا لم يكن له وجود وخلقه وجوده، فقد أوجده وخلقه ثم صوره، وهذه إشارة صريحة من الإمام (عليه السلام) إلى قوله تعالى:

[وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ] ^(١).

وقوله تعالى: [وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا] ^(٢).

ثم يواصل (عليه السلام):

((وَأَنْ يَجْعَلَكَ هِلَالَ بَرَكَاةٍ لَا تَمَحُّهَا الْأَيَّامُ، وَطَهَارَةٍ لَا تُدَسِّسُهَا الْأَثَامُ،

هِلَالٍ أَمِنَ مِنَ الْآفَاتِ)).

(١) الأعراف / ١١ .

(٢) الفرقان / ٢ .

إذن كيف يكون هذا الخلق البديع له علاقة بتنظيم حياة الإنسانية، فما أجمل الطمأنينة والأمان بوجود الدور الذي يزودنا به القمر ذو النور الرباني البديع.

ثم يقول (عليه السلام):

((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضِي..)).

حيث أن الإمام (عليه السلام) كأنه يريد أن يشير إلى تلك النعم ويدعو من الله أن يتم نعمه على عبده.

وبذلك تكون أدعية الإمام (عليه السلام) كلها إرشادات واضحة إلى نعم الله وآياته، لا ينفك عن ملازمتها والرجوع إليها والاتصال بها، يتغذى من معانيها، فهو ابن البيت الذي كان مهبطاً للوحي وموضعاً للتنزيل، فكان يتعامل مع القرآن لتنصهر عواطفه وتمتزج روحه مع آياته وما فيها من وعدٍ ووعدٍ^(١).

لهف نفسي عليك سيدي يا ابن رسول الله، لقد كتبت كلماتك على قلوب المؤمنين، وستبقى على مر الدهور والعصور لأنها انتقلت من أصلاب شامخة إلى أرحام مطهرة، فهي كلمات بقيت في ناموس الدهر إناء الليل واطراف النهار، فخلدتْ خلودَ الدهر لأنه أرادَ بها الحق والكرامة والسمو، لذلك ((فقد إنتشر فقهه وعلمه، وتعالى صوته وذكّره، وأضاف الإمام إلى

ذلك خصيصتين مهمتين، شاع بهما خبره، فكان داعيةً في دعائه، وإنسانياً
في حقوق الإنسان))^(١).

(١) محمد حسين الصغير، الإمام زين العابدين، ٢٠.

المبحث الثاني : رسالة الحقوق

يُعَدُّ الإنسان رائداً لهذا الكون، بل يُعَدُّ الأداة المحركة لديمومة الحياة على هذا الكوكب الذي [سجدت له ملائكة السماء عند أول تكليف له بالخلافة الربانية، ولسوف تدين له جميع قُوى الكون عندما يتألق في نفسه ويسير في خط رُشدِهِ وكمالِهِ] وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ [(١)] (٢).

((لقد رصد لنا التاريخ أحداثاً ووقائعاً ومواقفاً مشرفة تحكي الأسلوب الإسلامي الحقيقي في مراعاة حقوق الإنسان كائناً من كان، مسلماً كان أم مُنافقاً، مشركاً كان ذلك الإنسان أم كافراً، وقد تجسد ذلك بأعظم صورة من خلال الحياة لشريعة وأسلوب المعاشرة التي كان يتبعها الرسول الأعظم (عليه السلام) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) مع كل الناس)) (٣).

وعليه فإن للدين الإسلامي أنظمة وقوانين وتشريعات جعلته دستوراً متكاملاً لكل صور الحياة، ولذلك فإنه يدعو إلى دراسة النظم الإسلامية دراسة تفصيلية لعدة أسباب منها (٤):

(١) الجاثية/ ١٣ .

(٢) محمد باقر الصدر، مجتمعنا، ١٨٦.

(٣) محمد الحسيني الشيرازي، احترام الإنسان في الإسلام، ٢٣ وما بعدها .

(٤) محمود شاكر الخفاجي، منهج النظم الإسلامية، ١ .

١- أسباب وظيفية: تدعو إليها حاجة الإنسان إلى نُظْم تسيّر حياته، وحاجتنا نحن العرب بالذات إلى نُظْم نابعة من واقعنا ومرتبطة بنا ارتباطاً وثيقاً وأكثر من غيرها استجابةً من قبلنا.

٢- أسباب علمية: لاحتواء الفكر العربي الإسلامي على نظام متكامل سابق للأنظمة الأخرى وأكثر رقياً منها.

٣- أسباب حياتية: دعت إليها حاجتنا إلى الحضارة وتجاوز العقبات بعد مراحل الانحطاط والتدهور للوقوف على أسباب هذا الضمور الذي أصاب جسد الأمة ومُدارسة دواعي النكوص ووضع الحلول المناسبة لانتشال أجيالنا منها، وتزايد أهمية مثل هذه الدراسات اليوم أكثر من ذي قبل.

وقد أدرك العلماء الأعلام والمفكرون الأفذاذ من المسلمين ذلك، فتعددت سُبُلُهُم في بيان تفصيلات الأنظمة والقوانين والتشريعات حتى نضجت ووصلت إلى درجة الاكتمال وكان الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) من أوائل المدركين لذلك كونه سليل الدوحة المحمدية فورثها كابر عن كابر وصادق عن صادق ووفق المنهج الذي سلكه آبائه وأجداده الكرام (عليهم السلام)، حيث توارث الأئمة (عليهم السلام) من بعده - أي بعد الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) - المنهج نفسه، فقد ذُكِرَ أن الإمام الرضا (عليه السلام) طالما كان يتلو قوله تعالى: [ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا] ^(١)، -

وكان يقول - فنحن الذين إصطفانا الله علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء^(١).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): ((أن العلم نزل مع آدم على حاله، وليس يمضي منا عالم إلا خلفه من يعلم علمه، وكان علي عالم هذه الأمة))^(٢).
وتأسيساً على ما ذكر من خلال هذه النصوص الشريفة قرر الإمام السجاد (عليه السلام) في أن التغيير في المجتمع يجب أن تصاغ له الأسس التي تؤهل المجتمع لهذا التغيير، وقد كان الإمام (عليه السلام) يدرك أن هذا التغيير لا يمكن أن يقع بين يوم وليلة، وإن على المسؤول - وهو الإمام (عليه السلام) والمُكَلَّف بذلك شرعاً - عليه أن يستحضر كافة مستلزمات هذا التغيير وأن يُلقِّنهم الدرسَ تلو الدرسَ في تهيئتهم لاستحضار متطلبات الثورة وتهيئة مفاهيمها وتدارس مقدماتها من أجل القضاء على الواقع الفاسد الذي إستشرى بين طبقات المجتمع، وهذا بدوره يحتاج إلى توضيحات جسام وجهوداً لا يمكن أن تكون عادية وعلى المدى القصير.

لقد عاش الإمام (عليه السلام) وسط ظروف غاية في التعقيد والاضطراب والخروج عن طريق الصواب من خلال تجنيد السلطة الحاكمة الشاذة لكل الطاقات التي من شأنها العزوف عن مبادئ القيم العليا من خلال اتباعها للمنهج غير الأخلاقي في التعاملات العامة، وأصبحت الدولة تتبع القوانين الخارجية عن طاقة الناس، كما إستعملت مختلف الأساليب الملتوية

(١) الصفار، بصائر الدرجات الكبرى، ٢٤١/١.

(٢) م. ن، ٢٤٢/١.

لاجتذاب السُّدَج من الشرائح الاجتماعية - وما أكثرهم - بارتداء لباس الخنوع والهروب عن مبادئ القيم والأخلاق، خصوصاً وأن من يسمي نفسه بـ (أمير المؤمنين) أخذ يفرض ((نفسه فرضاً وراح يمارس السلطة وكأنها مُلكٌ خاصُّ له))^(١).

ولكن الإمام (عليه السلام) استطاع أن يغرُسَ في الضمائر دروساً لها من الوقع في نفوسهم أثراً عظيماً وبدأت الموازين تتغير لديهم في مفهومية الأداء الذي يجب أن يتغير على وفق الطروحات الإسلامية الجديدة، لذلك ((فمع تقدم الوعي السياسي لدى الأفراد، أخذوا ينفرون من هذا الوضع، فلم يعد مقبولاً بالنسبة إليهم بتركيز السلطة في يد شخص واحد بحيث تدورُ معه وجوداً وعدماً وتدفعه إلى التحكُّم والطغيان والاستبداد، ومن هنا شرعوا يفكرون في وضع جديدٍ للسلطة السياسية يتجنبون به مساوئ السلطة الفردية))^(٢).

لقد تناول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في رسالة الحقوق إشارات إلى الكثير من تلك النظم والتشريعات التي تستحق كل إشارة منها على دراسات تفصيلية كاملة لتأتي بحصيلة قانونية لا يُستهان بها نستشفُّ منها سبق الإسلام والحضارة العربية بنظمها وتشريعاتها كونها أرقى الأمم آنذاك.

وقد استُلت بنود هذه الرسالة كما يتضح للمتطلع بدقائقها من الآيات الشريفة للقرآن الكريم في دحض الظلم عن العباد حيث ثبت من خلالها

(١) براق زكريا، الدولة والشرعية في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ٦٢.

(٢) م . ن ، ٦٢ وما بعدها .

((أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يَصْدُرُ منه الظلم، لا لعدم قُدْرَتِهِ على ذلك بل لعدم إنسجام ومسانخة الظلم له عز وجل، وهكذا لا تصدر عن المعصوم (عليه السلام) معصية، لا لأنه غير قادر على إرتكابها بل لعدم انسجامها مع ذاته المطهرة التي لا يصدر عنها إلا العمل الصالح))^(١).

وبهذا نستنتج أن جميع محتويات ومضامين رسالة الحقوق إنما تعبّر عن اللاظلم واللاتمييز بين طبقات المجتمع الإنساني من خلال سلوك الفرد بالتدبر الرتيب لا الحسنى والعمل الصالح، وهذا ما دأبت على إيضاحه رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام) على وفق نصوص القرآن العظيم .

فهي إذن ((جزء من قوانين الإسلام ونظامه الاجتماعي الرائع، وبَعْض من تلك المبادئ السماوية العليا التي انزلها الله عز وجل رحمة للعالمين... لتكون نبراساً لامعاً يُمَزَّقُ أَسْتَارَ الظلام المخيم على مجتمعه الذي عاش فيه، بل أَسْتَارَ كل ظلام يخيم على المجتمع الإسلامي على طول تاريخه المديد))^(٢).

((لقد كتبها - سلام الله عليه - بقلمه الشريف، واستوحاها من منابع الوحي والرسالة والإمامة، وصاغها صياغة القانوني الماهر والمشرّع الحكيم، فأبدعها أيّما إبداع، وأخرجها أيّما إخراج، فكانت - ولا زالت آية - لا يُشَقُّ لها غبار في تنظيم سعادة المجتمع وهنائه وخيره))^(٣)، ناهيك أن

(١) كمال الحيدري، مقدمة في علم الأخلاق، ٩٩.

(٢) الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) رسالة الحقوق، تقديم: محمد حسن آل ياسين، ١٤.

(٣) م . ن، ١٤.

الجميع قد إتفق على كون هذه الرسالة، لو قُيِّض لنصوصها بالاهتمام والمدارسة من قبل المجتمعات الإنسانية لاكتفت تلك الأمم والشعوب بأن تكون لها دستوراً في تنظيم حياتها بدلاً من الأنظمة المدعاة والدساتير المزعومة ((ولو جمعت هذه الوصايا في مصنفٍ مستقلٍ لسدَّت فراغاً كبيراً في المكتبة الأخلاقية لما حوَّته من نصائح وحكمٍ ودَعْوَةٍ إلى الخير والفضيلة))^(١).

أن رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) قد وُلِدَتْ من صميم الإسلام ورحم الأمة وانبثقت من فكر سليل الدوحة المحمدية وترسخت بأنفاس الإيمان والوحي والرسالة المحمدية الصادقة، إنها نتاج العبقريّة والصفاء والمجد والرفعة والسمو والشرف المتعال.

انتظمت الرسالة على وفق نهج الإمامة الصادقة لتمثل نسيجاً إيمانياً رائعاً، لأنها تعبر عن مصداقية المجتمع الإسلامي الذي مرَّ ((بظروف عصيبة عُيِّت فيها مبادئ الإسلام، وحولته إلى مجتمع يائس لدرجة انه يقبل بخلافة يزيد بن معاوية، هذا الرجل المتحلل عن جميع القيم، والبعيد كل البعد عن خط الرسالة المحمدية، فوصل الأمر إلى مفترق طُرقٍ، أمّا القَبُولُ بيزيد وضياع الإسلام وإنذاره، وأما الرفض والثورة ونتيجتها الشهادة والسبي وبزوغ شمس الإسلام من جديد))^(٢).

فكانت مفاصلُ هذه الرسالة - رسالة الحقوق - وبنودها تتلائم مع متطلبات الظروف التي يعاني منها الإنسان في كل حالةٍ يعيشُها، وهي تتسائرُ

(١) فاضل الحيدري، وصايا خالدة على مرافئ الموت، ١٤٧.

(٢) حكمت الرحمة، ثورة الإصلاح وظروف المجتمع الإسلامي، ٥٨.

مع فئات المجتمعات الإنسانية المختلفة لأن الذي تبناها هو ((أفضل أهل زمانه ومنزهاً عن النقائص، عالماً بجميع أحكام الشريعة وحاملاً لِعِلْمِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وغير عاجزٍ عن حلِّ أية مُشكِلةٍ من المشكلات الاجتماعية سواء كانت سياسية أم غيرها ولا يحتاج إلى الآخرين في شيء من علوم الشريعة مطلقاً))^(١).

وتأسيساً على هذه القيم والمناحي فإن رسالة الحقوق كانت ترجمةً صادقةً واعيةً رتيبةً في معرفة حدود الله وأحكامه ((ولولا هذه المجموعة المتكاملة من الأحكام فإننا سوف لا نستطيع أن نحقق العدالة، ونقضي على الفقر والفاقة والحاجة والبؤس))^(٢)، والعدالة هي التي جسَّد معانيها الإمام (عليه السلام) وبعث برسالة رصينة إلى الحكام والسلاطين للتعريف بها للحد من جورهم ليقول لهم أن ((قلب الحاكم يجب أن يكون منبع العطف على الأمة والمحبة لها، فالقوة والعنف لا يكفيان، فبهذين يمكن سَوْق الأمة سَوْق الأغنام، ولكن يمكن بهما إيقاظ ما في داخلهم من طاقات كامنة للعمل، لا القوة والعنف وحدهما، بل إن العدالة الجافة لا تكفي معها أيضاً، أن على الحاكم أن يحبَّ الناس حُباً أبوياً بجماع قلبه، وأن يُظهرُ لهم مودَّته وعَظْفَهُ، ولا بد أن يكون ذا شخصية جذابة تصنع المحبين لكي يستطيع أن يضع إرادتهم وهمَّتَهُم وطاقاتهم الإنسانية العظيمة الخلاقة في خدمة هدفه المقدس))^(٣).

(١) أمير محمد كاظم القزويني، الشيعة في عقائدهم وأحكامهم، ٤٨.

(٢) محمد تقي المدرسي، الإسلام حياة أفضل، ٨٨.

(٣) مرتضى مطهري، الإمام علي (عليه السلام) في قوته الجاذبة والدافعة، ٧٣.

لذلك أصبحت هذه الرسالة قانونياً متكاملأً يتناسب مع حضارتنا المعاصرة ((فها نحن نقرأها اليوم - في نهاية القرن العشرين - فنجدها وكأنها بنت الساعة في تفكيرها وتسلسلها وتنظيمها لحقوق كل فرد مع ربه ونفسه، ومع غيره من بني الإنسان، بل نجد في بعض تلك الحقوق ما لم تعمل به إلى اليوم أكبر دول الحضارة والتقدم في العالم))^(١).

لقد كانت النظم والدساتير العالمية التي إدّعت بتبنيها لرعاية حقوق الإنسان وعلى لسان المنظمات التي اختلفت بتسمياتها وإتفقت بأهدافها العاجزة حقاً أن تأتي بواحدٍ من مضامين (رسالة الحقوق) للإمام زين العابدين (عليه السلام).

إنَّ التطور العلمي والتكنولوجي والفكري والفضائي وعلى جميع المستويات والأصعدة التكنولوجية والتقنية كافة أعلنت هوان وضعف تطبيق العدالة لمنح الإنسان العصري أبسط حقوقه بل جندت نفسها لإقصاء الفرد من حقوقه مقابل مصالح تتبارى للحصول عليها أقوى الأنظمة وأعتاها، لذلك أصبحنا نشهد بحضارة هذا اليوم فضائح وقبائح، وأعمالاً مخجلةً من قبل كثير من الدول والأنظمة وكبار المتباكين على حقوق الإنسان يَخْجَلُ عن الإتيان بمثلها جنكيز خان السفاح الجبار^(٢).

لذلك يتوجب ((على كل فردٍ منا أن يسعى على قَدَرِ الاستطاعة لإيصال الرسالة الإسلامية والتي هي رسالة الحياة إلى العالم كله وأن

(١) محمد حسن آل ياسين، في تقديمه لرسالة الحقوق، ١٤.

(٢) علي شريعتي، الإمام السجاد أجمل روح عابدة، ٩٥.

يُحرص على قَدَر الإمكان لإبلاغ أهداف الإسلام وكيفية انتهاج سلوك النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ((^(١)).

إن مسألة خلق روح تعاونية بين بني البشر هي مسؤولية الذين حباهم الله وجعلهم أئمة الإنسانية في بث روح التعاون والتآخي، أن ما يؤاخي بين الإنسان والإنسان هو الميل الفطري للتعايش بسلام مع الآخرين، فشعور الإنسان بالجمال والسحر المطلق هو ما يقربُ بين الثقافات، إنه الذوق المتوافق مع نظام الكون والوجود والعالم المحكوم به (^(٢)).

إن الإمام السجاد (عليه السلام) حينما صَنَّف هذه الرسالة، لم يكن تصنيفه لها عبثاً، بل إنها كانت بمثابة الحل الأمثل للخروج من المأزق الذي لا خلاص منه لا بضرورة التغيير الفعال لنهج الأمة، وأن الأمة قد اضطربت في تفسيرها لما يطمح إليه دين محمد (صلى الله عليه وآله)، خصوصاً وأن الإمام (عليه السلام) أراد أن يطرح لهذا المجتمع مفهوماً صحيحاً للدين فأوضح لهم بأن ((الدين له دور مهم في صياغة النظام السياسي والاجتماعي ولا يمكن للدين أو الإنسان المتدين أن يقف موقف الحيادي أو المتفرج على النظام السياسي وممارسات السلطة)) (^(٣))، فكانت رسالة الحقوق الهدف المنبثق والذي طرحته الضرورة وقتذاك، ولعلَّ أهميتها هذه جاءت لامتدادها الطبيعي لتشريعات جده (صلى الله عليه وآله) حيث [أن أول نداء قرع سمع الإنسان إلى الاعتناء بالمجتمع وجَعَلَهُ موضوعاً مستقلاً خارجاً عن زاوية الإهمال وشرَع

(١) محمد الحسيني الشيرازي، رؤى عن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، ٣١.

(٢) مصطفى خلال، الحداثة ونقد الادلجة الأصولية، ١١٦.

(٣) مصطفى ملكيان وآخرون، عقلانية الدين والسلطة، ٩.

له من التشريعات ما يقيمه كاملاً صالحاً هو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال تعالى: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ] ^(١) [٢].

فكانت هذه الصحيفة موسوعةً كُبرى في تنظيم الحياة الإنسانية فهي ((تذكرُ العباد بما عليهم من واجبات، إذ تذكّرهم بحق الله، وحق النفس، وحق الجوارح، وحق الابن، وحق المستشير، إلى غير ذلك من الحقوق التي تقتضيها المعاملات)) ^(٣).

أن منهج الإمام (عليه السلام) في أسلوبه ((لن يكون سوى ترجمة لفلسفة أو فهم معين للحياة، لأنه منهج والمنهج ثمرة تفكير إرادي منظم، ولا تكمن هذه الفلسفة وهذا الفهم بعيداً عن فكرة وظيفة الإنسان في الحياة على ضوء التوجه الإلهي في استخلاف الإنسان في الأرض للقيام بأعباء العبودية لله وإعمار الأرض وفق مفاهيم العبودية وفلسفتها)) ^(٤).

ولهذه الصحيفة ((دور بارز في حياة الإنسان ولا زالت نموذجاً فريداً إلى يومنا هذا وقد صوّر فيها الإمام مواقف عديدة منها التأكيد على علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بالآخرين)) ^(٥).

ولو تصدّى العلماء والمفكرون كما ذكرنا لاستلال ما يصدق تسميته بالوصايا من مضمون رسالة الحقوق و((جمعت هذه الوصايا في مصنف

(١) الانعام / ١٥٣.

(٢) محمد باقر الصدر، مجتمعنا، ٢١.

(٣) احمد محمود صبحي، نظرية الإمامة، ٣٥٠.

(٤) شلتاغ عبود، منهج الإمام السجاد في التوحيد والسلوك والتربية، ٧٩.

(٥) خضير عباس المحياوي، في تقديمه لرسالة الحقوق، ٧.

مستقل لسدت فراغاً كبيراً في المكتبة الأخلاقية لما حوته من نصائح وحكم ودعوة إلى الخير والفضيلة^(١).

أسانيد رسالة الحقوق ورواتها

لا تقلُّ (رسالة الحقوق) أهميةً عن (الصحيفة السجادية) إذا لم تكن أكثر منها من حيث علاقتها بالتشريع والأخلاق العامة لأنَّ الدين الإسلامي هو دين الأخلاق والقيم والمروءة، وقد إهتم العلماء الأعلام بها في مصادرهم المعتبرة، حيث هدفت هذه الرسالة إلى أنه ((متى اختفت الحقوق والحريات الضرورية أو إنعدمت في النظام القائم كُنّا أمام دولة بوليسية))^(٢)، وقد أوصل العلماء أسانيدها إلى ثلاث طرق محكمة في وثوق رواتها سنداً ومتناً وقد ثبت كونها مروية عن أبي حمزة الثمالي، والصدوق في أماليه، والنجاشي في رجاله^(٣)، فقد أورد ذكرها الحراني الحلبي (من أعلام القرن الرابع الهجري)^(٤)، كذلك ذكرها النجاشي (ت ٤٥٠هـ) في رجاله^(٥).

(١) فاضل الحيدري، وصايا خالدة على مرافئ الموت، ١٤٧.

(٢) حسن ضياء الخلخالي، نظرية الضرورة كاستثناء يرد على مبدأ سمو الدستور، ٢٣٠.

(٣) انظر تفاصيل هذا الإسناد في /

حسن علي القبانجي، شرح رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، ٣٣/١.

(٤) الحراني، تحف العقول، ١٨٤.

(٥) النجاشي، الرجال، ٨٤.

وأُتِنِبَ العاملي في رجال سندها وقارن بين متونها في مروياته^(١)، في حين نقل الشيخ عبد الحليم محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر نصها بالكامل^(٢)، وقد تضمنت رسالة الحقوق خمسين حقاً كما ورد ذلك بقول الإمام (عليه السلام) ((فهذه خمسون حقاً محيطاً بك لا تخرج في حال من الأحوال، يجب عليك رعايتها والعمل في تأديتها والاستعانة بالله جلّ ثناؤه على ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والحمد لله رب العالمين))^(٣)، وتوزعت هذه الحقوق الخمسون على محاور منها حقوق الإنسان بينه وبين الله، ومع نفسه، ثم حقوقه على المجتمع، وحقوق المجتمع عليه، وواجباته تجاه الكائنات الأخرى بما يكفل له حياة سعيدة من خلال تعليمات الإسلام لتلك الحياة، وقد قدّم الإمام (عليه السلام) رسالته بقوله ((إعلم أن الله عز وجل عليك حقوقاً محيطاً بك في كل حركة تحرّكتها، أو سكوناً سكنتها، أو منزلة نزلتها أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت فيها. فأكبر حقوق الله تعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقه الذي هو أصل الحقوق، ثم ما أوجب الله عز وجل عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك، على اختلاف جوارحك، فجعل عز وجل للسانك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً: فجعل لصلاتك عليك حقاً، و لصومك عليك حقاً،

(١) محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ٣٧٧/٤ وما بعدها .

(٢) انظر / عبد الحليم محمود شلتوت، سيدنا زين العابدين، ١١٠-١٣٤.

(٣) الحراني، تحف العقول، ١٩٥.

ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقوقاً، ثم يخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق عليك فأوجبها عليك حقوق أئمتك ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك. فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك: حق سائسك بالسلطان^(*)، ثم حق سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم، ثم حق رعيتك بالملك، من الأزواج وما ملكت الإيمان، وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة وأوجبها عليك: حق أمك ثم حق أبيك ثم حق ولدك ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى، ثم حق مولاك المنعم عليك ثم حق مولاك الجارية نعمته عليك، ثم حق ذوي المعروف لديك، ثم حق مؤذذك لصلاتك، ثم حق إمامك في صلاتك ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك (الغريم: الدائن، والغريم: المديون، ضد) ثم حق خيلك ثم حق خصمك المدعي عليك ثم حق خصمك الذي تدعي عليه. ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك ثم حق الناصح لك ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل عن تعمد منه أو غير تعمد، ثم حق أهل ملتك عليك، ثم حق أهل ذمتك ثم الحقوق

(*) السائس: القائم بالأمر والمدير له.

الجارية بقدر علل الأحوال، وتصرف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على ما أوجب عليه من حقوقه، ووقفه لذلك وسدده))^(١).

نماذج من بنود رسالة الحقوق

أولاً: حق الله تعالى

((فأما حقُّ الله الأكبر عليك فإن تَعْبُدَهُ لا تُشْرِكُ به شيئاً، فإذا فَعَلْتَ ذَلِكَ بإخلاصٍ، جَعَلَ لَكَ على نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيكَ أَمْرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَيَحْفَظُ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْهَا))^(٢).

وتوجيه الإمام (عليه السلام) في بيان حق الله تعالى على العباد يتضح من خلال هذا النص المقتضب حيث الذات المقدسة لجلال وجهه الكريم الذي ينم عن السخاء والطف والرأفة على عباده، ومتى كان السلطان القوي رؤوفاً برعيته فستنقاد تلك الرعية لطاعته حتماً وستظهر عليه علامات الولاء والحب والتفاني من أجله، لأنه أحبهم وإسترحص لهم كلُّ غالٍ ونفيس، وقول الإمام (عليه السلام) بهذه الجنبات من التقرب لروح الله من قبل العبد وتسديد الخالق لمخلوقه تتجسد في قوله (عليه السلام) ((جعل لك على نفسك أن يكفيك))، أي أن الله سبحانه وتعالى تعهد في كفايته لعبده متى ما كان العبد منقاداً لأمر مولاه متوجهاً لدعواه، وقول الإمام (عليه السلام) هذا مستل من معاني النصوص القرآنية المشرفة التي تعد متكئاً له (عليه السلام) في صياغته لنصوص وبنود هذه الرسالة المتكاملة، يقول الله سبحانه وتعالى بصدد التطابق الذي أفاد منه الإمام (عليه السلام) في النص القرآني [أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ

(١) الحراني، تحف العقول، ١٨٤ وما بعدها .

(٢) الحراني، تحف العقول، ١٨٣.

عَبْدَهُ^(١)، وكل هذا يكشف عن صفات الذات المقدسة في عظمتها تجاه شمولية العباد باللفظ الإلهي الملكوتي الذي تكتنفه الرأفة وتحيطه جنابات الرحمة من كل جهة ومكان ((نظراً إلى ذاته وأفعاله، فكل صفة من صفات جلاله وجماله وكماله، وكل سمة من مظاهر قدسه، وسبحات وجهه، وبيانات عظمته وكبريائه، ودلائل عواطف رحمته ولطائف برِّه مع تكاثرها بمفردها باعثة قوية للحب الذي لا انتهاء له، وأسمائه التي تناهز ألفاً أو تزيد، وتنبئ كل منها على المسمى بصفة مطابقة، وبصفاته التزاماً وتضمناً، هي بواعث وموجبات للحب له تعالى من ألف ناحية وناحية تستقل كل واحدة منها رأساً في استعباد الإنسان وإحتلال هبة قلبه بالحب))^(٢).

ومسألة حقوق الله تتعلّق بمعرفة ذاته المقدسة قدر الإمكان لأن حقوق العباد لها علاقة ليست بالمنفكة عن حقوق الله جلّ وعلا، [فالله وجود لا يمكن أن تُعد الأشياء الأخرى في مقابله شيئاً، فإذا كان هو لحقيقة فالآخرين يجب أن يكونوا سراً وظلاً، يعني هو موجود كما هو موجود وكل شيء للآخرين له، [اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ]^(٣)]^(٤).

أن الله سبحانه وتعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة من أفعال العباد وتصرفاتهم فإن كان حبهم خالصاً له كان لهم عنده حسن المآب في الآخرة وأعطاهم خير الدنيا، وأجزل عليهم بكل سخاء ورأفة ((ولهذا

(١) الزمر / ٣٦ .

(٢) عبد الحسين الأميني، مآتم الإمام الحسين (عليه السلام)، ٣٨.

(٣) النور / ٣٥ .

(٤) مرتضى مطهري، التكامل الاجتماعي للإنسان ، ٨٤ .

السبب يجب أن تكون عبادة الله جلَّ اسمه - وخاصة حب الله - مخلصته))^(١)، هي الأخرى ، قال تعالى: [إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ] (٢).

ولعظمة العلاقة بين العبد وربّه أن ينوي العبد بأن تكون كل أعماله الحسنة من عبادة، وصلة رحم، وتفانٍ من أجل مصلحة الغير، وحب الناس، ومساعدة المحتاجين، والتعامل الحسن مع الجار وغيرها كُلُّها قرينة إليه جلَّ تعالى اسمه ليكون لها حساب عنده في ميزان أعماله التي ستكون أساساً وبواسطتها ستكون نتيجة الحتمية أما خيراً أو شراً. ((أن المسلم الذي يمارس هذه المعاملات والنشاطات الاجتماعية ان يحصل بها ثواباً من الله تعالى بأن يجعل نية القرينة إلى الله سبحانه هي الأساس والمنطلق للفعل، فيطابق بين أفعاله وبين مشيئة الله وإرادته بقصد الاستجابة لأمر الله))^(٣).

فحق الله إذن عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) أن يكون الإنسان على وفق ((وجوه ومظاهر وآفاق رحمة الله في نعمه وكرمه وتفضُّله وإحسانه وألطفه الظاهرة والخفية ... وإذا تلمسنا آثار رحمة ربنا كل على نفسه وشخصيته لازدنا حباً لله وتعلقاً به وطاعة له))^(٤).

(١) غازي بن محمد بن طلال الهاشمي، الحب في القرآن الكريم، ٣٧.

(٢) الزمر / ٢-٣.

(٣) نخبة من المؤلفين في مؤسسة البلاغ، العبادة والزهد في الإسلام، ١٠.

(٤) نخبة من المؤلفين في مؤسسة البلاغ، آفاق الرحمة وأجواء المودة، ٢٠.

أن كل ما يختص بحقوق الله من قبل العبد أوجزه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بهذه العبارات المقتضبة فمنحت الفكر عطاءً لأنها إنما صدرت من ربوع الدوحة وسرادق العلم اللدني، وملكوت القوى الإلهية الخفية التي منحها الله تعالى لهم فتجسدت فيه عبقريةً وعطاءً وسخاءً، أنها حب العبد لربه، ورحمة الرب لعباده، قال تعالى: [يُجِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ] ^(١).

لقد ذاب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في ذات الله وحبه له، وكان حبه له حب المشتاقين للقائه، وحب العباد والذين لم تخيفهم الدنيا بمذلهماتهما وقساوتها، فالدنيا لم تخفي عنه شيئاً من القساوة إلا أذاقته إياه، ولم تترك له بُدأً من أن تريه الموت في كل لحظة من لحظات حياته التي قضاها بين عصابة الجور والظلم والانحراف عن الطريق السوي بحق المولى جلّ وعلا، وأهل بيت النبوة ذوو الفضيلة والنهي، انه الحب تجاه مولاه الذي لم يتركه طرفة عين أبداً، أنه (عليه السلام) كان ينجيه في كل لحظة بمصادقية وأناة، ولم يُدِنس هذا الحب بمصالح ذاتية أو مناصب دنيوية كان يرمي لحصولها، أنه كان يشاق إليه دنو المشتاقين كاشتياق أسلافه إليه، كاشتياق يعقوب إلى فقيده وحببيه حتى ابضت عيناه من شدة الحزن عليه.

لقد كان (عليه السلام) ينجي ربه كأنه يراه في كل سكرة من سكرة حياته، وهو القائل له إذا إذلّهت عليه الخطوب ((إلهي كيف أدعوك وأنا أنا وكيف أقطع رجائي منك وأنت أنت، إلهي إذا لم أسألك فتعطيني فمن ذا

الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي، إِلَهِي إِذَا لَمْ أَدْعُكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي فَمَنْ ذَا الَّذِي أَدْعُوهُ
فَيَسْتَجِيبَ لِي، إِلَهِي إِذَا لَمْ أَتَضَرَّعْ إِلَيْكَ فَتَرْحَمْنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي أَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ
فَيَرْحَمُنِي، إِلَهِي فَكَمَا فَلَقْتُ الْبَحْرَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَجَّيْتَهُ أَسْأَلُكَ أَنْ
تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَنْ تُنَجِّبَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ وَتُفَرِّجَ عَنِّي فَرَجًا عَاجِلًا غَيْرَ
أَجَلٍ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(١).

وهذا التناغم في العبارات والألفاظ ووحدة السياق والتمسك اللفظي
بين مفاصل عبارات الدعاء سار على وفق الطريقة ذاتها لعبارات جده
المصطفى (عليه السلام)، فعن ابن طاووس (رحمته الله) عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: أتى
جبرائيل (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وقال له يا نبي الله أعلم إنني ما أحببت نبياً
من الأنبياء كحبي لك فأكثر من قول: ((اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَرَى وَلَا تُرَى وَأَنْتَ
بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، وَأَنْتَ إِلَيْكَ الْمُنْتَهَى وَالرُّجْعَى وَأَنْتَ لَكَ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى، وَأَنْتَ
لَكَ الْمَمَاتُ وَالْمَحْيَا، وَرَبِّ اعْوِذْ بِكَ أَنْ أُذِلَّ أَوْ أُخْزَى))^(٢).

لذلك فإن معرفة الله ومعرفة حقوقه مسألة أولها الوحي أهمية في
إبلاغ النبي (صلى الله عليه وآله) بها، وإبلاغ النبي (صلى الله عليه وآله) لأهل بيته (عليهم السلام) ثم إبلاغ الناس
بها من قبلهم (عليهم السلام) ((لأن الأساس في الدين هو معرفة الله جل شأنه وإن
كانت هذه المعرفة إجمالية غير تفصيلية، فلا بد للعبد أن يفكر فيمن خلقه،
ونزّهة عن كل شبهة، وليس المقصود بالمعرفة الاعتقاد بأن لهذا العالم
مبدئ وإنما المقصود بالمعرفة أن لهذا العالم خالق حكيم، عالم مدرك،

(١) عباس القمي، مفاتيح الجنان، ١٦٩.

(٢) م. ن، ١٦٩.

أزلي سرمدي، وهي المعرفة التي تستلزمها معرفة الدين))^(١)، لذلك فأن من حق الخالق علينا ألا نصفه بصفات المخلوق، وقد تحرز بعض العلماء أن لا يقرب من تشبيه الباري عز وجل حتى بالصفات ((وإن كانت هذه الصفات جمالية أو جلالية لأن مجرد استعمال الوصف هو تشبيه لذاته وهذا ما لا يجوز عليه سبحانه وتعالى، وقد يكون استعمال الوصف مجرد اصطلاح لفظي ليس إلا))^(٢).

ثانياً: حق النفس

ذكر الإمام (عليه السلام) حق النفس باعتباره حقاً تنطلق منه الأفعال التي يقوم بها الجسد الذي تحرّكه تلك النفس فيؤدي مؤدى ذلك الفعل الذي هو الصورة الواضحة لتجسيد ذلك الفعل الصادر منها. حيث قال (عليه السلام) بهذا الصدد:

((وَحَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتُوْدِي إِلَى لِسَانِكَ حَقَّهُ وَإِلَى سَمْعِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى بَصَرِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى يَدِكَ حَقَّهَا، وَإِلَى رِجْلِكَ حَقَّهَا، وَإِلَى بَطْنِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى فَرْجِكَ حَقَّهُ، وَتَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ))^(٣).

(١) انظر / باسم باقر جريو، العلامة الحلي وآراؤه الكلامية، ٢٦.

وانظر / عباس عبد الحسن الهاللي، الفكر الكلامي عند الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، ٢٤.

(٢) غلام حسين دنياني، أسماء وصفات الحق تعالى، ٣٣.

(٣) الحراني، تحف العقول، ١٨٥.

واهتمام الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في إدراج حق النفس بهذه الرسالة مبعثه ((أن معرفة النفس سِرُّ القوة والسعادة والانسجام مع الحياة، لأن النفس هي المجلي الأعظم لسائر ألوان المعرفة من علم وفلسفة وفن ودين))^(١).

والنفس في حالة استقرارها على طريق الهدى تكون مؤهَّلة لكل تكريم وإجلال، حيث ورد مدح هذا النوع من التأهيل لها في القرآن الكريم بقوله تعالى: [يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٣﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتٍ] ^(٢).

[وقد تتقلب النفس من حال الهوى إلى حال التقى بين حين وآخر، والنفس في حالها هذا تسمى بالنفس اللوامة، فهي عندما تصحو من غفلتها تلوم نفسها على هذه الغفلة ثم تعود إليها فيكثر منها اللوم بقدر ما يكثر منها العود بعد الندم، وهي المشار إليها بقوله تعالى: [لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ] ^(٣) [^(٤).

ولم يكن دَرْجُ حق النفس في رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام) من قِبَلِهِ إعتباطاً أو نابعاً عن فراغ، بل لأنه (عليه السلام) أوماً إلى كونها - النفس - محلاً يمثل العدل ((فوضع الشيء في محلِّه يُمَثِّلُ العَدْلَ، كما إنَّ وضع

(١) حسن علي القبانجي، شرح رسالة الحقوق، ١٨٣.

(٢) الفجر / ٢٧-٣٠.

(٣) القيامة / ٢-٣.

(٤) أحمد البهادلي، من هدى النبي والعترة، ٦٠/٢.

الشيء بغير محله يُمثل الظلم ... إذ هي الطريق المُعبَّد المؤصلُ إلى معرفة موجدِها ومبدعِها))^(١).

لقد حافظ الإمام (عليه السلام) على صيانة النفس من الزيغ والانحراف بحدود عَرَضه لمضامين هذه الرسالة المقتضبة التي أملت الظروف القاهرة على الإمام (عليه السلام) أن يخرجها بهذا الشكل، وهي موائمةٌ لمخاضِ أفرزته عملية الاضطراب في الثقافة المتلونة والتي عكست تأثيراتها على الجهود الثقافية والاجتماعية والسياسية آنذاك بما يتناسب ومفهوم ((الشخصية الإسلامية كونها الخيار الرباني لإنقاذ الواقع البشري في أزماته وصياغاته ومثاراته، وأي خيار آخر هو جزء من التأزيم في حركة هذا الواقع))^(٢).

فحق النفس إذن، من الحقوق الواجب على الإنسان صيانتها من الأذى والتقتير وإلقائها في التهلك والمخاطر، والإذعان لها بكل شيء، فينفلت زمامها، كما أن الإنسان مُؤْتَمَنٌ على حمايتها من الجور والظلم والزوغان وإرتكاب الآثام والذنوب والعيوب ومعاكستها بما تريده وترغبه من أمور تذهب بهيبة وكرامة الإنسان، لذلك التفت الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) على عَدَّها قمة من القمم التي بواسطتها يسمو الإنسان ويتألق إلى مصافي المخلوقات التي أراد لها الله جَلَّت قدرته تكريمها وحفظ هيبتها، فانبرى

202 (عليه السلام) إلى درج هذا المخلوق المتعلق بإصلاحها - رسالة الحقوق - ضمن دستوره العالمي فقد قال (عليه السلام) بصدها: ((وحق نفسك عليك أن

(١) حسن علي القابنجي، شرح رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)،

(٢) عبد الله الغريفي، خصائص الشخصية الإسلامية، ٧.

تستعملها بطاعة الله عز وجل فتؤدي إلى لسانك حقه وإلى سمعك حقه، وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقه، وإلى رجلك حقه، وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله على ذلك))^(١).

ويبدو أن الإمام (عليه السلام) قد درج هذا الحق - حق النفس - في التسلسل الثاني بعد حق الله تعالى جلّت قدرته، وذكرَ لأهميته ودوره في تحقيق العلاقة المباشرة بين العبد وربّه، ولأن النفس هي مستقر الحركات التي يتم إصدارها منها، فقد إنضوى تحت عنوانها الأعضاء التي تتم ترجمة الإيعازات الصادرة من أعماقها كالسمع والبصر واللسان واليدين والرجلين والبطن والفرج، فكل من هذه الحواس والأعضاء تأتمر بأمر النفس حينما ترغب في شيء، فقد ذكرها الإمام (عليه السلام) ضمن حق النفس، والذي يلفت الانتباه أن الإمام (عليه السلام) قد أعاد ذكر هذه الأعضاء التي تتعلق بالنفس الإنسانية بشكل متميز ولكلٍ منها حقاً مختصاً به، فقد ذكر بنفس الرسالة حق اللسان بالتسلسل الثالث، ثم عاد فذكر حق السمع بالتسلسل الرابع، ثم حق البصر بالتسلسل الخامس، ثم حق اليدين بالتسلسل السادس، تلاه حق الرجلين بالتسلسل السابع، ثم أتبعه بحق البطن ثامناً، ثم ذكر حق الفرج بتسلسل أخير من حقوق النفس، ولعل الإمام (عليه السلام) أراد بهذا الإجراء وضع خصوصية متميزة لما يتعلق بالنفس وما تحمله من دلالات عظيمة في الأسرار الكبرى التي وضعها الله جل تعالى فيها، ولا يغيبُ عنا بأنّ الباري

(١) الحراني، تحف العقول، ١٨٥.

وانظر / عبد الإله عبد العزيز الجليبي، التاريخ الأمين من سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام)،

جلَّ وعلا قد منح النفس أهمية ليست بالعادية، حيث إمتدحها جلَّ شأنه في القرآن الكريم بقوله: [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٢﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٣﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿٤﴾] (١).

ويبدو أن إشباع الإمام زين العابدين (عليه السلام) لمعاني النفس إيضاحاً كان دعماً منه لما ورد من إهتمام القرآن الكريم بها في نصوصه المشرقة حيث جاء ذكر الإمام (عليه السلام) لها بناءً على ما أرساه القرآن الكريم باهتمامه بها، فقد دعى الباري جلَّ اسمه الإنسان إلى صيانتها ووقايتها من النار الكبرى بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] (٢).

فقد قدم النص القرآني المشرف أمره بوقاية النفس قبل الأهل لأنَّ النفس إنما هي التي تقود الإنسان إلى نوازع الخير الأخرى، فالأصل في صدور الأفعال يكون من النفس لا من الأهل أولاً حيث أنَّ زرع الثقة بالنفس وتربيتها بمنهج قويم هو ((من أجل أسرة مسلمة صالحة ولا بد من صيانة الأنفس والأزواج والأولاد من نار جهنم، بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، وأن يسعى الأب لتعليم وتأديب أسرته، ويجب أن تعينه في مهمته الصعبة تلك زوجته، مما يتطلب حفظ نفسيهما مما قد يُشوّهُ صورتها في نظر أولادهما)) (٣).

(١) الشمس / ٧-١٠.

(٢) التحريم / ٦.

(٣) نخبه من المؤلفين، المجتمع الصالح في القرآن الكريم، ٦٠.

ولأهمية النفس في القرآن الكريم فقد قُرن جهاد الرجل في أسرته كحالة متقدمة نتيجة لوقوع المسؤولية المعيشية والأعباء الاقتصادية على كاهله، قُرن هذا الجهاد مع جهاد الزوجة وعبر عنهما (بنفس واحدة) كما ورد في قوله تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً] ^(١).

فالآية الكريمة توضّح أنّ الزوجة سَكَنُ وإطمئنان للزوج لتبني عليهما رصانة الأسرة التي دعى الله جلّ وعلا باحاطتها بكل ما تحتاجه من سبل لتقويمها ونجاحها، هذا ولم تقف الآية المباركة بجعل المودة بين الزوجين وكفى، بل عقت وقالت (مودة ... ورحمة)، رغم اكتمال المعنى فيما لو قالت (مودّة) وسكتت، فإن علاقة نَفْسِي الزوج والزوجة ليست كباقي العلاقات بين بني البشر، بل هي علاقة الروح بالروح والدم بالدم، فإذا أَحْسِنْتَ هذه العلاقة الحميمة، سينتج عنها حتماً امتداد إيجابي يتمثل بسلامة الأولاد من كل إنحراف وخطأ وبالتالي صلاح الأسرة الذي يمتد إلى إصلاح المجتمع بأسره.

هذا من جانب ... ومن جانب آخر فإنّ الجميع يَعْرِفُ مقام الإمام علي (عليه السلام) من نفس رسول الله (ﷺ)، فهو نفسه وخصيسته وزوج إبنته، وفاك ديونه، وخليفته من بعده، ولولاه لانتلم الدين وتعطلت الأحكام بعد رسول الله (ﷺ)، لذلك عَبَّرَ القرآن الكريم عنهما في آية المباهلة بهذه المعاني السامية فذكر القرآن الكريم ذلك بقوله: [فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ

مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لُغْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ^(١).

إذ أن كلمة (أنفسنا) - في الآية الكريمة - لا تعني دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) لنفسه لأن الدعوة منه لا تصح لذاته (صلى الله عليه وآله) وإنما المقصود منها هو الإمام علي (عليه السلام) فكان بمنزلة نفس النبي (صلى الله عليه وآله) لذا دعاه وجاء به إلى المباهلة وذلك بأمر من الله سبحانه^(٢)، فاتفق وتوائم معنى النفس، جسده العلاقة الحميمة بين النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وبين وصيه وابن عمه وحبيه الإمام علي (عليه السلام)، فعندئذ ستشرف النفس بهذا المثال الذي ضربهُ القرآن الكريم بعلاقتهما وأطلق عليهما معنى النفس الواحدة.

كما أن القرآن الكريم قد نادى النفس الطيبة بنداء خفي ملكوتي لتنهض بيشري الإيمان لترفل مطمئنة في ذرى المجد والرضوان في موقع آخر قائلاً: [يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي^(٣)].

فهذا النداء السماوي إلى النفس تتجسد فيه نفحات الوحي في دخولها إلى مراتب الخلود الأبدي بدخول مرافئ الجنان، لتعيش مطمئنة بين جنات الرحمة والرضوان التي وهبها الله إليها من سخائه وعطائه الذي لا ينفذ.

أن ((المطمئن إلى الله في حالة سكونية))^(٤).

(١) آل عمران / ٦١.

(٢) لجنة رد الشبهات في مؤسسة الغري للمعارف الإسلامية، محمد وعلي نفس واحدة، ٨.

(٣) الفجر / ٢٧-٣٠.

(٤) عبد الحسين دستغيب، النفس المطمئنة، ١٤.

قال تعالى: [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ] ^(١).

فالنفسُ المطمئنة هي النفس السكينة أو الساكنة التي مُلِئتْ من قرنٍ إلى قدمٍ إيماناً وعفة وسمواً.

إنَّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) حينما وضع حق النفس بعد حق الله يعلم جلياً أن درج حقها بهذا الإيراد إنما ينم عن الكشف عن متعلقاتها لدى الإنسان، فإن كانت مندرجة تحت معاني النفس المطمئنة فقد بزغ فيها نور الإيمان وسرت بها مدارج الخير نحو طريق جنة المأوى، وإن كانت الأخرى، فقد وَسَمَ على أنْفِهِ بالكفر والشذوذ والخروج عن جادة الخير والصلاح، قال تعالى: [سَنَسِيْمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ] ^(٢).

وبذلك تكون النفس - الأمانة - ((تأكل كل ما تصل إليه، سواء كان من أموال اليتيم أو الغش في المكيال أو الجناية... تريد أن تتمتع بالنظر فتتطلع إلى كل ما لا يجوز النظر إليه، ولأنها أمانة فهي لا تحب أن تكون حكومتها وأمارتها مفيدة)) ^(٣).

فتقصير الإنسان وإسرافه على نفسه إنما يعود عليه بالندم نتيجة لما قابل نفسه بأعمال الشر وانضوائه تحت قائمة الانحراف عن الصراط القويم، وقد ورد في دعاء كميل (عليه السلام) الذي علَّمَهُ إياه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ما

(١) الفتح / ٤ .

(٢) القلم / ١٦ .

(٣) عبد الحسين دستغيب، النفس المطمئنة، ٧.

نصه: ((وَقَدْ آتَيْتُكَ يَا إِلَهِي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي مُعْتَذِراً نَادِماً مُنْكَسِراً مُسْتَقِيلاً))^(١).

وصاحب الإسراف على النفس لابد له أن يكون منكسراً نادماً مستقيلاً كما نص على ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدعاء المذكور. هذه المناحي هي التي دعت الإمام زين العابدين (عليه السلام) أن يخصص حقاً رئيساً أسماه (حق النفس) تتفرع منه ثمانية حقوق أخرى درجت في نص بنود الرسالة المشرفة .

وسنقتصر على هذا البيان المقتضب بما يخص حق النفس، حيث يطول المقام بالتفصيل الذي من شأنه شمولية وتغطية الموضوع فيما لو عرضنا لمضامينها إسهاباً.

وعليه فإنَّ النفس حالة لا يفقه تبعاتها إلا الذين آتاهم الله بسطة من العلم اللَّدُنِّي الخاص، وقد أدرك فهمها الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) فأوجد لها حقاً متميزاً أيّما تمييز ((إنها جوهر ملكوتي يستخدم البدن في حاجاته وهو حقيقة الإنسان وذاته، والأعضاء والقوى آلاته التي يتوقف فعلها عليه، وله أسماء مختلفة بحسب اختلاف الاعتبار، فيسمى روحاً لتوقف حياة البدن عليه، وعقلاً لإدراكه المعقولات، وقلباً لتقلبه في

208 الخواطر))^(٢).

(١) عز الدين بحر العلوم، أضواء على دعاء كميل، ٩٦.

(٢) النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ٨٦.

وانظر / احمد كاظم البهادلي، من هدي النبي والعتره، ١٦/١ .

ثالثاً: حق الصلاة

لقد سبق (حق الصلاة) حقان هما حق الله تعالى وحق النفس، وحق الله له الأولوية في كل نفس خلقها هو جلَّ شأنه فهو الخالق ذو المن على عباده، فالصلاة بمثابة الشجرة المثمرة في جسد الإنسان، أمّا حق النفس فقد سبق حق الصلاة ليس لأن النفس أفضل من الصلاة، بل لأن الصلاة بحاجة إلى مؤهلات تستحضرها النفس لقبول الصلاة لأنها عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها كما ورد في الروايات.

وعليه فإن للصلاة حق من الحقوق المتميزة التي وضعها الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في رسالته المعروفة بـ(رسالة الحقوق)، وذلك لكونها العمود الذي تركز عليه الأحكام الشرعية، وكذلك لكونها صلة العبد بربه ولأنها التي تجسد مشروعية العبادة الحقبة بمعناها الصادق، فكانت لدى الإمام (عليه السلام) من أوائل العبادات التي يجب أن تكون في متناول التنفيذ وبلا تهاون، فهي مشروع عمل مستديم نظراً لتكراره لخمس مرّات باليوم وهي إستذكار دؤوب مستمر بين العبد وربّه، وبها يتركز الاستذكار المعنوي والروحي لقيم السماء من قبل العبد.

يقول سيدنا ومولانا الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بحق هذه الشعيرة: ((وَحَقُّ الصَّلَاةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وَفَادَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّكَ فِيهَا قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ قُمْتَ مَقَامَ الذَّكِيلِ الْحَقِيرِ، الرَّاعِبِ الرَّاهِبِ، وَالرَّاجِيِ الْخَائِفِ الْمُسْتَكِينِ الْمُتَضَرِّعِ، الْمُعْظَمِ لِمَنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسَّكُونِ وَالْإِطْرَاقِ، وَخُشُوعِ الْأَطْرَافِ وَلَيْنِ الْجَنَاحِ وَحُسْنِ الْمَفَاجَأَةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ،

وَالطَّلَبُ إِلَيْهِ فِي فَكَائِكَ رَقَبَتِكَ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهَا خَطِيئَتُكَ وَاسْتَهْلَكْتُهَا ذُنُوبَكَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)) (١).

لذلك وضع الإمام زين العابدين (عليه السلام) حق الصلاة كأحد الحقوق التي يجب أن يراعيها الإنسان، وأن يضعها في مقدمة أعماله العبادية كلها باعتبارها عمود الدين وأنها بمثابة الرأس من الجسد، كما ورد مضمون ذلك في الكتاب الشريف تصريحاً إضافة لتواتر أهميتها بالأحاديث الشريفة الواردة عن النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) بلا إستثناء، وقد ذكرها الإمام زين العابدين (عليه السلام) بهذه الرسالة - رسالة الحقوق بقوله: ((وحق الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلى الله عز وجل وأنت فيها قائم بين يدي الله عز وجل فإذا علمت ذلك قمت مقام الذليل الحقير، الراغب الراهب، والراجي الخائف المستكين المتضرع، المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والإطراق، وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المفاجأة له في نفسه، والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت بها خطيئتك واستهلكتها ذنوبك ولا قوة إلا بالله)) (٢).

وبهذا التعبير الدقيق والنص المقتضب يضع الإمام (عليه السلام) أمامنا صورةً بالغة لأهمية الصلاة وترصين واقعها العبادي الصادق، ويضع العبد أمام الربوبية الحققة لعظمة مولاه وتجسيد قيم الطاعة للخالق الجليل، كما يشعره بإذلال نفسه أمام عظمة الذات المقدسة، واستشعار حالة الاستصغار

(١) الحراني، تحف العقول، ١٨٢.

(٢) الحراني، تحف العقول، ١٨٥.

لخصوصيات المخلوق قبال القدرة الإلهية الهائلة في خلق المعاجز والمستحيلات كونها خاصة بذاته التي لا يدانيها أحد من المخلوقات ولا يقدر أحد من العباد في التدخل بإدارته لهذا الكون سواه.

لقد ترجم الإمام زين العابدين (عليه السلام) معنى الصلاة برسائله الرائعة بوصفها وفادة إلى الله عز وجل، وأنها لقاء بين العبد وربّه، وعلى العبد أن يقف صغيراً ذليلاً معترفاً مذعناً نادماً مقرأً بعزوفه عن النواهي التي أمر الله بتركها، وهذا ما يستشف من قول الإمام (عليه السلام) أن ((الصلاة هي إحدى الدعائم التي بني الإسلام عليها))^(١).

فالصلاة هي الصلة بين المرء وخالقه، وكما أفصح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن ((عمود الدين الصلاة، وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم فإن صحّت نظر في عمله وإن لم تصحّ لم يُنظر في بقية عمله))^(٢)، لذلك كانت الصلاة آخر ما أوصى به الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) حينما أوداه ابن ملجم (لعنه الله) صريعاً في محرابه وهو يؤديها فقال لهما (عليهما السلام): ((الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم))^(٣)، وهو نفس القول المنتزع من قول الإمام السجاد (عليه السلام) أعلاه في معنى الصلاة بأنها ((وفادة إلى الله عز وجل وأنت فيها قائم بين يدي الله عز وجل)) فأَي عمود يستقيم ويترصّن أكثر مما أنت تقع فيه بين يديه

(١) علي الحسيني السيستاني، الوجيز في أحكام العبادات، ٣٤.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ٢٣/٣.

(٣) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، نهج البلاغة، ٤٤٥.

الكريمتين، لقد استشهد علي (عليه السلام) والصلاة بين شفثيه كما يقول جبران خليل جبران المسيحي المصري الشهير^(١).

وكان للصلاة اكبر الأثر في نفس الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى سقوطه صريعاً في بيت الله وهو يتلوها، متأثراً بعاملين مهمين طبعتهما الصلاة في شخصه والذي بات لا يبرحها ولا ينساها، فأما العامل الأول فهو تأثيره بالقرآن الكريم الذي حكى عن ماهيتها ودورها في تقويم الطباع والأخلاق والقيم العليا من خلال النصوص القرآنية المشرفة التي وصفها بأنها الركن الأساس لبناء العقيدة الحقّة لدى العبد تجاه مولاه، وأما العامل الثاني فهو تأثيره بشخص النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) الذي كان له كظله، بل نفسه كما نصّت على هذا المعنى آية المباهلة الكريمة، وهذا التأثير الذي جعل من شخص الإمام (عليه السلام) المُنْفَذُ الأول لما يقوله ويفعله ويقرره الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي كان من أهم أفعاله الصلاة التي كان يؤديها (صلى الله عليه وآله) بشكلها ووقتها المميز.

أما القرآن الكريم الذي ترك بنفس الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أثر الصلاة فكان من خلال النصوص المشرفة التي تصف أهميتها ومنها قوله تعالى: [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً] ﴿٢١٢﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً^(٢).

(١) محمد رضا الخفاجي، الصلاة هوية المؤمن، ٣٣.

(٢) مريم / ٥٤-٥٥.

كما ذكر القرآن الكريم الصلاة على لسان إبراهيم (عليه السلام) بقوله: [رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءً] ^(١).

وذكرها أيضاً بحكايته عن عيسى (عليه السلام) بقوله: [وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا] ^(٢).

كما ذكرها على لسان لقمان حينما يوصي ولده بقوله: [يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ] ^(٣).

نعم... وما أقرب الإمام زين العابدين (عليه السلام) بهذا التعلق بالصلاة متأثراً بجده أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان نسخة أخرى له في عبادته ونسكه وطول سجوده، حيث أدرك بان الله فرضها على عباده وأوجبها عليهم على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم، فهي سلاح المؤمن أينما حلَّ وإرتحل، وهذا ما تعبر عنه الآية المشرفة في قوله تعالى: [إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا] ^(٤).

لقد وضع الإمام معايير وضوابطاً لمن يتجه إلى لقاء ربه في أن يكون راغباً، راغباً، خائفاً، راجياً، مستكيناً، متضرعاً، مطرَقاً، ساكناً، مطمئناً، لأنَّ [الصلاة قوة طاردة للرزيلة ولللاستعمار لأنها عمود الدين والدين لا يرضى

(١) إبراهيم / ٤٠.

(٢) مريم / ٣١.

(٣) لقمان / ١٧.

(٤) النساء / ١٠٣.

بالعبودية لغير الله وحده ولذا ورد في حقها ((إذا قبلت قبل ما سواها وإذا ردت رد ما سواها))^(١).

وقد إجتمعت شروط وضوابط المصلي الحقيقي في شخص الإمام السجاد (عليه السلام) لأنه الإنسان والمخلوق والمسوس المثالي ((والإنسان عندما يهرع للصلاة ويتوجه إلى الله بالعبادة تتنازعهُ أفكارٌ متعددة، فالمصلي يحتاج إلى قوة وصبر وهبة من الله تعالى لطرد تلك الأفكار التي تتنازعهُ وهو ما يسمى بالخشوع))^(٢).

أن الإمام (عليه السلام) يشير إلى أن (الصلاة) أداة لتوحيد المجتمع الإسلامي مع بعضه لأن المصلي ستندح في نفسه دواعي الإيمان التي تدفعه إلى حب الخير ونبد كل ما من شأنه كراهية الآخرين لأنه سيحاسب نفسه حتماً أمام مَنْ تقف؟ وبين يدي مَنْ تستثيب؟ كذلك عبّر (عليه السلام) بأن الصلاة ستخلق عنصر المفاجئة عند العبد، ذلك أنّ التغيير سيحدث حتماً في تحويل عناصر الشر المزروعة في نفس الإنسان إلى وسائل أخرى تكشف عن انتقاله ذلك الإنسان وحصول حالة التجاذب النفسي بينه وبين عناصر الإيجاب الذاتي لرمزية الرحمة والرأفة من الله جلّ وعلا لأنه سيقف متذللاً مطيعاً بين يديه الكريمتين، وبالتالي ستكون الصلاة عنواناً لرمز الوحدة وباباً

214 من أبواب الرمزية الوحدوية .

(١) طاهر حسن ملحم، الإسلام دين وتمدين، ٣٨٥.

(٢) م . ن ، ٣٨٤.

فـ)) مثلما يكون للوحدة خطابها، يكون للوحدة رمزها وخطيبها، والأمة وإن كانت تتأثر كثيراً بالخطاب، لكنها لا تستغني عن الخطيب (الرمز) الذي يجسد وحدتها ويتسع لمجمل مكوناتها))^(١)، لذلك كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) أحد أبرز الأمة البارزين ودعاتها الأتقياء الراشدين.

لذلك فإنّ مفاسل وخطابات أركان ومضامين الصلاة التي هي خطاب العبد لربه، إنما تتجسد بها القيم الأخلاقية والأصول التي من شأنها أن تترصن تلك الأخلاق وتتنظم القيم وتستأصل الفرقة ويتغيب التناحر.

لقد كشف لنا الإمام (عليه السلام) تفاعله مع المبادئ التي تربطه بالذات القدسية حينما يَتَبَلَّ في صلاته وهو في محرابه حيث أنه ((كان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقليل له: مالك؟ قال: أتدرون بين يدي من أقوم، ومن أناجي؟))^(٢).

إن اعتكاف الإمام (عليه السلام) على الصلاة بهذا النوع من العبادة إنّما يكشف عن قوله (الخائف الراجي) وقوله (من قام بين يديه بالسكون والإطراق) أنها الرهينة في العبادة الحقّة، لذلك يُروى عنه (عليه السلام) أنه إذا أقام للصلاة يطيل الوقوف بين يدي جبار السماوات والأرض، حتى يصفر لونه من السهر، وترمض عيناه من البكاء، وتدبر جبهته، وينخرم أنفه من

(١) إبراهيم الجعفري، الوحدة الإسلامية في القرآن الكريم، ١٣.

وانظر/ نخبة من المؤلفين، قادة الغرب يقولون (دمروا الإسلام وأبيدوا أهله)، ٧٥.

(٢) انظر ذلك في/ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١١٨/٢؛ الغزالي، مكاشفة القلوب، ٦٤؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٥؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٨٢؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٤.

السجود، وتتورَّم ساقاه وقدماه من القيام في صلاته^(١)، لأنَّ في الصلاة يتجسد معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنَّ الشارع المقدس أوجبها على عباد الله كافة فـ((إذن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تختص بتصنيف خاص من الناس كالرسول (ﷺ) أو الإمام أو علماء الدين أو السلاطين بل تجب على الجميع))^(٢).

((لقد راعى الإسلام في كل عباداته أن تكون العبادة ذات أثر تكاملي على الذات ومردود عملي لإصلاح المجتمع وتحسين أوضاعه، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ... وهكذا تساهم العبادات في تخطيط شخصية الفرد، وبناء هيكل المجتمع، وتميز شخصيته الإسلامية الواضحة كنتيجة عرضية تترشح عن هدف العبودية لله سبحانه، فهي جامعة للنفع الدنيوي إلى جانب هدفها الأساسي وهو إخلاص العبودية لله ونيل رضوانه))^(٣).

فلا غرو أن يجعل الإمام (عليه السلام) الصلاة من أهم حقوق الله سبحانه على الإنسان الذي منَّ الله عليه في هذا الكوكب وجعله فيه من المكرمين، قال تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ]^(٤).

فَكُلُّنَا يعرف حقيقة إبليس (لعنه الله) حينما أبعد الله عن رحمته وأقصاه عن رأفته ... لأنه علا وإستكبر ولم يَعْبُدُ الله حق عبادته ... إذن فإن الصلاة هي مراقبة الإنسان لنيل رضى الله وبها تبيضُّ وجوه وتَسْوَدُّ أخرى .

(١) المفيد، الإرشاد، ٢٨٧ .

(٢) حميد المقدس الغريفي، جذور الإساءة للإسلام، ٣١٨ .

(٣) نخبة من المؤلفين، العبادة والزهد في الإسلام، ٢٩ .

(٤) الإسراء / ٧٠ .

فسلام على سيدي أمير الساجدين حينما أشار إلى أهميتها من خلال نظامه العالمي الذي لا ترقى إليه الهيئات والأنظمة والمنظمات في تحقيق جزء لا يتجزأ من احتوائاته ومضامينه في التعريف بشأن المعنى الحقيقي للعبودية لخالق الكون جبار السماوات والأرضين رب العالمين.

دراسة وتحليل :

لقد كان للظروف السلبية التي عاشها الإمام (عليه السلام) إبان تلك الحقبة الزمنية، والتي مثلت السنوات العجاف لحياته الشريفة، فكانت مدعاة لمواجهة المرحلة القاسية والتي كان المجتمع يعاني منها آنذاك، فقد أدى التفكك والضياع في الأمور الشرعية إلى مبادرة الإمام (عليه السلام) لتنظيم حياتهم من خلال تقوية أو اصرع علاقتهم فيما بينهم من جهة، والعلاقات فيما بينهم وبين ربهم من جهة أخرى، فكانت (رسالة الحقوق) خير علاج وأرصن رباط ارتآه الإمام (عليه السلام) لجمع شمل الأمة، إدراكاً منه بأن النظام إذا ساد بين طبقات المجتمع سيؤدي حتماً إلى التعاون والشعور بالمسؤولية ، وبالتالي إلى نجاح ذلك المجتمع على الأصعدة كافة، لذلك كانت الرسالة بمثابة المحرك للنفوس لأخذهم إلى الطريق الأصلاح وإنقاذهم من الانحراف عن جادة الصواب، بل إيصالهم حتماً إلى شواطئ الخير والنجاح.

إن الحركة التجديدية التي سعى إلى خلقها وتحريكها الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق قد حققت نجاحاً كبيراً في خلق عامل الإثارة لدى النفوس، وكشف رؤى جديدة بين طبقات المجتمع في إنه لا يصح إلا الصحيح، لذلك أدى ذلك إلى التماس حالة إستشعار جديدة في نفوس

الجماهير ومحاولة انتفاضها وانتباهها من غفوة (البرجوازية المنحسرة) في تحفيزهم بأنَّ حقوقهم قد صُودرت بوسيلةٍ أو بأخرى من قبل السلطة الجائرة، لذلك فقد خاطبهم (عليه السلام) بأسلوب ملوِّه العقل والرهينة المستندة إلى أسس القرآن العظيم الرصينة، فكانت نمطاً خفياً يُحرِّكُ في نفوسهم مكامن الثورة، لكنه بأسلوب عبقرى متميز، وهذا من أهم أسباب سقوط عروش الدولة الجائرة لأن الأمة ادركت بأنهم أصبحوا غير مرغوب بتسلطهم على رقاب الناس والمجتمع، وطالما سعى الإمام السجاد (عليه السلام) إلى محاولة القضاء على التقهقر ومحاربة حالات الانكفاء الذاتي ونبذها من خلال مفاصل هذه الرسالة فهي دعوة معمقة رغم قلة حجمها لكنها عظيمة بمعانيها وإنسانيتها وعدالتها تحت ظل مجتمعه وأهله وإخوانه في الإنسانية والسلوك حيث أعلمهم (عليه السلام) ((أن الشعور بروح الجماعة، ظاهرة إنسانية عامة شأنها شأن التقييم العالي لجماعة المرء))^(١).

فأدركوا بأنَّ ((العمل الجماعي الذي يتطلب إنجازَه ضميراً حياً وتوزيعاً للعمل المتفق عليه بين الأعضاء لتنفيذه))^(٢).

((إن شعور الأمة بكل ذلك يعتبر عاملاً ضخماً جداً لانفتاحها على عملية البناء الحضاري التي تقوم على أساس الإسلام وثقتها بهذا البناء وبالتالي تحقيق المزيد من المكاسب في المعركة ضد التخلف))^(٣).

(١) روافيل باتاي، العقل العربي، ٢٠٥.

(٢) م. ن، ١٩٩.

(٣) محمد باقر الصدر، منابع القدرة في الدولة الإسلامية، ٤٠ وما بعدها.

لذلك اتخذ الإمام زين العابدين (عليه السلام) هذه الرسالة وسيلةً للوصول إلى هذه الغاية من أجل تحقيق الأهداف المرجوة وبالتالي الحفاظ على بيضة الإسلام، لأن الإسلام هو الوسيلة التي بواسطتها يتم الإصلاح في المجتمع ووصوله إلى أروع النجاحات والقيم السامية، وبذلك اتخذ الإمام (عليه السلام) ((من مخرابه ومُصلاه وسيلةً لنشر تعاليم الدين التي اكتسبها، من القرآن الكريم والدوحة المحمدية والأخلاق والقيم السماوية))^(١)، لذلك فقد سعى (عليه السلام) دوماً وبظل هذه الظروف المرتبكة إلى خلق حالة من التوازن التي إصطحبها تقدّم في الإنتاج من خلال تفاقم الإحساس من قبل المجتمع بحقوقهم الضائعة ((لأن تطبيق شريعة السماء في أي مجتمع من المجتمعات يؤدي دائماً باستمرار إلى وفرة الإنتاج))^(٢).

إن رسالة الحقوق أدّت إلى إيقاد مشاعر الناس وإحساسهم بمسؤولياتهم العقائدية ودفعهم لتأدية ما عليهم والمطالبة بمآلهم، وهذا ما هدف إليه الإمام (عليه السلام) لعلهم بأنّه لم يكن لديه حينذاك سلاحاً أنجع من هذا وأسلم منه، ذلك هو سلاح التخلق الذي امتدحه القرآن الكريم كونه أبرز صفات جدّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): [وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ]^(٣)، حيث أن القيم والفضائل لا تكون مدعاة للإعجاب والإكبار، وسمو المنزلة، ورفعة الشأن، إلا إذا اقترنت بحسن الخلق وازدانت بجماله الزاهر ونوره

(١) عبد الله عبد العزيز الجليبي، الإمام زين العابدين، ٤٥.

(٢) نخبة من المؤلفين، المجتمع الصالح في القرآن الكريم، ١١١.

(٣) القلم / ٤.

الوضاء، فإذا ما تجردت منه فقدت قيمتها الأصلية، وغدت صورة شوهاء تثير السأم والضجر^(١).

إن رسالة الحقوق ساعدت على تجديد معنوية مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وتقوية مستلزماتها العلمية نحو مواكبة الدرس والمواظبة عليه مما أدى إلى نشاط تلك المدرسة والتفاف كثير من العلماء والفقهاء حول الإمام (عليه السلام) وسماعهم منه أمثال، ابن شهاب الزهري الذي كان يقول ((علي بن الحسين أعظم الناس علياً منة))^(٢)، وسعيد بن جبير الذي قال فيه أحمد بن حنبل ((قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه))^(٣)، وسعيد بن المسيب الذي جمع بين الحديث والفقہ والزهد والعبادة والورع^(٤)، وطاووس بن كيسان اليماني الذي كان أحد أعلام التابعين والذي قيل بحقه ((كان فقيهاً جليلاً القدر نبيه الذكر))^(٥)، ومحمد بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ابن الحنفية)، وهو الإمام اللبيب ذو اللسان الخطيب، الشهاب الثاقب، والقضاب العاقب، صاحب الإشارات الخفية، والعبارات الجزية، أبو القاسم محمد بن الحنفية))^(٦)، ومحمد بن

(١) محمد مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، ١٠.

(٢) انظر / ابن سعد، الطبقات، ١٥٨/٥.

وقريب منه / ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤٤/٣ وما بعدها.

(٣) ابن خلكان وفيات الأعيان، ١١٦/٢.

(٤) ابن خلكان وفيات الأعيان، ١١٦/٢.

(٥) م. ن، ١٩٤/٢.

(٦) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٧٤/٣.

علي الباقر (عليه السلام) ((الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر محمد بن علي الباقر، كان من سلالة النبوة، وممن جمع حسب الدين والأبوة، تكلم في العوارض والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخصومات))^(١)، وكان ((سيد بني هاشم في وقته))^(٢).

وقد روى عن أبيه علي بن الحسين (عليه السلام)، وعن جديه الحسن والحسين (عليه السلام)^(٣)، وهو الذي أبلغه جده رسول الله (ﷺ) تحياته مع جابر بن عبد الله الأنصاري الذي أدرك الإمام محمد الباقر (عليه السلام) حيث أبلغه تلك التحيات من نبي الرحمة (ﷺ)^(٤).

وقد إلتفَّ حول الإمام (عليه السلام) الكثير من غير هؤلاء من الذين عاصروه وسمعوا منه وأدركوه وسعوا إليه من مختلف الأصقاع والبقاع من الدولة الإسلامية، سواء كان ذلك من مكة أو المدينة أو الكوفة أو البصرة أو اليمن أو الشام وغيرها من الحواضر الإسلامية، حيث ساهم هؤلاء الصالحون من السلف في رفد مدرسة أهل البيت الفقهية وعلوم القرآن والتفسير فيها، وكذلك علوم الحديث وبقية العلوم الأخرى، مما جعل هذه المدرسة تحافظ على مآثرها التي ورثتها عن رسول الله (ﷺ) ولو بالقدر المستطاع له آنذاك، وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على اهتمام الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بسيرة جده الأعلى (ﷺ) والحفاظ على تراث الأمة من

(١) م ن، ١٨٠/٣.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠٢/٤.

(٣) م ن، ١٠٢/٤.

(٤) م ن، ١٠٣/٤.

الضياع والاندثار، وقد تمثل هذا الالتزام من قبله (عليه السلام) بتصديره لصحيفة الدعاء (الصحيفة السجادية) ورسالة الحقوق لتلك المدرسة وللأمة الإسلامية، فكانت بحق نتيجة صادقة وصالحة لنضاله وسعيه من أجل خدمة الإسلام الكبرى، وقد نظم أستاذنا العلامة الدكتور محمد حسين الصغير المبادئ العظمى لرسالة الحقوق للإمام (عليه السلام) ومضامينها مقارنة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة وإصدار ميثاقها عام ١٩٤٥م في مدينة سان فرانسيسكو، الذي لم نجد فيه أية شمولية لحقوق الإنسان بالمعنى الذي يتكفل بالقضاء وعلى الإفرازات المتمثلة في التمييز العرقي أو الطائفي أو العقائدي أو السياسي أو الاجتماعي أو التربوي أو الأخلاقي^(١).

لذلك ((كان الفقهاء ورواة الحديث يعدون بالآلاف في عصر التابعين وتابعيهم وعليهم كانت تعتمد مدارس الفقه والحديث في مكة والمدينة وبقية المدن الإسلامية الكبرى))^(٢).

ففي رواية الحديث النبوي الشريف كان للإمام (عليه السلام) أثر كبير وبصمات واضحة اعتمدها طلبة العلم من أهل الفقه والحديث وبقية العلوم الأخرى، إذ كان عليهم أن يجتهدوا فيما صدر منه لاتصاله بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وعليهم أن لا يدركوا بأن حديث الإمام (عليه السلام) وكذلك حديث ابنه محمد الباقر (عليه السلام) أو حفيده جعفر الصادق (عليه السلام) حديث عن آبائهم

(١) انظر / محمد حسين علي الصغير، الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ٣٢٧-٣٣٣.

(٢) الحسن، تاريخ الفقه الجعفري، ٢٥١.

حتى يَتَّصِلُ بِجَدِّهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، وقد أدرك الصالحون من السلف من أولئك الأعلام والفقهاء ذلك، وساروا عليه، فهذا الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) نقل عن هؤلاء الأئمة الثلاثة سبعة عشر حديثاً في كتابه الموطأ دون الإشارة إلى الانقطاع أو الإرسال في سندها^(١)، ونقل يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣هـ) عدة روايات عنهم^(٢)، وقد عدَّ محقق الكتاب تلك الروايات، مرسلة أو مقطوعة لسقوط الصحابي أو التابعي منها، في حين أن يحيى بن آدم كان أكثر دقة وبحثاً في رواياته، لذلك نقل تلك الروايات ولم يشكك في توثيقها، ولم يعضدها بأخرى عن طريق آخر كما هو منهجه في الروايات المقطوعة أو المرسلة والمنقولة عن طريق غيرهم، وسار البلاذري (ت ٢٧٩هـ) على هذا النهج في رواياته التي نقلها عنهم دون ان يعلق عليها أو يعضدها بطريق آخر أو يحكم عليها بالإرسال أو الانقطاع^(٣).

ولعل ذلك منهج سار عليه القدماء والمحدثين وأهل السير من غير هؤلاء الثلاثة.

(١) محمود شاعر الخفاجي، منهج الإمام مالك في كتابه الموطأ، ١٧.

(٢) يحيى بن آدم، الخراج، وعلى سبيل المثال في الصفحات والمسائل التالية:

ص ٣١ المسألة ٧١، ص ٧٨ المسألة ٢٤٥، ص ٩٩ المسألة ٣٠٩، ص ١٠٣ المسألة ٣٢٢، ص ١١٦ المسألة ٣٧٠، ص ١٢٧ المسألة ٤١٠، ص ١٣٠ المسألة ٤٢٢، ص ١٣٤ المسألة ٤٣٤، ص ١٣٥ المسألة ٤٣٧.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، انظر على سبيل المثال الصفحات ٢٢/، ٢٤، ٢٧.

المبحث الثالث

خطب الإمام (عليه السلام) ومكاتباته

أولاً: خطبة الإمام في الكوفة

وبعد تسيير الركب الحسيني من كربلاء إلى الشام مروراً بالكوفة كان الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) الرجل الوحيد في ذلك الركب مع جمع من النساء والأطفال، وعند وصولهم إلى الكوفة أخذ الناس يكون لمنظرهم، وعندها خاطبهم الإمام بقوله: ((أتنوحون وتبكون من أجلنا فمن ذا الذي قتلنا وقد ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب فأوماً إلى الناس أن اسكتوا فسكتوا فقام قائماً وهو عليل قد نهكته العلة فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما هو أهله ثم قال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا تراث، أنا ابن من أتهك حريمه، وسلب نعيمه، وأتهب ماله، وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً، فكفى بذلك فخراً. أيها الناس ناشدكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخذعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة؟ قاتلتموه وخذلتموه فتباً لكم ما قدَّمتم لأنفسكم

224 وسوأة لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يقول لكم:

قاتلت عترتي، وانتهكت حرمتي، فلست من أمتي. قال: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء من كل ناحية وقال بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون.

فقال (عليه السلام)، رحم الله إمرءاً قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله، وفي أهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة. فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمُرنا بأمرك رحمك الله فإننا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لناخذن يزيداً وتبرأ ممن ظلمك وظلمنا.

فقال (عليه السلام): هيهات هيهات!! أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل كلا ورب الراقصات، فإن الجرح لما يندمل!! قتل أبي بالأمس، وأهل بيته معه، فلم ينسني ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله، وثكل أبي وبني أبي ووجدته بين لهاتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري. و مسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا.

ثم قال (عليه السلام): رضينا منكم رأساً برأس فلا لنا ولا علينا^(١).

وفي خطبته هذه دلائل على خروج الذين قتلوا أباه عن حضيرة الإسلام أو على الأقل انتهاكهم تعاليم الإسلام الحقّة، فبعد أن أشار إلى إسمه ونسبه عرفّهم بأنه مسلم ومؤمن برسالة محمد (صلى الله عليه وآله) هو وأبوه وجده ... ومن أسلم حفظ دمه وماله وعرضه، بينما أشار هو في خطبته أنهم لم يراعوا كل ذلك في دم أبيه وماله وعرضه، ثم صرّح بخروج أولئك الذين قتلوا أباه عن الإسلام بقول الرسول (صلى الله عليه وآله) لهم يوم المعاد (قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من امتي)، واعترفوا هم ضمناً بذلك نادمين

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ٣٦/٢.

ببكاؤهم ونحيبهم... ثم بيّن لهم سيرته السياسية بعد ذلك برضاه الكامل لمسيرة أبيه ورفضه للسياسة الأموية لئلا يطمع الأمويون بتأييده أو يطمع أهل الكوفة بمعارضته، لأنهم أباحوا دم من هو خير منه وأعظم وأقدس (جده وأبيه) فالاعتداء عليه أهون عليهم وأيسر، وليبين للتاريخ طبيعة الفكر السياسي الإسلامي عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

ثانياً: خطبة الإمام (عليه السلام) في الشام

وسار الركب الهاشمي برحلته مسبياً على أقتاب إبلٍ نُحِف بعد إستعراض مرير في أزقة الكوفة نحو الشام حيث عاصمة الجور والغواني، فدَخَلُوا على يزيد بعد أذن الأخير للناس في إجتماع عام في المسجد الأموي وقد ((أمر يزيد بمنبر وأمر الخطيب أن يصعد المنبر فيَذُم الحسين وأباه، فصعد الخطيب المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم بالغ في ذم أمير المؤمنين والحسين الشهيد وأطنب في مدح معاوية ويزيد فذكرهما بكل جميل، فـ(صاح) به علي بن الحسين: ويلك أيها الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوء مقعدك من النار، ثم قال: يا يزيد أتأذن لي حتى اصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات لله فيهن رضا ولهؤلاء الجالسين فيهنَّ أجر وثواب، فأبى يزيد ذلك فقال للناس: يا أمير المؤمنين أأذن له 226 فليصعد المنبر لعلنا نسمع منه شيئاً، قال: أنه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقليل له: وما قدر ما يحسن هذا، فقال: أنه من أهل بيت زَقُوا العلم زَقاً، فلم يزالوا به حتى أذن له، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خَطَبَ خُطْبَةً أبكى فيها العيون وأوجل منها القلوب فقال:

أيها الناس أُعطينا سِتًّا وَفُضِّلْنَا بِسَبْعٍ، أُعطينا العلم والحلم والسماحة
والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وَفُضِّلْنَا بِأَنَّ مَنَّا النَّبِيَّ
المختار مُحَمَّدَ (ﷺ) وَمَنَا الصَّدِيقَ وَمَنَا الطَّيَّارَ وَمَنَا أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ
وَمَنَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمَنَا سَبْطًا هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ
يَعْرِفَنِي أَنْبَأْتَهُ بِحَسْبِي وَنَسْبِي.

أيها الناس أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمَنِي، أَنَا ابْنُ زَمَزَمَ وَالصَّفَا، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ
الرُّكْنَ بِأَطْرَافِ الرِّدَاءِ، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مِنْ إِيْتَزَرَ وَإِرْتَدَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مِنْ انْتَعَلَ
وَاحْتَفَى، أَنَا ابْنُ مَنْ طَافَ وَسَعَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مِنْ حَجَّ وَلَبَّى، أَنَا ابْنُ مَنْ
حُمِّلَ عَلَى الْبُرَاقِ فِي الْهَوَا، أَنَا ابْنُ مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، أَنَا ابْنُ مَنْ بَلَغَ بِهِ جِبْرَائِيلُ سَدْرَةَ الْمُنْتَهَى، أَنَا ابْنُ مَنْ دَنَى
فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، أَنَا ابْنُ مَنْ صَلَّى بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، أَنَا ابْنُ
مَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ الْجَلِيلُ مَا أَوْحَى، أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمَصْطَفَى، أَنَا ابْنُ عَلِيٍّ
الْمُرْتَضَى، أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ خِرَاطِيمَ الْخَلْقِ حَتَّى قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَنَا ابْنُ
مَنْ ضَرَبَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) بِسَيْفَيْنِ وَطَعَنَ بِرُمْحَيْنِ وَهَاجَرَ
الْهَجْرَتَيْنِ وَبَاعَ الْبَيْعَتَيْنِ وَقَاتَلَ بِدَرٍ وَحَيْنٍ وَلَمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَنَا ابْنُ
صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ النَّبِيِّينَ وَقَامِعِ الْمُلْحِدِينَ وَيَعْسُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَنُورِ
الْمُجَاهِدِينَ وَزَيْنِ الْعَابِدِينَ وَتَاجِ الْبَكَائِينَ وَأَصْبَرِ الصَّابِرِينَ وَأَفْضَلِ الْقَائِمِينَ
مَنْ آلِ يَاسِينَ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَنَا ابْنُ الْمُؤَيَّدِ بِجِبْرَائِيلَ الْمَنْصُورِ
بِمِيكَائِيلَ، أَنَا ابْنُ الْمُحَامِي عَنْ حَرَمِ الْمُسْلِمِينَ وَقَاتِلِ الْمَارِقِينَ وَالنَّاكِثِينَ
وَالْقَاسِطِينَ وَالْمُجَاهِدِ أَعْدَاؤَهُ النَّاصِبِينَ، وَأَفْخَرِ مَنْ مَشَى مِنْ قَرِيشٍ
أَجْمَعِينَ، وَأَوَّلِ مَنْ أَجَابَ وَإِسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوَّلِ

السابقين وقاصم المعتدين ومبيد المشركين وسَهْمٌ من مرامي الله على المنافقين ولسان كلمة العابدين وناصر دين الله وولي أمر الله ولسان حكمة الله وعَيْبَةُ عِلْمِهِ، سَمَحٌ سَخِي، بهيُّ بَهْلُولٍ زَكِي، أَبْطَحِيٌّ رَضِي، مقدام هُمَام صابِرٌ صَوَام، مهذَّبٌ قَوَّام، قاطع الأصلاب ومفرق الأحزاب، أربطهم عِناً، وأثبتهم جِناً وأمضاهم عزيمة وأشدّهم شكيمة، أسد باسل يطحنهم في الحروب اذا ازدلفت الأسيّة وقربت الأعنة طحن الرحي، ويذروهم ذرو الرياح الهشيم، ليث الحجاز وكبش العراق، مكّي مدني حنفي، عَقَبِي بدريُّ أَحْدِيٌّ شَجَرِيٌّ مهاجري، من العرب سيدها ومن الوغى ليثها وارثُ المشعرين وأبو السبطين ذاك جدي علي بن أبي طالب، ثم قال: أنا ابن فاطمة الزهراء أنا ابن سيدة النساء، فلم يزل يقول: أنا أنا حتى ضَجَّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه كلامه، فلما قال: المؤذن الله أكبر، قال علي بن الحسين: لا شيء أكبر من الله، ولما قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي بن الحسين: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي، ولما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمداً هذا جدّي أم جدّك يا يزيد، فإن زعمت أنه جدك فقد كذبتَ وأفتريتَ، وإن زعمت أنه جدي فلمَ قتلته ذريته))^(١).

ومن خلال هذه الخطبة يبين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للرأي العام في الشام طبيعة العلاقة بين الثائر بكر بلاء وبين الخلافة الأموية، ومدى

(١) الصفهاني، مقاتل الطالبين، ٨٠ وما بعدها؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ٦٩/٢ - ٧٠؛

الطبرسي، الاحتجاج، ٣٩/٢؛ العامل، أعيان الشيعة، ٣٨٢/٤.

علاقة كل منهما بالإسلام وبرسول الإسلام، ليزيل التضليل والغموض الذي قد تمارسه السلطة على أولئك الناس.

وبعد الانتهاء من الخطبة أمر يزيد بإنزال النسوة في دار معزولة بصحبة علي بن الحسين (عليه السلام) ^(١).

وبعد أيام أمر بتجهيزهم وإرسالهم إلى المدينة ^(٢)، فعاد علي بن الحسين (عليه السلام) بالركب بعد مرورهم بكرلاء حتى وصلوا المدينة المنورة.

ثالثاً: خطبة الإمام (عليه السلام) في المدينة المنورة

ولما وصلت الأخبار للمدينة المنورة بقدوم الركب الهاشمي هرعوا إليهم لاستقبالهم رجالاً ونساءً وأطفالاً ^(٣)، فوقف بهم علي بن الحسين خطيباً ليين لهم موقفه من ذلك فقال:

((الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين الذي بُعدَ فارتفع في السموات العلى وقرب فشَهِدَ النجوى، نحمده على عظام الأمور وفجائع الدهور، وألم الفجائع ومضاضة اللواذع وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاظة الكاظة الفادحة الجائحة، أيها القوم أن الله وله الحمد إبتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله وعترته وسُبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية، أيها الناس أي رجالات منكم

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٥/٦.

(٢) انظر /

الدينوري، الأخبار الطوال، ٢٦١.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٨/٦.

يسرون بعد قتله، أم أي فؤاد لا يحزن من أجله، أم أي عين منكم تحبس دمعها وتطمئن عن إنهمالها فقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسموات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان في لجج البحار والملائكة المقربون وأهل السموات أجمعون. أيها الناس أي قلب لا يُصدع لقتله أم أي فؤاد لا يحزن إليه أم أي سمع يسمع هذه الثلثة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم.

أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين عن الأبصار كأنا أولاد تُرك أو كابل من غير جُرم إجترمناه ولا مكروه ارتكبناه وثلثة في الإسلام ثلمناها ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن في هذا إلا اختلاق، والله لو أن النبي (ﷺ) تقدم إليهم في قبائلنا كما تقدم لهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها واكضها وأفظعها وأمرها وأفدحها فعند الله نحتسب فيما أصبنا وما بلغ منا انه عزيز ذو انتقام))^(١).

رابعاً: رسالة الإمام (عليه السلام) إلى الزهري:

ولم تشن واقعة الطف الأليمة عزم الإمام (عليه السلام) وتوضيح موقفه من السياسة الأموية بصورة صريحة كما في خطبه المتقدمة في الكوفة والشام والمدنية، وازداد الموقف صرامة بعد واقعة الحرة وهدم الكعبة، ولربما كان لخطبته تلك بعض الآثار في إستنهاض حركات التوايين والمختار وعبد الله

(١) أنظر /

العالمي، أعيان الشيعة، ٣٨٦/٤ وما بعدها ؛ العالمي، لوايع الأشجان، ٢٤١، ٢٤٢ ؛ الحائري، بلاغة الإمام علي بن الحسين، ١١٢.

بن الزبير والحرّة، حتّى وإن كان موقف الإمام ينتابه بعض الغموض في بعضها وكان يقف بعيداً عن الأضواء والظهور بالتأييد للبعض الآخر ولكن سيرته وعدم تأييده للأمويين ورجالاتهم يعطي لتلك الحركات سبباً لكسب بعض الناس بحجة الثأر لشهداء الطف ... ويظهر ذلك جلياً برسائله التي بعثها للزهرى حيث يَعْظُهُ بالابتعاد عن تأييده للأمويين وسيره بركابهم حيث قال (عليه السلام):

((كفانا الله وإياك من الفتن ورحمك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك فقد أثقلتك نعم الله بما أصحَّ من بدنك وأطال من عمرك وقامت عليك حجج الله بما حمّلك من كتابه وفقهك في دينه وعرفك من سنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وفرض لك في كل نعمة أنعم بها عليك وفي كل حجة احتج بها عليك الفرض فما قضى إلا ابتلى شكرك في ذلك وأبدى فيه فضلك عليك فقال: [لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ]^(١)، فانظر أي رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن نعمه عليك كيف رعيته وعن حججه عليك كيف قضيتها ولا تحسبن الله قابلاً منك بالتعذير ولا راضياً منك بالتقصير، هيهات، هيهات ليس كذلك، أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: [لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ]^(٢)، وإعلم أن أدنى ما كتمته وأخف ما احتملته إن آنست وحشة الظالم، وسهلت له طريق الغي بدُّنوك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت، فما

(١) إبراهيم / ٧.

(٢) آل عمران / ١٨٧.

أخوفني أن تكون تبوء بإثمك غداً مع الخونة وأن تسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك ودونت ممن لم يرُدُّ على أحد حقاً ولم ترد باطلاً حين أدناك وأحببت من حادَّ الله، أوليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رَحَى مظلهم وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم وسُلماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيِّهم، سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجاهل إليهم، فلم يبلغ أخصَّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاب الخاصة والعامة إليهم فما أقلَّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسرَ ما عمَّروا لك، فكيف ما خرَّبوا عليك. فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول.

وانظر كيف شُكِّرَكَ لِمَنْ غَدَاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيراً وَكَبِيراً. فما أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه: [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا] ^(١).

إنك لست في دار مقام. أنت في دار قد إذنت برحيل، فما بقاء المرء بعد قرنائه. طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، ويا بؤس لمن يموت وتبقى ذنوبه من بعده. إحذر فقد نبئت. وبادر فقد أحلت. إنك تقابل من لا يجهل. وإن الذي يحفظ عليك لا يغفل. تجهز فقد دنا منك سفر بعيد وداو ذنبك فقد دخله سقم شديد.

ولا تحسب أنني أردت توبيخك وتعنيفك وتعيرك ، لكنني أردت أن ينعش الله ما قد فات من رأيك ويرد إليك ما عذب من دينك وذكرت قول الله تعالى في كتابه: [وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ] ^(١).

أغفلت ذكر من مضى من أسلافك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب. أنظر هل إبتلوا بمثل ما ابتليت، أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه، أم هل تراهم ذكرت خيراً عملوه أو علمت شيئاً جهلوه، بل حظيت بما حلَّ من حالك في صدور العامة وكلفهم بك، إذ صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك. إن أحللت أحلوا وإن حرمت حرموا، وليس ذلك عندك ولكن أظهرهم عليك رغبتهم فيما لديك، ذهاب علمائهم وغلبة الجهل عليك وعليهم وحب الرئاسة وطلب الدنيا منك ومنهم، أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة وما الناس فيه من البلاء والفتنة، وقد إبتليتهم وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا، فتاقت نفوسهم إلى أن يبلغوا من العلم ما بلغت، أو يدركوا به مثل الذي أدركت، فوقعوا منك في بحر لا يدرك عمقه وفي بلاء لا يقدر قدره. فالله لنا ولك وهو المستعان.

أما بعد فأعرض عن كل ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسما لهم ، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب ولا تفتنهم الدنيا ولا يفتنون بها، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا. فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ مع كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك، فكيف يسلم الحدث في سنّه، الجاهل في علمه المأفون في رأيه ،

المدخول في عقله. إنا لله وإنا إليه راجعون. على من المَعْوَل ؟ وعند من المستعتب؟ نشكو إلى الله بثنا وما نرى فيك ونحتسب عند الله مصيبتنا بك. فانظر كيف شُكركَ لمن غَذَاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا، وكيف إعظامك لمن جعلك بدينه في الناس جميلاً، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيراً، وكيف قربك أو بعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً ذليلاً. مالك لا تنتبه من نعستك وتستقيل من عثرتك فتقول. والله ما قمت لله مقاماً واحداً أحييت به له ديناً أو أمت له فيه باطلاً، فهذا شكرك من استحملك. ما أخوفني أن تكون كمن قال الله تعالى في كتابه: [أَصَاغُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبِعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا] ^(١)، ما استحملك كتابه واستودعك علمه فأضعته، فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام)) ^(٢).

ويضاف محتوى هذه الرسالة إلى موقف الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) السياسي تجاه السياسة الأموية ومن سار على نهجها ومن خدمها وأعانها، ومعرفته بما تنويه تلك السياسة بتقريبها للعلماء والفقههاء من أجل إعطاء صبغة دينية لخلافتها ولعله كان مشيراً إلى قوله تعالى: [وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ] ^(٣)، وذلك بقوله للزهري ((وإعلم إن أدنى ما كتمت وأخف ما احتملت إن آنست وحشة الظالم، وسهلت له طريق

(١) مريم / ٥٩ .

(٢) الحراني، تحف العقول ١٩٨ وما بعدها ؛ الحائري، بلاغة الإمام علي بن الحسين، ١٢٢ وما بعدها .

(٣) هود / ١١٣ .

الغي بدنوك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دعيت، فما أخوفني أن تكون تبوء بإثمك غداً مع الخونة))، ولعل هناك مواقف أكثر من ذلك مع غير الزهري من العلماء والفقهاء ولربما في خطبه ومحاضراته في المسجد أو عقيب اجتماعاته مع طلبته، دعوات أخرى أججت الروح الثورية لدى المسلمين....

ثم تمثلت تلك الصورة الثورية عند ولده الإمام زيد الشهيد في ثورته المعروفة.

خامساً: مكاتباته (عليه السلام) مع عبد الملك بن مروان:

وقد كتب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) كتاباً إلى عبد الملك بن مروان رداً منه إليه لتوصية صدرت من عبد الملك بن مروان إلى الحجاج الثقفي برفع الأذى عن بني هاشم وكان (عليه السلام) يقول في كتابه ((بسم الله الرحمن الرحيم: من علي بن الحسين إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أما بعد، فإنك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج في حقنا بني عبد المطلب بما هو كيت وكيت وقد شكر الله لك ذلك وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له من يومه على ناقة له إلى عبد الملك بن مروان وذلك من المدينة المشرفة إلى الشام، فلما وقف عبد الملك على الكتاب وتأمله وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه الذي كتبه إلى الحجاج ووجد مخرج غلام علي بن الحسين موافقاً لمخرج رسوله إلى الحجاج في يوم واحدة وساعة واحدة فعلم صدقه وصلاحه وأنه كوشف بذلك فأرسل

إليه مع غلامه يوفر راحلته دراهم وثياباً وكسوة فاخرة وسيّره إليه من يومه وسأله أن لا يُخلّيه من صالح دعائه^(١).

وكان عبد الملك قد كتب إلى الحجاج بصدد توصيته خيراً ببني هاشم ما نصه: ((بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف أما بعد فانظر في دماء بني عبد المطلب فاجتنبها فإنني رأيت آل أبي سفيان لمّا ولغوا بها لم يلبثوا إلا قليلاً والسلام، وأرسل بالكتاب بعد ان ختمه سرّاً إلى الحجاج وقال له اكتم ذلك، فكوشف علي بن الحسين وقد شكر ذلك لعبد الملك فكتب علي بن الحسين من فوره^(٢))).

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤٧/٣؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١١٩؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٨٦؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٥.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤٧/٣.

كذلك /

ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤٤/٣؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٥.

الفصل الخامس

رحيل الإمام (عليه السلام)

المبحث الأول: وفاته

اختلف المؤرخون في سنة وفاة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، بل اختلفوا أيضاً في اليوم الذي توفي فيه، كذلك في الشهر الذي توفي فيه. فذهب البعض إلى أنّ وفاته كانت يوم السبت^(١)، وقيل ليلة الثلاثاء^(٢)، في الثامن عشر من محرم^(٣) وقيل غير ذلك.

ويكاد أن يكون شهر محرم هو الشهر المرجح عند أغلب المؤرخين الذي صادفت فيه وفاة الإمام (عليه السلام) أما من ذهب إلى إن وفاته كانت في شهر ربيع الأول^(٤)، فهذا بعيد لأنه لم يتفق عليه جمهور المؤرخين وحتى الذين لم يذهبوا إلى تحديد اليوم الذي توفي فيه الإمام حيث ذكروا بأنّ وفاته كانت في أول السنة^(٥) مما يتناسب مع شهر محرم لا مع شهر ربيع الأول.

ولم يقتصر الاختلاف بين المؤرخين على ذكر اليوم والشهر لوفاته، بل اختلفوا في السنة أيضاً فذكروها متراوحة بين ١٠٠/٩٢ هـ

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١٧٥/٤.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٤١/٥.

(٣) البحراني، وفاة الإمام علي بن الحسين، ٣٥.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٧١/١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٤١/٥.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٩٥/٨؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٤١ وما بعدها.

ويرى البعض أن وفاته كانت في سنة (٩٥هـ)^(١)، ويرجح ابن حجر العسقلاني إنَّ وفاة الإمام (عليه السلام) كانت سنة (٩٤هـ) أو (٩٥هـ) لأنه حين قتل أباه الحسين (عليه السلام) كان عمره (٢٣) سنة وكان قُتلُ أبيه يوم الطف سنة (٦١هـ)^(٢).

لكنَّ المُحدِّث نصر بن علي الجهضمي (ت ٢٥٠هـ) صاحب كتاب (تاريخ أهل البيت عليه السلام) الذي تحتمل روايته من قبل الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) - على رأي - يؤكد لنا بأن ولادة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) كانت سنة (٣٨هـ)، حيث كانت وفاته عام (٩٨هـ)، ويؤكد بأن عمره الشريف (عليه السلام) عند وفاته كان ست وخمسين سنة، وكانت ولادته قبل استشهاد جده أمير المؤمنين (عليه السلام) بعامين^(٣).

وعلى هذا يكون عمره الشريف يتراوح بين ٥٦ - ٦٢ عاماً جمعاً لأدلة سنوات الولادة إلى وفاته، على أن أقل عام لولادته هو (٣٨هـ)، وأكثر عام لوفاته هو (١٠٠هـ).

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر شذت عما نقله الجمهور من حيث ولادته، فقد ذكر بعضها أن سنة ولادته كانت (٣٣هـ)^(٤)، وهذا ما ندر.

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٣/١٦٩؛ المفيد، الإرشاد، ٢٨٥؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٤١.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٧/٧.

(٣) الجهضمي، تاريخ أهل البيت (عليه السلام)، ١٠٥.

(٤) انظر / ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٧/٧.

وكانت وفاة الإمام علي بن الحسين في خلافة الوليد بن عبد الملك، ودفن في المدينة المنورة في بقيع الغرقد مع عمه الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)^(١)، وذكر أنه مات مسموماً في عهد الوليد^(٢)، بعد أن دسَّ له السم بنفسه^(٣).

ويذهب صاحب الحقائق عن الصواعق إلى أن الوليد هو الذي قام بِسَمِّهِ حيث دفن مع عمه الحسن (عليه السلام) بالبقيع^(٤).

ويظهر واضحاً بأن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لم يخلو أحد منهم من أذى أو جورٍ قد تعرَّضوا له، ويبدو أنهم (عليهم السلام) لهم في جدهم (عليه السلام) بذلك أسوة حسنة حيث لم يتعرض نبي قط إلى ما تعرض له نبينا (عليهم السلام) من أذى أو ظلم أو تعسف، وصور هذه الأنواع من الأذى ينقلها لنا التاريخ بكثرة كاثرة، هذا ويتميز الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بأنَّ ظلامته كانت متميزة عن غيره من الأئمة (عليهم السلام) كونها حَزَّت في نفسه وتركت أثرها عليه كلما تنفس الصعداء أو كلما قام أو قعد أو أكل وشرب نظراً لما كان لأثر الواقعة الجسيم وما خلفته عليه من أذى أثَّر في أعماقه ومشاعره إضافة لما تعرض له شخصياً من تعذيب وتنكيل من السلطة الأموية الجائرة ((لأن السلطة الأموية ومن يحذو حذوهم ويسير في سيرهم كانت تمنع منعاً شديداً من

(١) المسعودي، مروج الذهب، ١٦٩/٣؛ ابن خلكان وفيات الأعيان، ٤٣١/٢؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١٢٠.

(٢) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٩١؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١٢٠.

(٣) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٦٣.

(٤) عبد الله محمدي، ١٨٨.

نشر وبث تلك الظلامات وبث ما وقع على الإمام السجاد - عليه السلام - من أنواع الجور والجنايات خوفاً من الافتضاح وسترأً على التقمص والاغتصاب))^(١).

أنه رحيل الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عن الدنيا الذي لا يمثل إلا رسم خارطة الطريق أمامنا في معرفة الطريق إلى الله وحرّينا أن نفهم بأن رسالتهم (عليه السلام): ((هي ذات رسالة الأنبياء - عليه السلام - فهي لكل البشر بلا استثناء وجدير بنا أن نكون للبشر بلا إستثناء، جدير بنا أن نروض أنفسنا على منح الحب والود للجميع، وان نتحلّى بأخلاق الأنبياء الذين كانوا يقابلون الجهل بالحلم ويفتحون صدورهم لكل من يحيط بهم لأنّ قلوبهم لا تعرف غير الحب والرحمة والرأفة لذلك نجحوا في إبلاغ رسالتهم))^(٢).

لقد أجاد الشاعر بوصفه هذا الرحيل الأبدي للإمام (عليه السلام) حيث كان

يمثل صورةً من صور الوجود الإنساني قائلاً^(٣):

قَضَى السَّجَادُ مَظْلُوماً بَسْمً	فما طيبُ الكرى لي من مُباح
قَضَى السَّجَادُ فَالْصَّدَقَاتُ سَرّاً	تقيم عليه مأذبةً النِجاح
قَضَى كَنْزُ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى	وبَحْرُ الْجُودِ جَفَّ لَدَى الْأَجَاحِ
قَضَى عَيْنُ الْحَيَاةِ فَأَيُّ عَيْنٍ	عُقَيْبُ الْعَيْنِ تَبْخَلُ بِالصَّفَاحِ
قَضَى قُطْبُ الْوُجُودِ فَكَيْفَ تَبْقَى	بنا الأفلاكُ دائمةً السَّباحِ

(١) هاشم الناجي الموسوي الجزائري، أعداء الإمام السجاد (عليه السلام) في دار الدنيا، ٦/٢٣.

(٢) حسين ابو هلاله، رزايا الحسين وأهل بيته (عليه السلام)، ٤ وما بعدها .

(٣) حسين بن علي بن سليمان البلادي البحراني القطيفي القديحي، وفاة الإمام السجاد

(عليه السلام)، ٣٤.

بَكَتُهُ الْجَامِدَاتُ فَلَا عَجِيبُ بِأَنْ تَبْكِي بِالسِّنَةِ فَصَاح
وَتَبْكِيهِ الْوَفُودُ وَمَا عَلَيْهَا وَقَدْ فَقَدَ الْمَرْجَى مِنْ جُنَاح
وَيَبْكِيهِ السَّمَاحُ بَغَيْرِ بَدَعٍ إِذَا يَبْكِي السَّمَاحُ عَلَى السَّمَاح
كما أن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) حزن عليه حزناً شديداً عند وفاته،
ويذكر بأن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أوصاه بما أوصاه به أبوه (عليه السلام)
فقال: يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَظَلَمَ مِنْ لَا يَجِدُ نَاصِراً عَلَيْكَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثاً،
ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَرَأَ [إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ] و[إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً]، وَقَالَ:
[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ
فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ] ^(١).

وهذه الأبيات تفصح عما قاله الإمام الباقر (عليه السلام) بوفاة الإمام زين
العابدين (عليه السلام) ^(٢).

قَضَى مَيِّتاً بِالسَّمِّ رُوحِي فِدَائِهِ وَأَهْلِي وَمَالِي وَالْبَنُونَ لَهُ فِدَى
قَضَى بِنَجِيعِ السَّمِّ مِنْ كَيْدِ ظَالِمٍ تَعَدَّى عَلَى أَهْلِ النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى
سَأَبَكِيهِ بِالْدمْعِ الْهَتُونِ صَبَابَةً وَأَهْجُرُ لَذَاتِ الْهَنَا مُدَّةَ الْمَدَى
فِيَا لَكَ مِنْ رِزْءٍ عَظِيمٍ وَفَادِحٍ أَهْدَى ذُرَى الْعِلْيَاءِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى

(١) حسين بن علي بن سليمان البلادي البحراني القطيفي القديحي، وفاة الإمام السجاد (عليه السلام)، ٣٥.

(٢) الزمر / ٧٤.

وانظر/ حسين بن علي بن سليمان البلادي البحراني القطيفي القديحي، وفاة الإمام السجاد (عليه السلام)، ٣٣، وما بعدها.

وكأني بالشاعر الذي يستنهض إمام العصر (عج) لدك فلول من قتل
الصالحين من آل البيت (عليهم السلام) وسبي ذراريهم قائلاً^(١):

يَا إِمَامَ الْعَصْرِ ... أَيَا سَيفَ السَّمَاءِ
هَزَزَهُ زُ الْأَرْضِ ... فَقَدْ حَمَّ الْقَضَاءِ
وَتَعَصَّبَ بِدَمَاءِ الْأَبْرِيَاءِ الشَّهْدَاءِ
أَيُّهَا الثَّائِرُ ... يَا بَنِي الْحُسَيْنِ!
جَدُّ الْعَهْدِ ... بِبَدْرِ وَخُنَيْنِ
وَبُطُولَاتِ عَلِيٍّ ... وَحُسَيْنِ
أنه استنهض للمروءة والعظمة والكبرياء، ووصف رائع لاستيضاح
معاني الشهامة يَوْمَ تَفْصَحُ السَّمَاءُ عَنْ إنبلاج نُورِ عُتْرَةِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي
أرجاء المعمورة بهيبتها الجديدة.

(١) حسين الشيرازي، الطغاة (ديوان شعر)، ٨٤ وما بعدها.

المبحث الثاني: صفاته وملبسه

ذكر المؤرخون بأنَّ الناس كانت تتعجب من جمال وجه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، وقد شابهَ جدُّه أمير المؤمنين (عليه السلام) بتلك الصفة حيث كان جدُّه علي بن أبي طالب (عليه السلام) ((من أحسن الناس وجهاً))^(١) فكذلك كان علي بن الحسين أيضاً ((من أحسن الناس وجهاً))^(٢).

فقد حَجَّ علي بن الحسين (عليه السلام) فاستبهرَ الناسُ من جماله وتشوَّقوا له وجعلوا يقولون: مَنْ هذا؟ مَنْ هذا؟ تعظيماً له وإجلالاً لمرتبه^(٣) ولعل في هذا القول إشارة لما ذكره الفرزدق في ميمته المشهورة في مدح الإمام (عليه السلام).

يَنشَقُّ نورُ الهدى عَنْ صُبْحِ غُرَّتِهِ كالشَّمْسِ يَنجَابُ عَنْ إِسْراقِها الظَّلَمُ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسولِ اللهِ نَبْعَتُهُ طابَتْ عِناصِرُهُ والخَيْمُ والشَّيْمُ^(٤)

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩٩/٣.

(٢) القندوزي، ينابيع المودة، ٤٥٥.

(٣) المفيد، الإرشاد، ٢٩٠.

(٤) ذكرت هذه القصيدة الشهيرة للفرزدق في مدح الإمام (عليه السلام) بعشرات من المصادر القديمة وهي تقطع في سبقها وشهرتها بحق الإمام (عليه السلام) ومنها:

المفيد، الإرشاد، ٢٩١؛ أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٩/٣؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٨ وما بعدها؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٨٩؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١١٨؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٧.

وقد ذكر المؤرخون له أوصافاً جسمية فقالوا ((وصفته (عليه السلام) أسمر رقيق قصير))^(١)، وقيل: ((كان (عليه السلام) شاحب الوجه قصير نحيف))^(٢) ((فكان إذا مشى لا تجاوز يده فخذة ولا يخطر بيده))^(٣).

وقد تركت كثرة العبادة والسجود علاماتاً في جسمه عُدَّت من الصفات المميزة له عن غيره، فكان يسمى ذو الثفتات ((فكان طول السجود قد أثر في ثفتاته))^(٤).

ويُذكر إنَّ بدنه قد تميَّز بصفاتٍ من تلك العبادة وبسببها ((رمضت عيناه ودبرت جبهته، وإنخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة))^(٥) وكانت تلك العبادة مستوحاة من عبادة جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان ينقل عن علي بن الحسين حين يُسأل عن كثرة عبادته يقول: ((من يقوى على عبادة عليّ (عليه السلام))^(٦).

وقد شد الجاحظ في حصر نسبة أربعة أبيات منها بالإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وقال أن تلك الأبيات قيلت في غيره أو به وسمى فيمن قيلت فيه من غيره ومن ضمنهم ولده محمد الباقر (عليه السلام)، وهذا بعيد انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ٣٧٠/١.

(١) ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٨٣.

(٢) الشبلنجي، نور الابصار، ١٥٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١٦٠/٥.

(٤) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٥.

(٥) المفيد، الإرشاد، ٢٨٧.

(٦) المفيد، الإرشاد، ٢٨٧.

ومما يؤكد أن علي بن الحسين (عليه السلام) كان كذلك بكاء الزهري حين كان يذكر عبادته وإذا سئل الزهري عن ذلك قال ((زين العابدين، زين العابدين!!!))^(١)

وكان علي بن الحسين يُخَضَّبُ بالحناء والكتم أمّا لباسه (عليه السلام) فكان كساء خَزٍّ أصفر يلبسه يوم الجمعة ويروى أن مستقةً أُهديت له من العراق فكان يلبسها وإذا أراد أن يصلي نزعها، وفي رواية كانت له سبنجونة من ثعالب يلبسها فإذا صلى نزعها، وقيل كان له ((طيلساناً كردياً غليظاً وخفّين يمانيين غليظين)).

وقيل انه (عليه السلام) كان يشتري كساء الخز بخمسين ديناراً ثم يقضي شتائه فيه ويبيعه ويتصدق بثمنه ويصيّف في ثوبين من ثياب مصر أشمونيين بدينار ويلبس ما بين ذا وذا من اللبوس^(٢) وكان يقول: [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ....]^(٣).

وكان (عليه السلام) يعتمُّ ويتطيب بعد الغُسل إذا أراد الإحرام وقيل كانت له قلنسوة بيضاء لاطئة. وكان إذا إعتمَّ أرخى عمامته خلف ظهره. وكان إذا دخل إلى الكنيف يرّتدي ثوباً خاصاً لأنه كان يرى الذباب يقع على العذرات ثم يطرن فيقعن على جلد الرجل ثم قال بعد ذلك لا ينبغي لي شيء لا يسع الناس^(٤).

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٥/٣.

(٢) انظر تفسير ذلك في: ابن سعد، الطبقات، ١٦١/٥؛ المزني، تهذيب الكمال، ٣٩٨/٢٠.

(٣) الاعراف: ٣٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات: ١٦٢/٥.

المبحث الثالث: ما قيل في الإمام (عليه السلام)

أولاً: أقوال الأقدمين فيه

لم يختلف إثنان على أن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، هو زين العابدين وخير العباد، وسيد الساجدين، وقد أفنى حياته تعلقاً برَّبِّه، حتى أَصْبَحَتْ سِمَاتِهِ تَعْبُرُ عَنْ ذَلِكَ التَّعَلُّقِ، وَنَقَلَ عَنْهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ بِتِلْكَ السَّمَاتِ حَتَّى عَادَ مُقْتَرِناً بِالْعِبَادَةِ وَأَصْبَحَتْ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَالتَّوَسُّلُ إِلَيْهِ مِنْ أَقْرَبِ تِلْكَ الصِّفَاتِ إِلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَلْتَقِيَ بِرَبِّهِ يَتَوَضَّأُ، وَإِذَا قَامَ لِلْوُضُوءِ لِتَأْدِيَةِ الصَّلَاةِ أَخَذَتْهُ رَغْدَةٌ، فَيَسْأَلُهُ أَهْلُهُ مَا هَذَا الَّذِي يَغْشَاكَ فَيَقُولُ أَتَدْرُونَ لِمَنْ أَتَأَهَّبُ لِلْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَنْ أَنَا جِي^(١)، وَكَانَتْ عِبَادَةُ الْإِمَامِ وَنُسْكَهُ وَشَرَفُهُ وَسُودَدُهُ مَدْعَاً لِكُلِّ مَنْ عَرَفَهُ أَنْ يَتَرْجِمَ لَهُ وَلَوْ بِقَلِيلِ قَوْلَةٍ حَقٍّ، فَاخْتَلَفَتْ تِلْكَ الْأَقْوَالُ بِاخْتِلَافِ قَائِلِيهَا بِتَعْرِيفِهِ بِالْفَضْلِ وَالشَّرَفِ. وَسَنَذْكُرُ جُمُوهَرَةً مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ:

روي عن أبي جعفر (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ عَنْهُ فِي الْفَضْلِ: حَسْبُنَا أَنْ يَكُونَ مِنْ صَالِحِ قَوْمِنَا^(٢) وَقَالَ عَنْهُ وَلَدَهُ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ (عليه السلام): ((لَمْ يَذْكُرْ أَبِي نِعْمَةً لِلَّهِ إِلَّا سَجَدَ وَلَا آيَةً قُرْآنِيَّةً فِيهَا سَجْدَةٌ إِلَّا سَجَدَ وَلَا دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ سَوْءً إِلَّا سَجَدَ

كذلك / أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٣/٣ ؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٧.

(١) انظر / ابن سعد، الطبقات، ١٦٠/٥ ؛ المفيد، الإرشاد، ٢٨٧ ؛ الغزالي، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، ٦٤ ؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٥ ؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ١٨٣.

(٢) المفيد، الإرشاد، ٢٨٧.

ولا فَرَّغَ من صلاةٍ مفروضةٍ إِلَّا سَجَدَ ولا وَقَفَ لِإِصْلَاحِ بَيْنِ اثْنَيْنِ إِلَّا
سَجَدَ))^(١).

وروي عن طاووس إنه كان داخلاً الجِبر ليلاً قال: فإذا علي بن
الحسين (عليه السلام) قد دخل وقام يصلي فسجد فسمعتة يقول أثناء السجود:
عبدك بفنائك ، فقيرك بفنائك ، وسائلك بفنائك. قال طاووس: فما دعوت
بهنَّ في كربٍ إِلَّا فَرَّجَ عني^(٢).

وفيما يلي شذرات من الأقوال التي صدرت بحق الإمام من الملوك
والحكام والفقهاء والعلماء على اختلاف طبائعهم وميولهم تجاه الإمام، وما
هي إلا أقوال صدرت من مختلف الشرائع البشرية ، وإتفقت بالاعتراف
إحساناً للإمام ،ويمكن أن نقول بأنَّ هذه الشرائع من الناس قد رفعت هذه
الأقوال كلافات خُزِنَ واعترافٍ بالصنيع للإمام (عليه السلام) ورسائل مواساة لفقد
الإمام إعترافاً بفضلِهِ وحقه تجاه الله والإنسانية والنُّبُل والعفة.

١- قال عنه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (ت ١٥٨ هـ) في كتابه ،
إلى محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب
وأخيه إبراهيم ذو النفس الزكية قائلاً له: ((ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله
(صلى الله عليه وآله) أفضل من علي بن الحسين ولهُوَ خير من جدك حسن بن حسن وما
كان فيكم بَعْدَهُ مثل ابنه محمد بن علي وجدَّته أم ولد ولهُوَ خير من أبيك
ولا مثل ابنه جعفر وجدَّته أم ولده لهو خير منك))^(٣).

(١) الصدوق، معاني الأخبار، ٢٤.

(٢) المفيد، الإرشاد، ٢٨٧.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢١٢/٩.

٢- ذكره الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ) فقال: (ذهب سراج الدنيا، وجمال الإسلام، وزين العابدين))^(١).

٣- من قول لسعيد بن المسيب: ((ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين (عليه السلام) وما رأيت قط إلا مقت نفسي وما رأيت ضاحكاً يوماً قط))^(٢).

٤- قال عن كلامه (عليه السلام) ملك الروم حينما إستنصره عبد الملك بن مروان بالرد عليه، فرَدَّ الإمام على ملك الروم، فقال ملك الروم عند قرائته ردَّ الإمام ((ليس هذا من كلامه -يعني كلام عبد الملك- هذا من كلام عترة نبي))^(٣).

٥- وقال عنه ابن حجر: ((وزين العابدين هذا هو الذي خَلَفَ أباه علماً وزُهداً وعبادةً))^(٤)، ((وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح))^(٥).

٦- أما أبو نعيم فيرى أن: ((علي بن الحسين بن أبي طالب زين العابدين ومنار القانتين، وكان عابداً وفيّاً وجواداً حفيّاً))^(٦).

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤٨/٣.

وانظر / عبد الله عبد العزيز الجلي، التاريخ الأمين في سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام)،

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤٦/٣.

(٣) م . ، ٤٧/٣.

(٤) ابن حجر الصواعق المحرقة: ١١٩ وما بعدها.

(٥) م . ن، ١١٩ وما بعدها.

(٦) حلية الأولياء، ١٣٣/٣.

٧- وصفه ابن خَلَّكان بأنه: ((أحد الأئمة الاثني عشر ومن سادات التابعين))^(١).

٨- وروي عن ابن الصباغ المالكي بأنَّ الإمام (عليه السلام): ((كان يتصدق سرّاً وكان يقول صدقة السر تطفئ غضب الرب))^(٢).

٩- قال الشيخ المفيد في الأمالي عن أبي حمزة الثمالي: ((ما سمعت بأحد قط كان أزهد من علي بن الحسين (عليه السلام) إذا تكلم في الزهد ووعظ أبكى من حضرته))^(٣).

١٠- نعته العلامة محمد بن طلحة الشافعي بأنه ((زين العابدين، وقدوة الزاهدين، وإمام المؤمنين، وسيد المتقين، وسمُّه تشهد له أنه من سُلالة رسول الله (ﷺ) وثبت مقام قربه من الله زُلْفى وثفاته^(٤)، تسجل بكثرة صلاته، وتهجُّده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درَّت له أخلاق التقوى، فتفوقها، وأشرقت له أنوار التأييد فاهتدى بها، وألْفَتْهُ أوراد العبادة فأنسَ بصحبته، وخالفته وظائف الطاعة فتحلَّى بِحِلَّتِها، طالما إتَّخَذَ الليل مطيةً ركبها لقطع طريق الآخرة وظمأ الهواجر دليلاً إسترشد به في

(١) وفيات الأعيان، ٤٢٩/٢.

(٢) الفصول المهمة: ١٨٤.

(٣) ١٢٤ وما بعدها.

(٤) الثفّنات: هي الآثار التي تترك في مواقع السجود من كثرة الصلاة وسميت ثفّنات نسبة إلى ثفّنات البعير لبروزها في أرجله.

مفازة المسافرة وله من الخوارق والكرامات، ما شُوهِدَ بالأعين الباصرة، وثبت بالآثار المتوارثة، وشهدَ لَهُ أَنَّهُ من ملوك الآخرة^(١).

١١- وقال عنه الزهري^(*): ((علي بن الحسين أعظم الناس عليّ منةً))^(٢)

، حينما قال له (عليه السلام): يا ابن شهاب قنوطك أشد من ذنبك فاتق الله واستغفره وإبعث إلى أهله بالدية، وكان ابن شهاب قد أصاب دماً خطأً فخاف وضرب له فسطاطاً وقد مرَّ به الإمام فذكر له ذلك^(٣) وقيل أن الإمام طلب حضوره إليه عندما إستجار به في حل قضيته^(٤) لذلك فكان الزهري إذا ذكر الإمام (عليه السلام) يبكي ويقول زين العابدين^(٥).

١٢- وقال عنه الزهري: ((حدثنا علي بن الحسين (عليه السلام) وكان أفضل هاشمي أدركناه))^(٦).

(١) مطالب السؤل، ٤١/٢.

(*) الزهري: هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد بن شهاب الزهري المدني المتوفي سنة ١٢٤هـ، روى عنه مالك بن أنس وابن أبي ذئب، وسفيان بن عيينه، والليث بن سعد والأوزاعي وغيرهم، وهو من تلاميذ الإمام زين العابدين وولده الباقر (عليه السلام)، والزهري من كبار العلماء ممن أحتجَّ به أصحاب الصحاح.

انظر / عبد الله عبد العزيز الجليبي، الوافر في سيرة الإمام الباقر (عليه السلام)، ٢١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١٥٨/٥.

(٣) م. ن، ١٥٨/٥.

(٤) انظر / ابن عبد ربه: العقد الفريد: ١٤٤/٣ وما بعدها في ذكر تفاصيل تلك الحادثة التي إرتكب فيها الزهري ذلك القتل غير العمد والذي أفتى جميع الفقهاء حينذاك بتكفير الزهري، وحين عُرض الموضوع على الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أخبره بأنَّ لذنبه هذا توبة.

(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٥/٣؛ القندوزي، ينابيع المودة، ٤٥٣.

(٦) المفيد، الارشاد، ٢٨٦.

١٣- وذكره المبرد في الكامل قائلاً: ((قيل لعلي بن الحسين (عليه السلام): ما بالك اذا سافرت كتبت نسبك أهل الرفقة؟ فقال: أكره أن آخذ برسول الله (ﷺ) فلا أعطي مثله))^(١).

١٤- وقال عنه سعيد بن المسيب كذلك ((هذا الذي لا يسع مسلماً أن يجهله، هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب))^(٢).

١٥- وذكره ابن الصباغ المالكي في فصوله بصدد شكره لله تعالى إنه ((دخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله (ﷺ) يعودونه فقالوا: كيف أصبحت يا ابن رسول الله فدتك أنفسنا، قال: في عافية والله المَحمود على ذلك))^(٣).

١٦- ويروى عنه إن حسن بن حسن قد شتمه يوماً فلم يكلمه الإمام (عليه السلام) وذهب إلى بيته قائلاً ((يا أخي إنك كنت قد وقفت عليّ آنفاً وقلت، فإن كنت قلت ما في حق فأنا أستغفر الله منه وإن قلت ما ليس في غفر الله لك، قال: فَقَبِّلَ الرَّجُلُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وقال: بلى قلتُ فيكَ ما ليس فيكَ وأنا أحقُّ به))^(٤).

١٧- وقال عنه ابن عباس حين دخل عليه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، ((مرحبا بالحبيب ابن الحبيب))^(٥).

(١) ٣٢٢/١.

(٢) ابن طولون، الشذرات الذهبية، ٧٧.

(٣) الفصول المهمة، ١٨٨.

(٤) المفيد، الإرشاد، ٢٨٨ وما بعدها؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ١٥٧/٥.

١٨- وقال بِحَقِّهِ بعض الأشراف إذ ذكر عنده علي بن الحسين (عليه السلام) ((يود الناس كُلُّهُمْ أَنْ أمهاتهم إماء))^(١)، حيث كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عمر، ففاقوا الناس فقهاً وورعاً، فَرَغِبَ الناس في السراري^(٢).

١٩- وقال عنه سفيان بن عيينه عن ابن شهاب الزهري واصفاً له : ((وحدثنا علي بن الحسين (عليه السلام) وكان أفضل هاشميٍّ أدركناه))^(٣).

٢٠- ونقل عن الزهري قوله: ((لم أدرك أحداً من أهل هذا البيت - يعني بيت النبي (صلى الله عليه وآله) - أفضل من علي بن الحسين))^(٤).

٢١- وقال الزهري كذلك ((ما رأيتُ قُرَشِيًّا أَفْضَلَ مِنْهُ))^(٥).

٢٢- ويروى أَنَّ الزهري بكى حينما رآه مصفداً بالأغلال وإستأذن بأن يدخل عليه ويسلّم فأذن له، قال: فبكيت وقلت: وددت اني مكانك وأنت سالم^(٦).

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤٦/٣

(٢) ابن طولون، الشذرات الذهبية، ٧٧.

(٣) المفيد، الإرشاد، ٢٨٦.

(٤) م . ن ، ٢٨٨

(٥) ابن طولون، الشذرات الذهبية، ٧٥؛ القندوزي، ينابيع المودة، ٤٥٣.

(٦) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٥/٣؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٤؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١١٩.

٢٣- وقال عنه مسلم بن عقبة في وقعة الحرة حينما أراد قتله أولاً وسبّه، ثم رفع منزلته وقربّه إليه فسئلَ عن ذلك؟ فقال: ((ما كان ذلك لرأيٍ مِنِّي، لقد ملئ قلبي منه رُعباً))^(١).

٢٤- قالت عنه إحدى النساء الأربعمئة اللواتي آواهنَّ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عنده يوم أُخرجَ بني أمية من المدينة في وقعة الحرة فسألت عن رعاية الإمام (عليه السلام) لها فقالت: ((ما عشتُ والله بينَ أبويِّ مثلَ ذلك التروُّف))^(٢).

٢٥- وقال عنه الجاحظ: ((أمّا علي بن الحسين فالناس على اختلاف مذاهبهم مجمعون على فضله، ولا يشك أحدٌ في تقديمه وإمامته))^(٣).

٢٦- وقال عنه الحافظ الذهبي: ((كان أهلاً للإمامة العظمى، لشرفه وسؤدده، وعلمه، وتألهه، وكَمالِ عقله))^(٤).

٢٧- وقال عنه اليعقوبي: ((كان أفضل الناس وأشدّهم عبادة))^(٥).

٢٨- وقيل عنه: ((كان ثقةً مأموناً كثيرَ الحديث عالياً رفيعاً ورعاً))^(٦).

٢٩- وقيل عنه: ((فضائل زين العابدين ومناقبُه أكثرُ من أن تُحصَرَ))^(٧).

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٨٠/٣.

(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٤٢٧/١.

(٣) القندوزي، ينابيع المودة، ١٥٣.

(٤) سير أعلام النبلاء، ٣٩٨/٤.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ٤٥/٣.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ١٦٤/٥؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٣٣٤.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٣١/٢.

٣٠- وسئل الإمام (عليه السلام) عن كثرة بكائه على أبيه فقال: ((لا تلوموني فإنَّ يعقوب فقد سبطاً من ولده فبكى حتَّى إِبْيَضَتْ عيناه ولم يَعْلَمْ أَنَّهُ مات، وقد نَظَرْتُ إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي في غزاة واحدة، أَفْتَرَوْنَ حزنهم يذهب من قلبي - ويريد بذلك ممن قتل مع أبيه الحسين وولده وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين -))^(١).

٣١- إِنَّ هَيْئَةَ الإمام (عليه السلام) في عظمة شخصه، ((لقد كانت له جَلَالَةٌ عَجِيبَةٌ، وَحَقٌّ لَهُ -والله- ذلك))^(٢).

٣٢- كما انه (عليه السلام) كان: ((من أروع الناس، وأعبدهم وأتقاهم لله عَزَّ وَجَلَّ))^(٣).

٣٣- لقد كان الإمام (زين العابدين هو الذي خلف أباه علماً وزُهداً وعبادةً))^(٤).

٣٤- وقال عنه طاووس اليماني ((إذا توضأ للصلاة يَصْفَرُ لَوْنُهُ فَقِيلَ لَهُ ما هذا الذي نراه يعتريك عند الوضوء فيقول أما تَدْرُونَ مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ))^(٥).

٣٥- وذكره المفيد في أماليه عن أبي حمزة الثمالي إِنَّهُ ((قال يوماً لأصحابه إخواني أوصيكم بدار الآخرة ولا أوصيكم بدار الدنيا فإنكم عليها

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٣٨/٥.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٩٨/٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٤/٩.

(٤) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١١٩.

(٥) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١١٩؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ١٥٤.

حريصون ولها متمسكون ، أما بَلَّغَكُمْ ما قال عيسى ابنُ مريم (عليه السلام) للحواريين قال لهم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ، وقال أيُّكم يبني على موج البحر داراً تلکم الدار الدنيا فلا تتخذوها قراراً)) (١) .

٣٦- وقال عنه ابن خلكان بصدد فضله ((فضائل زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تُحصَرَ)) (٢) .

٣٧- ووصفه المزي في تهذيبه بأنه (عليه السلام) لا يعلمن للدنيا من خير حيث قيل له ((من أعظم الناس خطراً؟ قال: من لم يرضَ الدنيا لنفسه خطراً)) (٣) .

وذكره واصفاً أخلاقه من خلال وصيته لولده: ((يا بُنَيَّ إصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ولا تُحب أخاك إلى الأمر الذي مضرته عليك أكثر من منفعة له)) (٤) .

٣٨- وقد وصفه الإمام مالك قائلاً: ((بلغني أنه كان يُصَلِّي في اليوم والليلة الف ركعة إلى أن مات، قال: وكان يُسمَّى زين العابدين لعبادته)) (٥) .

٣٩- وقال عنه سعيد بن المسيب: ((هذا الذي لا يسع مسلماً أن يجهله هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب)) (٦) .

(١) ٣٥ .

(٢) وفيات الأعيان، ٤٣١/٢ .

(٣) المزي، تهذيب الكمال، ٣٩٨/٢ وما بعدها .

(٤) م . ن ، ٣٩٨/٢ وما بعدها .

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٧١/١ .

(٦) المبرد، الكامل، ٣١١/١ .

ثانياً: أقوال المعاصرين فيه

أما المعاصرون من الكتاب والمؤرخين وممن أدرجوا في مؤلفاتهم ماثر الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) على اختلاف معتقداتهم، فقد ذكروا فيه الكثير وأكدوا ما قيل في حقه من قبل الصالحين من السلف... وسندكر من أقوال المعاصرين من المفكرين والمؤلفين بهذا الصدد ما يلي:

١- قال عنه الكاتب الأديب حسين باقر: ((زين العابدين قدوة لنا في التربية الروحية وطريقة التعامل مع الله والدعاء والابتهاال إليه - وكانت مضامين - العبادة التي برزت في حياته من الدعاء والمناجاة تمثل الجانب النظري من التربية))^(١).

٢- قال عنه الأستاذ عبد الحليم محمود شلتوت: ((نشأ في وسط إيمان متكامل، ونشأ على فطرة موروثة سامية، وتتبع آثار جدّه، وحذا حذو أبيه في صورة كريمة، حتى لقد لُقّبَ بزِين العابدين))^(٢). وقال عنه: ((لقد سار الإمام زين العابدين (عليه السلام) في إطار الوحي فصدق عليه حقاً إنّه حقق الإسلام بمعناه الصادق، ولأنّه حقق الإسلام بمعناه الصادق كان زين العابدين محققاً بذلك قوله تعالى: [وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ]^(٣) (٤)، وقال أيضاً

(١) انظر / حسين باقر، الإمام السجاد، ١٥٩.

(٢) انظر / عبد الحليم محمود شلتوت، سيدنا زين العابدين، ١٦، ٢٧، ١٥٠.

(٣) العلق / ١٩.

(٤) عبد الحليم محمود شلتوت، سيدنا زين العابدين، ٢٧.

((وتسير الحياة بعلي بن الحسين (عليه السلام) ووجهته مرضاة الله ورسوله، وهمّة أن يَفْنِي النفس الأمّارة بالسوء فناءً تاماً، وأن يكون ملائكي الروح))^(١).

٣- وقال عنه العلامة الشيخ باقر شريف القرشي: ((وقد رأى الإمام زين العابدين (عليه السلام) مِخْنَةَ الأمة، وما هي فيه من أخطار مدمرة لوجودها وكيانها، فرفع (عليه السلام) منار العلم ودعا شباب الأمة إلى التحرر من قيود الجهل، ولقد منح الإمام (عليه السلام) آفاقاً مشرقةً من العلم لم يعرفها الناس من ذي قبل))^(٢). وذكره أيضاً بكتاب آخر بصدد خطبته العصماء أمام يزيد ((خطبة الإمام زين العابدين (عليه السلام) خطبة مؤثرة تحدّث فيها بما جرى على آل البيت من القتل والتنكيل والسبي والذل ولم يكن باستطاعة الإمام أن يقوم خطيباً، فقد أحاطت به الأمراض والآلام فاستدعي له بكرسي فجلس عليه))^(٣).

٤- وقال عنه الأستاذ خضير عباس المَحياوي: ((لقد جمع إمامنا صفات عظيمة بقيت نوراً ساطعاً على مرّ العُصور والدهور، فقد جمع بين الحكمة والموعظة، والزهد والعلم والثقة، والصبر، ورسوخ الإيمان بالله، والتواضع، وكثرة العبادة، والإنفاق في سبيل الله، وصفاتٍ أخرى كثيرة، وإنني مهما كتبت عنه فإنني أجد نفسي عاجزاً للإمام بخصاله الجليلة وصفاته العظيمة))^(٤).

(١) م. ن، ١٥٠.

(٢) باقر شريف القرشي، حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ٤١٤/٢.

(٣) باقر شريف القرشي، السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام، ٢٨٥.

(٤) الإمام زين العابدين، رسالة الحقوق، ٣، تقديم المحياوي.

٥- وقال عنه الأستاذ كامل سلمان الجبوري وبصدد ما قيل من كلمات بحق الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): ((حَقُّ لَهَا أَنْ تَفْخَرَ بِالْإِطْرَاءِ عَنْ هَذَا الْإِمَامِ الزَّكِيِّ وَكَيْفَ لَا تَطْرَأُ بِذِكْرِهِ وَهُوَ رَابِعُ الْأُئِمَّةِ وَإِمَامُ الْأُمَّةِ، وَزَيْنُ الْعَابِدِينَ، وَصَاحِبُ السَّيْرَةِ الصَّالِحَةِ، وَالْوَرَعِ وَالتَّقَى، وَالْخُشُوعِ وَالتَّهَجُّدِ، وَالرَّفْعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالصَّدَقِ وَالثِّقَةِ... الخ كيف لَا نَمُدِّحُهُ وَهُوَ ابْنُ الْحُسَيْنِ وَحَفِيدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنِّي لَا فَتَخِرُ أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ كَتَبَ عَنْ هَذَا الْإِمَامِ الْمَصْلُحِ))^(١).

٦- وقال عنه الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل: ((وزين العابدين علي بن الحسين الإمام السجاد ليس في حاجة لأن أجלוه للناس أو -على الأقل- للعارفين به أكثر من معرفتي به، ولكن الذي كان في حاجة لأن يُمَجَّدَ وأن يستعلي إنما هو قلمي ودفتري ومدادي، مِنْ حَيْثُ أَخَذْتُ بِهَذِهِ الْأَدْوَاتِ، أَنْظِمُ فِي سِيرَةِ هَذَا الْبَطْلِ نَظْمًا جَدِيدًا رُبَّمَا أَعْجَبَ عَصْرَنَا، وَإِنْ سَاقَ فِي تَيَّارِهِ، وَلِئِنْ حُقَّ لشيء أن يفخر فقد حُقَّ للْقَلَمِ الَّذِي يَنْظُمُ سِيرَةَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنْ يُمَجَّدَ وَأَنْ يَسْتَعْلِيَ، وَإِنْ يَعْتَزُّ عَلَى الْمَدَادِ وَالْأَقْلَامِ))^(٢).

٧- وقال عنه العلامة هاشم معروف الحسني: ((لقد نشأ علي بن الحسين (عليه السلام) في بيت الله، بيت النبوة، ذلك البيت الذي تحمل في سبيل الله، من الألم والمحن أقصى ما يُمكن أَنْ يَتَصَوَّرَهُ الْإِنْسَانُ، فِي السَّنِينَ الْأُولَى مِنْ طِفْلُوته، كَانَتْ مِخْنَةً جَدَّةُ الْأَعْظَمِ فِي مُحَرَّابِهِ، وَبَعْدَهَا مِخْنَةُ عَمِّهِ الْحَسَنِ،

(١) كامل سلمان الجبوري، الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ٤.

(٢) عبد العزيز سيد الأهل، زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)، ٤.

وجاءت بعد ذلك مِحْنَةُ أبيه الكبرى، التي لم يسلم منها من بنيه غيره، وبقيت آثارها تَحَزُّ في نفسه، حتى لحق بربه، ومع تلك المصائب والمحن التي توالى عليه، وفي ذلك الجو المظلم، الذي عاشه بعد إستهاده أبيه وسبب نساءه وعياله، كان منقطعاً إلى عبادة رَبِّهِ ونَشَرَ تعاليم الإسلام وبيان أحكامه من حلالٍ وحرامٍ^(١).

٨- قال عنه الأستاذ جميل إبراهيم بصدد ما أثر عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أن كلماته تعد من: ((أنفس المواعظ والوصايا والحكم المشهورة، وهذه الآثار القيّمة تعتبر وثائق أدبية وتاريخية وصوفية لها قيمتها العلمية وأهميتها الفكرية لما فيها من ملاحظات وآراء وأفكار ومبادئ صدرت في أهمّ مرحلة من مراحل تاريخنا العربي الزاهر، وتعتبر مرجعاً هاماً لأهل الأدب والفقه والتاريخ والتصوّف والعربية لأنها تشكل عظمة كونها تنسب إلى ألمع شخصية جليّة من آل البيت، وهو الثقة والورع والتقي النقي، العابد المشهور، والزاهد المعروف الإمام علي بن الحسين^(٢))).

٩- وقال عنه الأستاذ عبد الإله عبد العزيز الجبلي: ((نشأ في بيت أبيه الحسين السبط وتعلّم منه ومن أعمامه وعماته من آل البيت الطاهر أعلام الهدى، مبادئ الإسلام بصورتها الصحيحة حيث إستمد منهم مبادئ القرآن والسنة النبوية التي أثّرت في شخصيته منذ بداية نشأته الأولى، مما جعله أفضل أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم وأعبدهم وأكرمهم وأحلمهم

(١) هاشم معروف الحسني، تاريخ الفقه الجعفري، ٢٢٧ وما بعدها.

(٢) جميل إبراهيم حبيب، لمحات من سيرة وأقوال الإمام زين العابدين الزاهد العابد، ٥.

وأصبرهم وأفصحهم وأحسنهم أخلاقاً وأكثرهم صدقة وأرأفهم بالفقراء وأنصحهم للمسلمين وكان مُعظماً مهيباً عندَ القريب والبعيد والولي والعدو))^(١) .

١٠- وقال عنه الأستاذ جميل إبراهيم في كتاب آخر كان (عليه السلام) يجازي المسيء بإحسانه ويقابل الجاني بعفوه، أنهكته العبادة كأنه شيء بالي، وقد وسَمَ السجود جبهته وأنفه وهو باب من أبواب الله، وكان ذو تاريخ حافل بالزهد والورع ودمائة الخلق، سيداً من سادات بني هاشم، وإماماً مقدماً في العلم والدين، وهو الإمام الكبير القدر، الكثير الخير، له كرامات ظاهرة ومناقب باهرة جمع من الفقه والدين والنسك والتقوى والحكمة والصبر ما لا يزيد عليه))^(٢) .

١١- وقال عنه الشيخ محمد حسن آل ياسين بصدد إيواء الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لمن لجأ إليه ممن حُوصروا من الأمويين في وقعة الحرة بعد أن قبل (عليه السلام) لجوئهم وآواهم وأحسن إليهم بعد أن رفضهم كل الناس سواه ((وكان قبول الإمام لهؤلاء اللاجئين درساً كبيراً تجلّى فيه أمام الناس والتاريخ معنى الإمامة بمفهومها السماوي القدسي العظيم))^(٣) .

١٢- وقال عنه الشيخ محمد حسن آل ياسين بصدد ذكر ولادته أيضاً: ((وكفى هذا الوليد مجداً وعزاً وشرفاً: أن يكون أبوه سيد شباب أهل الجنة، وأن يكون جدّه سيد الوصيين وأمير المؤمنين، وأن تكون جدّته

(١) عبد الله عبد العزيز الجلي، التاريخ الأمين، ٧.

(٢) الإمام زين العابدين (عليه السلام) الصحيفة السجادية الكاملة، ٤، تقديم وضبط جميل إبراهيم.

(٣) محمد حسن آل ياسين، الإمامة، ٦٦.

سيدة نساء العالمين، وأن يكون جدُّه الأكبر محمد بن عبد الله سيد خلق الله وخاتم الرسل والنبیین^(١).

١٣- وقال عنه الشيخ صالح الطائي بصدد ذكرى ولادته (عليه السلام) ((لقد أطلَّ على الدنيا نور جديد بولادة الإمام علي بن الحسين وأشرقت آفاق الحكمة وتوثبت ينابيع العلم والزهد بتدقق وإنبعاث وإشراق ولتكون سيرته نبراسٌ هُدى وطريقُ رشاد))^(٢).

١٤- وقالت عنه الأستاذة نبيلة عبد المنعم داوود ((أما أبو محمد علي بن الحسين فلم يُحاول الاشتراك في الأحداث التي مرَّت بعد مقتل أبيه الحسين، وإنما انصرف إلى الزهد وكان يُلقَّب بزَيْن العابدين لشدة ورعه))^(٣).

١٥- وقال عنه السيد محمد القاضي بصدد مآثر الإمام العلمية، وقد إتَّخَذَ الإمام: ((مُخْرَبُهُ ومُصَلَّاهُ وسيلةً لنشر تعاليم جدِّه الرسول (صلى الله عليه وآله)) فظَهَرَتْ له أدعيةٌ ملأت الخافقين وعرفت مجموعة أدعيته - بالصحيفة السجادية - نَعْدَهَا تراثاً لجميع المسلمين، حيث فيها صلاح ما يحتاجه المسلم سواءً في أمر دينه، وصلَّته برَّبِّه، أم في أمر دنياه من سلوكه مع نفسه أو أبناء جنسه))^(٤).

(١) محمد حسن آل ياسين، الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، ١١.

(٢) صالح الطائي، بحوث في الصحيفة السجادية، ٩/١.

(٣) نبيلة عبد المنعم داوود، نشأة الشيعة الإمامية، ٨٣.

(٤) الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، ضبط وتقديم محمد القاضي: ٢ وما بعدها.

١٦- وذكره الأستاذ محمود البغدادي بقوله: ((كان زين العابدين في الذروة العليا من الطبقة الواعية استجلاءً لأخلاق القرآن ونشراً لها بين المجتمع وتحديداً لمفاهيم الإسلام وتعاليمه في التربية والسلوك، وتأتي أدعية الإمام زين العابدين (عليه السلام) في طليعة الأدعية الباهرة الجمال والابتهالات العالية المضامين وهبَ الله لها من هبته الحكمة ومنحها من إشراق المعرفة، وسكَبَ عليها كؤوساً من البهاء والنور والنظرة والرواء))^(١).

١٧- وأثنى على كثرة عبادته وورعه وصبره الدكتور أحمد محمود صبحي بقوله ((كانت فاجعة مقتل أبيه التي شاهدها ببصره أقسى من أن تتركه يطلب بعد ذلك شيئاً من إمارة الدنيا، أو يثق في الناس، أو يشارك في شأن من شؤونه السياسية فاعتكف على العبادة))^(٢).

١٨- وعدّه العلامة الكبير الأستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير مفخرة عصره وعظمة زمانه بقوله: ((لقد ابتعد الإمام بسلوكه الإنساني المتميز عن الترف والبذخ والإسراف، وتحلى بحياة الزهد والقناعة والصبر الجميل، وتباعد برصانته التكوينية عن حياة الحاكمين العابثين، وصدّ نفسه عن الانخراط بسلوك المترفين، لأنّ ذلك مسار أهل الدنيا والتكاثر، أما هو فاكتمى من دنياه باليسير، وإتّجّه بنفسه شطر الورع والكفاف، متأسياً بأبسط الناس معاشاً، وكان همّه بما يصل به الناس، وما يسد به احتياج ذوي الفقر والعوز، وله في ذلك آثار خالدة، وكما ابتعد الإمام عن الترف وحياة المرفهين، فقد إبتعد عن طلب الحكم، وتورّع عن السعي إلى الكراسي

(١) محمود البغدادي، النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين، ٤٧ وما بعدها.

(٢) أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة، ٣٤٩.

المثيرة، وذلك منهج أهل البيت في الزهد بالمظاهر الزائفة، والعزوف عن الجاه المؤقت، ولم يفكر يوماً أن يناضل إزاء ذلك، أو أن يستعيد مكانه الذي رشَّحه له الباري عز وجل.

إنه اتجه نحو الدعاء والبكاء، وأعرضَ صفحاً عن السياسة التي ينبغي له أن يجابهها بكل قوة، وما يدرينا حقيقة الأمر، فلعل في الدعاء سياسته، ولعل في البكاء نكيرا على الظالمين^(١).

(١) محمد حسين علي الصغير، الإمام زين العابدين، ٣٨ وما بعدها.

نتائج البحث وحصيلته :

يمكن أن نشير إلى أهم النتائج والاستقصاءات البحثية التي أفرزها البحث من خلال هذا الكتاب وكما يلي:

١- أن الحديث عن (أهل البيت عليهم السلام) هو حديث عن القرآن الكريم والسنة المشرفة، لإلتقاء الأطراف الثلاثة لهذه المعادلة شكلاً ومضموناً.

٢- إن مسألة غُلُو المقام وإرتقاء القمّة وشَرَفُ السُّمُو الذي تمتّع به أهل البيت عليهم السلام مأخوذ من شرف النبي صلى الله عليه وآله وغُلُو مقامه وقمّة سُمُوه ووقاره صلى الله عليه وآله، لتوارد النصوص القرآنية والروائية وتواتر الوقائع والأحداث والمناسبات التي أشار القرآن الكريم إلى عدّها من أولويات الإيمان والانتماء الصادق للإسلام الحنيف والقرآن الكريم والنبي المعظم صلى الله عليه وآله.

٣- إن إتباع النبي الكريم صلى الله عليه وآله ومقابلته بالحُبِّ والتوقير يعني إرضائه بما يحب ويرغب، لا اعتقد أن هنالك شيء يسر النبي صلى الله عليه وآله مثل مودّة أهل بيته عليهم السلام وحبهم والوفاء إليهم كما أكد القرآن الكريم على ذلك [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] (الشورى/٢٣)، وهل هنالك من هو أقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله من علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

لذلك فإن القرآن الكريم أكد أيضاً بقوله: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ]

264 فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ] (آل عمران/٣١).

فإتباع النبي نتيجة لحُبِّ العبدٍ لربه، فإن كان العبد لا يتبع النبي صلى الله عليه وآله فهو لا يحب عندئذ ربه، ومودة أهل البيت عليهم السلام تعني إعلان الولاء له صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، فالتجرد عن حب أهل البيت عليهم السلام يعني التجرد عن طاعة الله وعن توقير نبيه صلى الله عليه وآله وأنّ إتباع حكم أراده الله تعالى يعني

إتباع منهج النبي (ﷺ) للحصول على حب الله ورأفته، وهذا مفاد قوله تعالى: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] [آل عمران/٣١].

٤- أن أهل البيت (عليهم السلام) هم عترة النبي (ﷺ) وأدوارهم تعني تعدد مراحل والتقاء هدف، فكلهم واحد، وجميعهم فرع من شجرة النبوة الطاهرة، لكن لكل واحد منهم خصوصية تتناسب مع الزمن الذي ارتبط بتواجده ... وبذلك يكون لكل واحد منهم ميزة خاصة بناءً على هذا التصور، إذن فالإمام السجاد (عليه السلام) له ميزة ما توفرت لأحد من الأئمة الآخرين، وتلك هي أنه عاصر أعتى شرذمة مارقة عن الدين، تلك هي التي قَطَّعتْ جَسَدَ السبط أوصالاً هو وأبناء عمومته وأهله نصب عينيه، فمن منا يستطيع أن يُجاري جزءاً مما عاناه الإمام السجاد (عليه السلام)، خصوصاً وأنه كان يعاني من مرض ألمَّ به أثناء الواقعة.

٥- إن مرض الإمام (عليه السلام) هو ليس مرضٌ مزمنٌ عانى منه، بل هو مرض طارئ كانت إصابته به لحكمة إلهية أرادها الله وكان مغزاها أن يُسقط عنه الجهاد والقتال ليبقى هذا الإمام حياً بعد أبيه لتتواصل سلسلة العصمة التي حددها الله سبحانه وتعالى بأثني عشر إماماً معصوماً كلهم من قريش، لذلك بقي (عليه السلام) بعد أبيه وكان الحسينيون كلهم من صلبه وعقبه.

٦- إن هنالك كرامات عظيمة منحها الله للإمام السجاد (عليه السلام) منها ما برزت قبل الواقعة ومنها ما كان أثنائها ومنها ما كان بعدها وكلها أثبتت عصمته وإمامته وعظمته وعلو شأنه، فلقد قام (عليه السلام) بتسقيط الأمويين إعلامياً وأمام أنظار الناس، وخطبته في الكوفة والشام لأكبر دليل على هذا

الأمر واعتراف يزيد إجمالاً بذلك، واضطراره لموافقته بصعود الإمام (عليه السلام) لمنصة الخطاب، فوافق مُكرهاً لحصول الإخراج من قبل الإمام (عليه السلام) له وأمام الجمهور علانيةً.

٧- لعل بعض المتشدين الذين يدَّعون بأن السلطة سكنت عن الإمام (عليه السلام) في توجيه واستعمال القوة للإمام من جراء خطاباته المعروفة كان لمرضه ولكونه صبيّاً ... نقول لهم أولاً أن عمر الإمام كان آنذاك (٢١) أو (٢٣) عاماً، وهو عندئذ لم يكن صبيّاً، وثانياً متى كان يزيد ينظر إلى الإنسانية ليعطف على المرضى والصبيان، فالذي يقوم بقتل فلذة كبذ رسول الله (ﷺ) وسبطه ويسبي ذراريه، ويحرق فسطاطه ويسبي نسائه وأطفاله ويشردهم في الليالي الظلماء وفي صحراء تذرّوها الرياح والشمس الحارقة ويمنع عنهم الماء وهم مكبلون بالأغلال أسارى يجول بهم من بلد إلى بلد، فهل له ذرة من الإنسانية والشرف حتى يصفح عن الإمام (عليه السلام) بتلك الظروف.

٨- البعض يقول أن الإمام (عليه السلام) قد عاش بعد أبيه منزوياً لا حول له ولا قوة ... نقول له أعلم بأن الإمام هو الذي حطّم عروش بني أمية ومرّغ أنوفهم بالوحل وإن هذا الانزواء للإمام (عليه السلام) في مسجد جده (ﷺ)، من

266 خلال صحيفة الدعاء (الصحيفة السجادية) و(رسالة الحقوق) التي دخلت

إلى أعماق النفوس ودبّت في دمائهم وعروقهم قد قلبت الموازين في نفوسهم لحظة بعد لحظة إلى أن حان موعد خنوع الباطل وقذفه بمزبلة التاريخ ناكصاً ذليلاً.

٩- إنَّ من تمنع في رصد مضامين ومُحتويات وبنود الصحيفة العظمى للإمام (عليه السلام) سيجد بأنها موروثة فكري لا تجاريه بلاغة بليغ ولا فصاحة عقل حصيف وقد نسجتها أنامل العلم والعظمة والسمو ... سمو أهل البيت (عليهم السلام) الذين طهرهم الله وجعلهم مناراً لكل فضل وشرف ووقار.

١٠- أما (رسالة الحقوق) فقد عجزت عن الإتيان بمثلها رغم اختصارها دساتير الأنظمة ومنظمات ولجان وتجمعات الأمم والشعوب الذين تباكوا زوراً على حقوق الإنسان ... فهي رسالة صدق يعجز اللسان عن صياغة مفردة واحدة من مفرداتها ... وينبهر الضمير للإلقاء نظرة فاحصة على عظمة مفرداتها وسمو معانيها.

١١- علينا أن نتفحص بكل ما يتعلق بحياة الإمام السجاد (عليه السلام) وهي دعوة إلى كل باحث شريف أن يعود لتراث وفكر أهل البيت (عليهم السلام) في إستنهاض معاني الإنسانية الحقّة من خلال الاعتراف الصريح بتعلقهم بشخص النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) ودعوته المستمرة للالتزام بهم وإعلان المودة لهم والتي هي من شروط سمو المُجتمعات والإنسانية قاطبة.

١٢- وأقول أخيراً: هنيئاً لكل من حباه الله لنيل رضاه في معرفة كنه عظمة أهل البيت (عليهم السلام)، وحثاً على حُبِّهم والتمسك بحَبْلِهِم الذي سيؤدي بنا إلى جنة عرضها السماوات والأرض ورضى الله وكتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المؤلف

قائمة المصادر والمراجع

خير ما يفتح به القرآن العظيم

أولاً : المصادر

- ١- الابشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد المحلي ت ٨٥٠هـ)، المستطرف في كل فن مستطرف، مؤسسة النور للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، بيروت - لبنان .
- ٢- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، منشورات دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م.
- ٣- الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد ت ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبين، مطبعة الديواني، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م، بغداد - العراق.
- ٤- ابن أعثم (أبو محمد أحمد بن أحمد الكوفي - من علماء القرن الثالث الهجري -)، فتوح البلدان، دار الندوة الجديدة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، بيروت - لبنان.
- ٥- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، تحقيق عبيد بن فيروز وعمير بن عبد الرحمن، بيروت - لبنان.
- ٦- المؤلف نفسه، صحيح البخاري، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

- ٧- البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ)، أنساب الاشراف، منشورات مكتبة المثنى، ١٩٣٨م، بغداد - العراق.
- ٨- المؤلف نفسه، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م، بيروت - لبنان.
- ٩- البيهقي (إبراهيم بن محمد ت ٣٢٠هـ)، المحاسن والمساوي، مطبعة نهضة مصر، ١٣٨٠هـ القاهرة - مصر.
- ١٠- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨٣هـ جمهورية مصر العربية .
- ١١- أثناعبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت ٤٢٩هـ)، الاقتباس من القرآن الكريم، منشورات دار الحرية، ١٩٧٥، بغداد - العراق.
- ١٢- الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، الطبعة الخامسة، مطبعة المدني، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، القاهرة - مصر.
- ١٣- أجهضمي (نصر بن علي ت ٢٥٠هـ) تاريخ أهل البيت (عليه السلام) المروي عن الأئمة الباقر والصادق والرضا والعسكري (عليه السلام)، تحقيق محمد رضا الحسيني الجلالى، دار زين العابدين لإحياء تراث المعصومين (عليه السلام)، الطبعة الثالثة، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، قم المقدسة - إيران .

١٤- ابن حجر (أحمد بن حجر الهيتمي المكي ت ٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، المطبعة اليمنية، ١٣١٢هـ مصر فلسطين طبعة شركة الطباعة الفنية بمصر، بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف.

١٥- ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، منشورات دار صادر، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ بيروت - لبنان.

١٦- ابن أبي الحديد (عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني ت ٦٥٥هـ)، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، ١٣٨٥-١٩٦٥م، القاهرة - مصر فلسطين شرح النهج لمحمد عبده، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٧- الحراني (أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة - من أعلام القرن الرابع الهجري -)، تحف العقول عن آل الرسول (عليه السلام)، منشورات مؤسسة الاعلمي، ١٣٩٤ - ١٩٧٤م، بيروت - لبنان فلسطين طبعة بيروت الأخرى بتحقيق وتعليق حسين الاعلمي، بطبعته السابعة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٨- الحر العاملي (محمد بن الحسن ت ١١١٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر مؤسسة لآل البيت (عليه السلام) لأحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ قم المقدسة - إيران.

١٩- ابن حزم (أبو محمد أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت ٤٥٦هـ)،
 جمهرة أنساب العرب، منشورات دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ -
 ١٩٨٣م، بيروت - لبنان .

٢٠- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الاشيلي الحضرمي المالكي
 ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، منشورات دار الجيل، بيروت - لبنان .

٢١- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
 ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الطبعة الأولى، مطبعة
 السعادة، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، مصر.

٢٢- الخوارزمي (أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم
 ت ٥٦٨هـ)، مقتل الحسين، مطبعة الزهراء، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، النجف
 الأشرف - العراق.

٢٣- ابن داود (تقي الدين بن الحسن بن داود الحلبي ت ٧٠٧هـ)،
 الرجال، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة
 الحيدرية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، النجف الأشرف - العراق .

٢٤- الدميري (كمال الدين الدميري ت ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى،
 مطبعة المعاهد، القاهرة - مصر، طبعة بيروت الأولى، دار احياء التراث
 العربي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢٥- الدينوري (أبو حنيفة ت ٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، منشورات دار
 إحياء الكتب العربية، تحقيق عبد المنعم عامر، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م،
 القاهرة - مصر .

٢٦- الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ، الطبعة الثانية، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند.

٢٧- المؤلف نفسه، سير أعلام النبلاء، تحقيق الدكتور سعد اطلس، طبع دار المعارف، مصر قديم طبعة بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م قديم طبعة منشورات مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، بيروت - لبنان.

٢٨- المؤلف نفسه، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، دمشق - سوريا.

٢٩- الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت ٢٥٦هـ)، مختار الصحاح، منشورات مؤسسة الرسالة، دولة الكويت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٠- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخزرجي ت ٥٣٨هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، مطبعة العاني، ١٩٧٨م، بغداد - العراق .

٣١- المؤلف نفسه، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، منشورات مكتبة مصر، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الفجالة - مصر .

272

٣٢- زيد بن علي (عليه السلام)، مسند الإمام زيد، منشورات مكتبة الحياة، ١٩٦٦م، بيروت - لبنان .

٣٣- سبط ابن الجوزي (أبو المظفر يوسف الملقب بسبط ابن الجوزي ت ٦٥٤هـ)، تذكرة خواص الأمة في معرفة الأئمة الاثني عشر، الطبعة

الثانية، المطبعة العلمية، ١٣٦٩هـ النجف الأشرف - العراق قُلَيْسَ طبعة
النجف الأشرف الأخرى لسنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م، قدم لها محمد صادق
بحر العلوم.

٣٤- ابن سعد (محمد بن سعد الواقدي ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى،
مطبعة بريل، ١٢٣٣هـ ليدن .

٣٥- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ)، تاريخ
الخلفاء، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، مصر.

٣٦- الشافعي (أحمد زين العابدين بن محمد زين العابدين ت ١٠٤٨هـ)،
طرز الوفا في فضائل آل المصطفى، تحقيق سامي الغريزي، دار الكتاب
العربي، الطبعة الثالثة، ١٠٤٨هـ

٣٧- الشافعي (كمال الدين محمد بن طلحة القرشي ت ٦٥٢هـ)، مطالب
السؤال في مناقب آل الرسول، مطبعة دار الكتب، النجف الأشرف -
العراق.

٣٨- الشبلنجي (مؤمن بن حسن بن مؤمن - من أعلام القرن الثالث عشر
الهجري -)، نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار، دار الكتب
العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، بيروت - لبنان.

٣٩- ابن شهر آشوب (أبو جعفر رشيد الدين بن محمد علي ت ٥٨٨هـ)،
معالم العلماء، المطبعة الحيدرية، ١٩٦١م، النجف الأشرف - العراق.

٤٠- المؤلف نفسه، مناقب آل أبي طالب، المطبعة العلمية .

٤١- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، المطبعة الأدبية، ١٣١٧-١٨٩٧م، القاهرة - مصر.

٤٢- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد الشوكاني الصغاني ت ١٣٥٠هـ)، تحفة الذاكر بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين (عليه السلام)، مطبعة منير، ١٩٨٣م، بغداد - العراق.

٤٣- ابن الصباغ (علي بن محمد بن أحمد المكي المالكي ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (عليهم السلام)، منشورات دار الأضواء، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، بيروت - لبنان.

٤٤- الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، منشورات مؤسسة الفجر للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، بيروت - لبنان.

٤٥- المؤلف نفسه، من لا يحضره الفقيه، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الرابعة، مطبعة النجف، ١٣٧٨هـ النجف الأشرف - العراق.

٤٦- المؤلف نفسه، معاني الأخبار، المطبعة الحيدرية، ١٩٧١م، النجف الأشرف - العراق.

٤٧- الصفار (أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ ت ٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (صلوات عليهم أجمعين)، تحقيق السيد محمد السيد حسين المعلم، منشورات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى، مطبعة شريعت، ١٤٢٦هـ

٤٨- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، بإعتناء هلموت ريتير، منشورات فرانز شتاينر، الطبعة الثانية، ١٩٥٩م، دمشق - سوريا.

٤٩- ابن طاووس (أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني ت ٦٦٤هـ)، إقبال الأعمال، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، بيروت - لبنان.

٥٠- المؤلف نفسه، الملهوف على قتلى الطفوف، تحقيق وتقديم فارس تبريزيان الحسون، دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، مطبعة أسوة، ١٤٢٩هـ طهران - إيران.

٥١- ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، مطبعة أمير، ١٣٧٢هـ.

٥٢- الطبرسي (أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب ت ٥٤٨هـ)، الاحتجاج، مطبعة النعمان، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، النجف الأشرف - العراق.

٥٣- الطبري (محب الدين أحمد بن عبد الله ت ٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار الكتب العراقية، ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م، بغداد - العراق.

٥٤- الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، منشورات دار القاموس الحديث (بدون طبعة ومطبعة وسنة طبع).

٥٥- الطوسي، (أبو جعفر محمد بن الحسن ت ٤٦٠هـ)، الامالي، تقديم محمد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان، ١٩٦٤م، النجف الأشرف - العراق .

٥٦- المؤلف نفسه، الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الثانية، مطبعة النجف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، النجف الأشرف - العراق .

٥٧- المؤلف نفسه، تهذيب الأحكام، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الثانية، مطبعة النعمان، ١٣٧٧هـ - ١٩٦٢م، النجف الأشرف - العراق .

٥٨- المؤلف نفسه، مصباح المتهجد، منشورات فقه الشيعة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، بيروت - لبنان .

٥٩- ابن طولون (شمس الدين محمد بن طولون ت ٩٥٣هـ)، الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، منشورات دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، بيروت - لبنان .

٦٠- ابن طيفور (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ت ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق .

٦١- ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، مطبعة مصطفى محمد، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م، جمهورية مصر العربية.

٦٢- الغزالي، (أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، الطبعة الأولى، المطبعة العثمانية المصرية، ١٢٨٩هـ جمهورية مصر العربية.

٦٣- أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، مصر.

٦٤- الفيروزآبادي، (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، منشورات دار الفكر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، بيروت - لبنان.

٦٥- الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقرئ ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط. ب. ت.

٦٦- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، منشورات دار الأندلس، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م، النجف الأشرف - العراق قُلَيْبُ الطبعة الأولى، تحقيق علي شيري، مطبعة شريعت، ١٣٨٦هـ

٦٧- المؤلف السابق، عيون الأخبار، منشورات المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٢م، القاهرة.

٦٨- المؤلف السابق، المعارف، الطبعة الأولى، المطبعة الإسلامية، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م، مصر قُلَيْبُ الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٦٩- القرشي (يحيى بن آدم ت ٢٠٣هـ)، الخراج، المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ القاهرة - مصر.

٧٠- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ت ٨٢١هـ)، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧١- القندوزي الحنفي (سليمان بن إبراهيم ت ١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة، الطبعة السابعة، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م، النجف الأشرف - العراق.

٧٢- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي ت ٧٧١هـ)، البداية والنهاية، تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر، منشورات دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، القاهرة - مصر فُتِحَ الطبعة الصادرة عن مطبعة السعادة - مصر.

٧٣- الكليني (أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق ت ٣٢٨هـ)، الأصول من الكافي، منشورات مكتبة الصدوق، ١٣٨١هـ طهران - ايران.

٧٤- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، منشورات مكتبة المعارف، بيروت - لبنان فُتِحَ طبعة مطبعة القاهرة، تحقيق الدكتور يحيى مراد، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٧٥- أبو مخنف (لوط بن يحيى)، مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الرابعة، مطبعة شريعت، ١٣٨٦هـ

٧٦- المزني (جمال الدين أبو الحجاج يوسف ت ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، منشورات مؤسسة الرسالة، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، بيروت - لبنان.

٧٧- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ)، إثبات الوصية، الطبعة الأولى، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٥م، النجف الأشرف - العراق.

٧٨- المؤلف السابق، التنبيه والاشراف، منشورات دار الصاوي للطبع، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م، القاهرة.

٧٩- المؤلف السابق، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة الخامسة، مطبعة السعادة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، مصر.

٨٠- المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ت ٤١٣هـ)، الارشاد، المطبعة الحيدرية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، النجف الأشرف - العراق.

٨١- المؤلف السابق، الأمالي (أمالي الشيخ المفيد)، الطبعة الثالثة، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق.

٨٢- النجاشي (أبو العباس أحمد بن علي بن العباس ت ٤٥٠هـ)، الرجال، ١٣١٧هـ بومباي - الهند.

٨٣- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب بن إسحاق ت ٣٨٥هـ)، الفهرست، مطبعة الاستقامة، مصر قديم طبعة منشورات دار المعرفة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، بيروت - لبنان.

- ٨٤- أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، منشورات دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، بيروت - لبنان .
- ٨٥- الهلالي، سليم (أبو صادق بن قيس الكوفي ت ٩٠هـ)، السقيفة، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق .
- ٨٦- الياضي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن عفيف الدين ت ٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف النظامية، ١٣٣٨هـ
- ٨٧- اليعقوبي، (أحمد بن يعقوب بن وهب المعروف بابن واضح الإخباري ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، ١٣٥٨هـ النجف الأشرف - العراق .

ثانياً: المراجع

- ١- إبراهيم بيضون، الدكتور، سليمان بن صرد الخزاعي قائد ثورة التوابين، دار التراث الإسلامي، ١٣٦٤هـ-١٩٧٤م، بيروت - لبنان.
- ٢- أحمد حسين، الحسين ثورة الملايين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، بيروت - لبنان .
- ٣- أحمد محمود صبحي، الدكتور، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، منشورات دار المعارف بمصر، مطابع دار المعارف، ١٩٦٩م.
- ٤- الأحمدى، فكري عبد الحميد، مكاتيب الرسول، دار المهاجر، بيروت - لبنان .

٥- الأديب، عادل، الأئمة الاثني عشر - دراسة تحليلية -، منشورات الدار الإسلامية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بيروت - لبنان .

٦- الاشيقر، محمد علي يوسف، قصة ثورة المختار، منشورات دار الجوادين، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٧- الأميني، عبد الحسين، مآثم الإمام الحسين (عليه السلام)، من مصادر أهل السنة، تقديم محمد مهدي الاصفى، ضبط نصه وعلق عليه جعفر الروازق، منشورات الاجتهاد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٨- البجاوي، علي أحمد (وآخرون)، قصص العرب، منشورات دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الرابعة، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م، القاهرة - مصر .

٩- البحراني، حسين بن علي بن سليمان البلاذري، وفاة الإمام السجاد علي بن الحسين (عليه السلام)، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف - العراق .

١٠- بحر العلوم، الدكتور عز الدين، أضواء على دعاء كميل، مؤسسة في رحاب الله، الطبعة الرابعة، مطبعة الديواني، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بغداد - العراق.

١١- بحر العلوم، الدكتور محمد، ثلاث نساء في سماء العقيدة، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، بيروت - لبنان.

١٢- المؤلف نفسه، ثورة الإمام الحسين وأبعادها، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، بيروت - لبنان.

١٣- المؤلف نفسه ، المفهوم الإسلامي للتعاون بين المسلمين في سبيل الله، منشورات دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بيروت - لبنان .

١٤- البدري، سامي، الحسين (عليه السلام) في مواجهة الضلال الأموي وإحياء سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام)، دار الفقه للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، مطبعة ظهور، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٥- بروكلمان، الدكتور كارل Dr. Karil Brokilman ، تاريخ الأدب العربي، تاريخ الأدب العربي، منشورات دار المعارف، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، ١٩٦١م، مصر.

١٦- براق زكريا، الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، بيروت - لبنان.

١٧- البغدادي، محمود، النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين، الطبعة الأولى، مطبعة أمير، ١٤١٥هـ

١٨- البهادلي، أحمد كاظم سدخان، محاضرات في العقيدة الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، بغداد - العراق .

١٩- المؤلف نفسه، من هدي النبي والعترة في تهذيب النفس وآداب العشرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م، النجف الأشرف - العراق .

٢٠- التميمي، رافد، زيد بن علي، مركز الأبحاث العقائدية، قم المقدسة - إيران.

٢١- الجبوري، الدكتور كامل سلمان، الإمام زين العابدين - سيرته من الولادة حتى الوفاة -، دار الرسالة الإسلامية في الكوفة، الطبعة الأولى، مطبعة الغري، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، النجف الأشرف - العراق .

٢٢- الجزائري، عبد الباقي قرنة، معاوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ قم المقدسة - إيران .

٢٣- الجزائري، هاشم الناجي الموسوي، جزاء أعداء الإمام السجاد (عليه السلام) في دار الدنيا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ قم المقدسة - إيران .

٢٤- الجعفري، الدكتور إبراهيم، الوحدة الإسلامية في القرآن الكريم، مؤسسة الكتاب الثقافية، ٢٠٠٨م، بغداد - العراق .

٢٥- الجبلي، عبد الإله عبد العزيز، التاريخ الأمين في سيرة الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)، مطبعة الزمان، ١٩٨٨م، بغداد - العراق .

٢٦- المؤلف نفسه، الفيض الوافر من سيرة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، منشورات مكتب السامر للنشر والتوزيع، مطبعة الزمان، ١٩٩٩م، بغداد - العراق .

283 ٢٧- جميل إبراهيم حبيب، لمحات من سيرة وأقوال الإمام زين العابدين الزاهد العابد، الطبعة الأولى، مطبعة الديواني، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بغداد - العراق .

٢٨- الجندي، المستشار عبد الحليم، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، منشورات المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، تحقيق

أحمد جاسم المالكي، الطبعة الأولى، مطبعة أمير، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م،
قم المقدسة - إيران.

٢٩- الحائري، جعفر عباس، بلاغة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)،
الطبعة الثانية، مطبعة الآداب، ١٣٨٥هـ النجف الأشرف - العراق.

٣٠- الحداد، كفاح، نساء الطفوف، منشورات الأمانة العامة للعتبة
الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، كربلاء المقدسة
- العراق .

٣١- الحسني، الدكتور هاشم معروف، تاريخ الفقه الجعفري، منشورات
دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٣م، بيروت - لبنان .

٣٢- المؤلف نفسه، الشيعة بين الاشاعة والمعتزلة، منشورات دار القلم،
الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، بيروت - لبنان .

٣٣- حسين عطوان، الرؤية التاريخية في الشام في العصر الأموي،
منشورات دار الجيل. الطبعة الأولى، عمان - الأردن.

٣٤- الحسيني، حيدر موسى وتوت، وقعة الحرة أو حركة المدينة
المنورة، انتشارات الاعتصام، مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي،
الطبعة الأولى، مطبعة وفا، ١٤٣٠هـ

284

٣٥- الحكيم، الأستاذ الدكتور حسن عيسى، مذاهب الإسلاميين في
علوم الحديث، الطبعة الأولى، منشورات خزانة الكتب للموارد
التعليمية، ١٤٠٦هـ - ٢٠٠٦م، بغداد - العراق .

٣٦- الحكيم، محمد باقر، ثورة الحسين - النظرية، الموقف، النتائج -،
المجمع العالمي لأهل البيت، ١٤١٧هـ، قم المقدسة - إيران .

٣٧- الحكيم، محمد سعيد الطباطبائي، فاجعة الطف، أبعادها - ثمراتها
- توقيتها، بحث تحليلي في النهضة الحسينية ودورها في توضيح
الحقيقة الدينية -، مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، الطبعة الثالثة،
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

٣٨- الحلو، محمد علي، أنصار الحسين (عليه السلام) - الثورة والثوار -،
منشورات مؤسسة السبطين العالمية، الطبعة الأولى - مطبعة محمد،
١٤٢٥هـ، قم المقدسة - إيران .

٣٩- الحيدري، فاضل، وصايا خالدة على مرافئ الموت، منشورات
مكتبة جنان الغدير، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الدسمة - دولة الكويت .

٤٠- الخاقاني، الدكتور نبيل جواد، الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)
ودوره في أحداث عصره، دار المتقين للطباعة والنشر، بيروت - لبنان،
١٤٣٤هـ، بيروت - لبنان.

٤١- الخربوطلي، علي حسني، ١٠ ثورات في الإسلام، منشورات دار
الآداب، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، بيروت - لبنان .

٤٢- الخرسان، محمد صادق، أخلاق الإمام علي (عليه السلام)، منشورات دار
المرتضى، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، بيروت - لبنان .

٤٣- الخفاجي، محمد رضا، الصلاة هوية المؤمن، قدم لها باقر شريف
القرشي، ١٣١٤هـ - ١٩٩٣م، النجف الأشرف - العراق .

٤٤- الخفاجي، الدكتور محمود شاكر، منهج الإمام مالك في كتابه الموطأ، بحث على الآلة الكاتبة، ١٩٨٧م.

٤٥- الخفاف، إسماعيل عبد الرحيم، الإمام زين العابدين (عليه السلام) في شعر القدماء والمعاصرين، منشورات دار الغدير، الطبعة الأولى - مطبعة سرور، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٩م، قم المقدسة - إيران .

٤٦- الخميني، روح الله، نهضة عاشوراء، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني - الشؤون الدولية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، طهران - إيران .

٤٧- روفائيل باتاي Rofail Batay، العقل العربي، ترجمة وليد خالد أحمد حسن، منشورات مكتبة مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤٨- الزركلي، (خير الدين الزركلي ت ١٤١٠هـ)، الأعلام، مطبعة كوستا ثاموس، ١٩٧٨م، مصر.

٤٩- زكي حسين، فقه التعاون، منشورات دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، كربلاء - العراق .

٥٠- الزنجاني، إبراهيم الموسوي، عقائد الإمامية الاثني عشرية (بدون معلومات).

٥١- زيد بن علي (عليه السلام)، مسند الإمام زيد، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٩٦م، بيروت - لبنان .

٥٢- سعيد رشيد زميزم، الحسين في الشعر المسيحي، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، بيروت - لبنان .

٥٣- السيستاني، علي الحسيني، الوجيز في أحكام العبادات، ١٤٢٦هـ
النجف الأشرف.

٥٤- بنت الشاطي، الدكتورة عائشة عبد الرحمن، سكينه بنت الحسين،
منشورات دار الهلال.

٥٥- الشريفة عبد الله، الإمام علي (عليه السلام) القائد السياسي الأمثل -
يتناول الأدوار السياسية للإمام علي (عليه السلام) - دار المحجة البيضاء،
الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، بيروت - لبنان.

٥٦- شريعتي، الدكتور علي، الإمام السجاد أجمل روح عبادة،
منشورات دار الأمير، ترجمة إحسان صوفان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ -
٢٠٠٤م، بيروت - لبنان.

٥٧- شلتاغ عبود، الدكتور، منهج الإسلام في التوحيد والسلوك، دار
الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م،
بيروت - لبنان.

٥٨- الشهرستاني، هبة الدين الحسيني، نهضة الحسين، دار الكتاب
العربي، ١٣٤٣هـ بيروت - لبنان.

٥٩- شوقي ضيف، الدكتور، العصر الإسلامي، منشورات دار المعارف،
الطبعة السابعة، ١٩٦٣م، جمهورية مصر العربية.

٦٠- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد اليماني الصنعاني
ت ١٢٥٠هـ)، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد
المرسلين، مطبعة منير - بغداد، ١٩٨٣م.

٦١- الشوكي، خليل، النجوم الزاهرة في إثبات خلافة الأئمة الطاهرة، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ قم - إيران.

٦٢- الشيبلي، الدكتور كامل مصطفى، صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، دار المناهل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، بيروت - لبنان.

٦٣- الشيرازي، حسين، الطغاة (ديوان شعر)، منشورات مؤسسة الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٥م، بيروت - لبنان.

٦٤- الشيرازي، محمد الحسيني، أمهات المعصومين (عليه السلام)، منشورات المؤسسة اللبنانية للإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٢م، بيروت - لبنان.

٦٥- المؤلف نفسه، رؤى عن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، دار صادق للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، كربلاء المقدسة - العراق.

٦٦- الشيرازي، مرتضى الحسيني، الإمام الحسين (عليه السلام) وفروع الدين، منشورات مؤسسة أم أبيها، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٦٧- الشيرازي، ناصر مكارم، الزهراء (عليها السلام) خير نساء العالمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠١٤م، بيروت - لبنان.

٦٨- صاحب الصادق، الإمام الحسين (عليه السلام) ومبادئ الحق، مؤسسة انصار الحسين (عليه السلام)، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٦٩- الصدر، محمد باقر، أخلاق أهل البيت (عليه السلام)، مراجعة وتصحيح إبراهيم الزهيري، منشورات نصايح، الطبعة الأولى، مطبعة قلم، ١٤٢٧هـ قم المقدسة - إيران.

٧٠- المؤلف نفسه، الإسلام يقود الحياة، منشورات مكتب الكلمة الطبية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، بغداد - العراق.

٧١- المؤلف نفسه، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، منشورات دار المعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٧٢- المؤلف نفسه، الحسين يكتب قصته الأخيرة، تحقيق وتعليق ومراجعة صادق جعفر الروازق، منشورات مؤسسة لسان الصدق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، قم المقدسة - إيران.

٧٣- المؤلف نفسه، مجتمعنا، منشورات دار المرتضى، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، بيروت - لبنان،

٧٤- المؤلف نفسه، منابع القدرة في الدولة الإسلامية، منشورات مؤسسة الإسلام يقود الحياة، ١٣٩٩هـ النجف الأشرف - العراق.

٧٥- الصغير، الأستاذ الأول المتمرس الدكتور محمد حسين علي، الإمام

289 زين العابدين (عليه السلام)، القائد، الداعية، الإنسان. منشورات مؤسسة العارف للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، بيروت - لبنان.

٧٦- الطائي، صالح، بحوث في الصحيفة السجادية، مطبعة المعارف، ١٩٩٥م، بغداد - العراق.

٧٧- طاهر حسن ملحم، الإسلام دين وتمدين - بحوث علمية وتاريخية، مؤسسة النوري، الطبعة الأولى، المطبعة الجديدة، ١٩٩٤م، دمشق - سوريا .

٧٨- الطباطبائي، علي (ت ١٢٣١هـ)، الشرح الصغير في شرح المختصر النافع (بدون طبعة ومطبعة وسنة طبع) .

٧٩- الطهراني (محمد حسن المعروف بآغا بزرك ت ١٣٨٩هـ)، صلى الله عليه وآله الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مطبعة داشكا، ١٣٨٤هـ طهران - إيران .

٨٠- العاملي، علي الكوراني، معرفة الله، منشورات دار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، قم المقدسة - إيران .

٨١- العاملي، محسن الأمين الحسيني، (ت ١٣٢٩هـ)، أعيان الشيعة، مطبعة الترقى، ١٩٧٣م، دمشق - سوريا .

٨٢- المؤلف السابق، إقناع اللائم على إقامة المآثم أو - خاتمة المجالس السنية في ذكرى مصائب العترة النبوية -، منشورات مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، مطبعة الرافد، النجف الأشرف - العراق .

٨٣- المؤلف السابق، لواعج الأشجان - في مقتل الإمام أبي عبد الله الحسين بن أبي طالب (عليه السلام) -، الطبعة الثالثة، مطبعة العرفان، ١٣٥٣هـ صيدا - لبنان .

٨٤- عبد الحسين دستغيب، النفس المطمئنة (بدون معلومات) .

- ٨٥- عبد الحسين عبد علي، دور الإيمان في صلاحية وصمود أبطال ثورة الحسين (عليه السلام)، مطبعة أسعد، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، بغداد - العراق.
- ٨٦- عبد الحليم محمود شلتوت، الدكتور، سيدنا زين العابدين، منشورات دار العلوم، ١٩٧٣م، القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- ٨٧- عبد الزهراء مهدي، الهجوم على دار الزهراء فاطمة (عليها السلام)، - دراسة وتحليل -، منشورات تبرك رضوان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ قم - إيران.
- ٨٨- عبد العزيز سيد الأهل، زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) و منشورات دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م، بيروت - لبنان .
- ٨٩- عبد العزيز غنيم، الدكتور، الحسين بن علي أمام محكمة التاريخ، منشورات دار العلوم، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، القاهرة - مصر.
- ٩٠- عبد الله سالم مليطان، بنو أمية على منبر الرسول في متون التفسير السياسي للقرآن الكريم - تفسير القمي أنموذجاً -، رويه للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، مصراته - ليبيا .
- ٩١- عبد الهادي عبد الأمير سلوم، كيف تقيم صلاة الليل وناقلة الفجر، دار الوفاق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- ٩٢- عز الدين، الدكتور أحمد، الإمامة والقيادة، منشورات مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى مطبعة مهر، ١٤١٧هـ قم المقدسة - إيران .

٩٣- عز الدين سليم، الدكتور، عبد الزهراء عثمان محمد، الأمانة في الرسالة الإسلامية، نشر وتحقيق مؤسسة الشهيد عز الدين سليم، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، بغداد العراق .

٩٤- العقابي، مهند، إطلالة على واقعة الحرة، منشورات دار البذرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠١٥م، النجف الأشرف - العراق .

٩٥- العلوجي، عبد الحميد، كذبة فارسية يفضحها الحق العربي، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، بغداد - العراق .

٩٦- الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، تقديم جميل إبراهيم، منشورات دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، بغداد - العراق .

٩٧- المؤلف السابق، الصحيفة السجادية الكاملة، تحقيق وتنسيق علي أنصاريان، منشورات سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٩٨- المؤلف السابق، الصحيفة السجادية الكاملة، تحقيق وتنسيق علي أنصاريان، (بدون طبعة ومطبعة وسنة طبع) .

٩٩- المؤلف السابق، رسالة الحقوق، تقديم ومطابقة خضير عباس المحياوي، الطبعة الأولى، مطبعة مبین، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، بغداد - العراق .

١٠٠- المؤلف السابق، رسالة الحقوق، تقديم الدكتور محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، بغداد - العراق .

١٠١- المؤلف السابق، الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن الحسين، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، تنظيم محمد باقر الإبطحي، الطبعة الخامسة، مطبعة إعتقاد، قم المقدسة - إيران .

١٠٢- المؤلف السابق، الصحيفة السجادية الجامعة، تقديم محمد باقر الإبطحي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، الطبعة الخامسة، مطبعة الاعتقاد، ١٤٢٣هـ قم المقدسة - إيران .

١٠٣- المؤلف السابق، الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق، تقديم السيد محمد باقر الصدر، دار الثقلين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

١٠٤- المؤلف السابق، الصحيفة السجادية، تقديم محمد القاضي، مطبعة الديواني، ١٤٠٥هـ بغداد - العراق .

١٠٥- الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة ، منشورات العتبة العلوية المقدسة، مكتبة الروضة الحيدرية (بدون طبعة ومطبعة وسنة طبع)

١٠٦- آل علي، نور الدين، الإمام الصادق (عليه السلام) كما عرفه علماء الغرب، منشورات دار الذخائر، نقله إلى العربية نور الدين آل علي، مراجعة وديع فلسطين، الطبعة الأولى، مطبعة النهضة، ١٤٨٠هـ - ١٩٨٨م، قم المقدسة - إيران .

١٠٧- عماد الدين خليل، الدكتورو مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، منشورات مطبعة الزهراء، مطبعة الزهراء، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الموصل - العراق .

١٠٨- الغريفي، حميد المقدس، جذور الإساءة للإسلام وللرسول الأعظم (عليه السلام) - رسالتي إلى بابا الفاتيكان والعالم - ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، بيروت - لبنان.

١٠٩- الغريفي، عبد الله، خصائص الشخصية الإسلامية، منشورات دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م، بيروت - لبنان .

١١٠- غلام حسين دنياني، الدكتور، أسماء وصفات الحق تعالى، تعريب عبد الرحمن العلوي، دار الهادي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠١٢م.

١١١- آل الفقيه، محمد جواد، أبو ذر الغفاري - سلمان الفارسي، المقداد، عمار بن ياسر - منشورات مؤسسة الاعلمي، دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٩م، بيروت - لبنان.

١١٢- القبانجي، حسن علي، شرح رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، تحقيق وتعليق الدكتور وفقان خضير محسن الكعبي، مطبعة الآداب، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م، النجف الأشرف - العراق .

١١٣- القريشي، باقر شريف، حياة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) - دراسة وتحليل -، منشورات دار الزهراء، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، بيروت - لبنان.

١١٤- المؤلف السابق، رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ومواعظه وحكمه، تحقيق مهدي باقر القرشي، منشورات دار المعروف، مؤسسة الإمام الحسن (عليه السلام)، الطبعة الأولى، مطبعة الورد، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

١١٥- المؤلف السابق، العباس بن علي (عليه السلام) رائد الكرامة والفداء في الإسلام، تحقيق مهدي باقر القرشي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي، الطبعة السادسة، مطبعة ستارة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٣م.

١١٦- المؤلف السابق، السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام - عرض وتحليل -، منشورات دار الثقافة، بيروت - لبنان.

١١٧- القرشي، عبد الأمير، البالغون الفتح في كربلاء، منشورات بيت العلم للنابهين، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١١٨- القزويني، أمير محمد كاظم، الشيعة في عقائدهم وأحكامهم، منشورات دار الزهراء للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، كربلاء المقدسة - العراق.

١١٩- القطيفي، حسين بن علي بن سليمان البلاذري البحراني القديحي، وفاة الإمام السجاد علي بن الحسين (عليه السلام)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق.

١٢٠- القمي، عباس، مفاتيح الجنان، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان.

١٢١- كاشف الغطاء، محمد حسين، الأرض والتربة الحسينية، منشورات

المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ١٤١٦هـ.

١٢٢- المؤلف السابق، مقتل الحسين (عليه السلام)، تحقيق هادي الهلالي،

انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، مطبعة أمير، قم المقدسة -
إيران.

١٢٣- محمد الحسين عبد العزيز، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية،

منشورات وكالة المطبوعات، ١٩٧٣م، دولة الكويت.

١٢٤- محمد حسين فضل الله، من وحي عاشوراء، منشورات مؤسسة

الملاك، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢٥- محمد علي عبد الله، الحقائق عن الصواعق، (بدون معلومات).

١٢٦- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،

منشورات ذوي القربى، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢٧- لجنة من الباحثين، الإمام الحسين (عليه السلام) ويوم عاشوراء، مؤسسة

الإمام الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، مطبعة الصدر، ١٤٢٨هـ -
٢٠٠٧م.

296 ١٢٨- المدرسي، محمد تقی، الإسلام حياة أفضل دار محبي الإمام

الحسين (عليه السلام)، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، كربلاء المقدسة -
العراق.

١٢٩- مصطفى خلال، الحداثة ونقد الادلوجة الأصولية، منشورات رؤية

للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، بيروت - لبنان.

١٣٠- مصطفى ملكيان وآخرون، عقلانية الدين والسلطة، تعريب أحمد القابنجي، انتشارات العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، بيروت - لبنان .

١٣١- المطهري، مرتضى، الإمام علي (عليه السلام) في قوته الجاذبة والدافعة، ترجمة جعفر صادق الخليلي، منشورات مؤسسة مسلم بن عقيل (عليه السلام)، النجف الأشرف - العراق .

١٣٢- المؤلف السابق، التكامل الاجتماعي للإنسان، منشورات مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، بغداد - العراق .

١٣٣- مغنية، محمد جواد، الحسين وبطلة كربلاء، إنتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، مطبعة أمير، ١٣٧٥هـ قم المقدسة - ايران.

١٣٤- المقرم، عبد الرزاق الموسوي، الإمام زين العابدين (عليه السلام) علي بن الحسين بن أمير المؤمنين (عليه السلام)، منشورات مطبعة الغري الحديثة، ١٣٧٤هـ النجف الأشرف - العراق .

١٣٥- المؤلف السابق، زيد الشهيد بن الإمام علي بن الحسين بن أبي طالب، إصدار أمانة مزار زيد الشهيد (عليه السلام)، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م.

١٣٦- المؤلف السابق، السيدة سكينة ابنة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، مطبعة أمير،

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، قم المقدسة - ايران .

١٣٧- الموسوي، عبد الحسين شرف الدين العاملي، الفصول المهمة في تأليف الأمة، منشورات دار القارئ، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٣٨- الموسوي، هاشم الناجي الجزائري، جزاء أعداء الإمام السجاد (عليه السلام) في دار الدنيا، الطبعة الثانية، مطبعة دانش، ١٤٢٠هـ، قم المقدسة

- إيران.

١٣٩- مؤلف مجهول (د.م. ع. خ)، مذكرات مستر همفر (الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية)، نقله إلى العربية الدكتور ج. ح، ١٩٧٣م.

١٤٠- الناصر، غالب، المعالجات المناهجية وتطبيقاتها في الفكر والنهضة (عند المفكر المغربي والإسلامي إدريس هاني)، الطبعة الأولى، مطبعة دار الوارث للطباعة والنشر، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

١٤١- نبيلة عبد المنعم داود، الدكتور، نشأة الشيعة الإمامية، دار المؤرخ العربي، ١٩٦٨م، بغداد - العراق قدس سره طبعة بيروت، دار المؤرخ العربي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٤٢- نخبة من المؤلفين والباحثين، آفاق الرحمة وأجواء المودة، منشورات مؤسسة البلاغ، (بدون طبعة ومطبعة وسنة طبع).

١٤٣- المؤلف السابق، أهل البيت (عليهم السلام)، مقامهم - منهجهم - مسارهم، الطبعة السابعة، مطبعة الصدر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٨م، طهران - إيران.

١٤٤- المؤلف السابق، الإمام الحسين (عليه السلام) ويوم عاشوراء، مؤسسة الشهيد محمد باقر الصدر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٤٥- المؤلف السابق، الخطاب الحسيني صفحة مشرقة من ثقافات عاشوراء، منشورات مؤسسة دار التوحيد، العراق.

١٤٦- المؤلف السابق، العبادة والزهد في الإسلام، منشورات مؤسسة البلاغ، (بدون طبعة ومطبعة وسنة طبع).

١٤٧- المؤلف السابق، الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) والإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) والإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، منشورات دار التوحيد، الطبعة الرابعة، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، الصفاة - دولة الكويت.

١٤٨- المؤلف السابق، قادة الغرب يقولون - دمروا الإسلام وأبيدوا أهله -، منشورات المختار الإسلامي للطباعة والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، طرابلس - ليبيا.

١٤٩- المؤلف السابق، المجتمع الصالح في القرآن الكريم، منشورات مؤسسة بقية العترة، الطبعة الأولى، مطبعة زيتون، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

١٥٠- المؤلف السابق، محمد وعلي نفس واحدة، منشورات مؤسسة بقية العترة، الطبعة الأولى، مطبعة زيتون، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

١٥١- المؤلف السابق، نفحات من السيرة - موجز لسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام)، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، طهران - إيران.

١٥٢- النقيب، كاظم محمد، مقالات في الدعوة والدعاة، إصدار التوحيد للطباعة والنشر والتوزيع، المطبعة العالمية الحديثة، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، النجف الأشرف - العراق.

- ١٥٣- الدكتور هاشم حمود عناد، الإعلام الإسلامي - دراسة معاصرة -
، منشورات العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م،
كربلاء - العراق .
- ١٥٤- آلبو هلاله، حسين، رزايا الحسين وأهل بيته (عليه السلام)، منشورات
المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، النجف الأشرف
- العراق.
- ١٥٥- الوائلي، الدكتور الشيخ أحمد، ديوان الوائلي، شرح وتدقيق سمير
شيخ الأرض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .
- ١٥٦- آل ياسين، الدكتور محمد حسن، الإمامة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ
- ١٩٧٨م، بغداد - العراق .
- ١٥٧- المؤلف السابق، الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الطبعة الأولى،
المطبعة العربية، بيروت - لبنان .
- ١٥٨- يوسف خليف، الدكتور، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن
الثاني الهجري، منشورات دار الكتاب العربي، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م،
القاهرة - مصر .

300 ثالثاً: الرسائل والأطاريح العلمية الجامعية

- ١- جريو، الدكتور باسم باقر، العلامة الحلي وآراؤه الكلامية، رسالة
ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الشريعة - جامعة بغداد، ١٤١٣هـ -
١٩٩٢م.

٢- الجعفري، نعمه حميد هادي، الإمام محمد الجواد ورواياته الفقهية - دراسة تحليلية -، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الفقه - جامعة الكوفة لعام ٢٠١٤م، أشرف عليها الأستاذ المساعد الدكتور فاضل إسماعيل خليل.

٣- الخلخالي، الدكتور حسن ضياء، نظرية الضرورة كاستثناء يردُّ على مبدأ سمو الدستور، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية القانون - جامعة بغداد لعام ٢٠٠٦م، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الأشرف - العراق .

٤- عبد الخضر جاسم حمادي، الدكتور، الحركة الفكرية في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير على الآلة الطباعة لعام ١٩٨٤م.

٥- القرشي، الدكتور صالح جبار، الإمام علي بن الحسين - زين العابدين (عليه السلام) - سيرته ومكانته العلمية، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الدول العربية للعام الدراسي ١٩٩٨م.

٦- الهاشمي، الدكتور غازي محمد عبد طلال، الحب في القرآن الكريم ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية أصول الدين في جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة لعام ٢٠٠٩م، أشرف عليها الدكتور محمد الطيب شيخ الأزهر، الطبعة السادسة، عمان - الأردن .

٧- الهلالي، الدكتور عباس عبد الحسن، الفكر الكلامي عند الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الفقه - جامعة الكوفة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

رابعاً: المجلات والدوريات والبحوث العلمية

الرحمة، الدكتور حكمت، ثورة الإصلاح وظروف المجتمع الإسلامي،
مجلة الإصلاح الحسيني - مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية
تعنى بالدراسات الدينية - الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة -
العدد (٥)، السنة الثالثة، ١٤٢٥هـ - ٢٠١٣م، كربلاء المقدسة - العراق.

الفهرس

٧	الإهداء
٩	مقدمة المؤلف
١٧	الفصل الأول - حياة الإمام (عليه السلام)
١٧	المبحث الأول: اسم الإمام وكنيته وألقابه ووالدته
١٧	اسمه وكنيته وألقابه
٢٢	أم الإمام (عليها السلام):
٣٠	ولادته:
٣٢	المبحث الثاني نشأة الإمام (عليه السلام) وقدوته وتعلمه
٣٦	عبادته
٤٠	أخلاقه:
٤٩	المبحث الثالث: زوجات الإمام وأولاده
٥١	الإمام محمد الباقر (عليه السلام)
٥٦	الإمام زيد الشهيد (عليه السلام)
٦٣	الفصل الثاني عصر الإمام (عليه السلام)
٦٣	المبحث الأول: الحياة السياسية ودور الإمام (عليه السلام) فيها
٨١	المبحث الثاني: الحركة الفكرية في عصر الإمام (عليه السلام)
٩١	الفصل الثالث الحركات التي عاصرها الإمام (عليه السلام)
٩١	المبحث الأول: واقعة الطف وأثرها في حياة الإمام (عليه السلام)
١٢٣	المبحث الثاني: واقعة الحرة وموقف الإمام (عليه السلام) منها
	المبحث الثالث: حركتا التوايين والمختار الثقفي وموقف الإمام (عليه السلام)

منهما.....	١٣٠
المبحث الرابع حركة عبد الله بن الزبير وموقف الإمام (عليه السلام) منها.....	١٤٣
الفصل الرابع سيرة الإمام (عليه السلام) العلمية.....	١٤٧
المبحث الأول : الصحيفة السجادية.....	١٤٧
أسانيد الصحيفة ورواتها :.....	١٦٤
جوانب الدعاء في الصحيفة السجادية:.....	١٦٧
أولاً: الجانب الأخلاقي والتربوي:.....	١٦٧
ثانياً: الجانب البلاغي والأدبي:.....	١٧٠
نماذج مختارة من أدعية الصحيفة.....	١٧٥
الأنموذج الثاني: دعاؤه (عليه السلام) إذا نظر إلى الهلال :.....	١٧٧
المبحث الثاني رسالة الحقوق.....	١٨٢
أسانيد رسالة الحقوق ورواتها.....	١٩٢
نماذج من بنود رسالة الحقوق.....	١٩٥
أولاً: حق الله تعالى.....	١٩٥
ثانياً: حق النفس.....	٢٠٠
ثالثاً: حق الصلاة.....	٢٠٩

304 دراسة وتحليل :..... ٢١٧

المبحث الثالث خطب الإمام (عليه السلام) ومكاتباته.....	٢٢٤
أولاً: خطبة الإمام في الكوفة.....	٢٢٤
ثانياً: خطبة الإمام (عليه السلام) في الشام.....	٢٢٦
ثالثاً: خطبة الإمام (عليه السلام) في المدينة المنورة.....	٢٢٩

٢٣٠	رابعاً: رسالة الإمام (عليه السلام) إلى الزهري:
٢٣٥	خامساً: مكاتباته (عليه السلام) مع عبد الملك بن مروان:
٢٣٧	الفصل الخامس رحيل الإمام (عليه السلام):
٢٣٧	المبحث الأول: وفاته
٢٤٣	المبحث الثاني: صفاته وملبسه
٢٤٦	المبحث الثالث: ما قيل في الإمام (عليه السلام)
٢٤٦	أولاً: أقوال الأقدمين فيه
٢٥٦	ثانياً: أقوال المعاصرين فيه
٢٦٤	نتائج البحث وحصيلته:
٢٦٨	قائمة المصادر والمراجع
٣٠٣	الفهرس